السبت 2 آذار 2024
العدد 5146 السنة الثامنة عشرة
Samedi 2 Mars 2024 no 5146 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

من فمك أدينك يا «اسرائيل»

بعد المجموعة العسكرية الهولندية و«خطأ» اليونيفل

توقيف دبلوماسي إسباني «يصوّر» في الضاحية [12]

«قراصنة» المساعدات

«مجزرة الطحين» وتحرج الغرب

02
مقتل 70 أسيراً لدى المقاومة

03
جروح الغزيين «الخطيرة»: مكابدة الألم... في انتظار «التحويلة»

06
صنعاء لحلفاء العدوّ: ترقّبوا تحوّلاً دراماتيكياً

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

واشنطن ترفع «قميص» المساعدات

المفاوضات رهينة التعنّت الإسرائيلي

بات واضحاً أن الاتجاه حالياً، هو لإرجاء عقد الاجتماع الرباعي على مستوى الفرق التقنية من مصر وقطر والولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي، والمعنية بمفاوضات الصفقة الجاري بحثها بين العدو والمقاومة. وبعدما كان من المفترض أن يُعقد الاجتماع اليوم أو غداً، فقد اتّجهت الأمور، أخيراً، نحو مزيد من التعقيد، ولا سيما بعد المجزرة الدموية التي ارتكبها الاحتلال في شمال قطاع غزة أول من أمس، بحقّ الفلسطينيين الباحثين عن بعض المساعدات.

ووفقاً لما كشفته مصادر مصرية، في حديث إلى «الأخبار»، فإن وفداً إسرائيلياً سيصل القاهرة خلال الساعات المقبلة، قبل تحديد موعد جديد للاجتماع الرباعي، الذي لم يعد مطروحاً في القريب العاجل، وسط تحذيرات مصرية من أن «عرقلة الاجتماعات وتأخّر الوفود والسجالات غير المجدية، من شأنها أن تستنزف الوقت وتعيق التوصّل إلى اتفاق التهدئة قبل حلول شهر رمضان». وأشارت المصادر إلى «فشل جميع المحاولات التي جرت في الأيام الماضية للضغط على الاحتلال عبر واشنطن، التي وعدت القاهرة بأمور لم تتحقّق»، فيما «لا تزال مصر تعوّل على استكمال «مسار باريس»». وبحسب المعلومات، سيحمل الوفد الإسرائيلي مجموعة من أسماء الأسرى الفلسطينيين، والذين يرفض الاحتلال إدخالهم في الصفقة الجديدة، وهي أسماء يُنتظر أن يعرضها المسؤولون الوسطاء على المقاومة خلال الأيام المقبلة. كما سيطالب الوفد بتسلّم لائحة أسماء الأسرى الإسرائيليين الذين ستشملهم الصفقة، وسيشدّد على أن حكومة الاحتلال لن ترسل وفداً إلى «الرباعية» من جديد، قبل تسلّم هذه الأسماء من حركة «حماس». ومن جهتهم، سيطرح المسؤولون المصريون، خلال الاجتماع مع الرئيس الأميركي جو بايدن، ونظيره المصري عبد الفتاح السيسي، والذي تتضمّن تشديد الأخير على «ضرورة ممارسة ضغوط واضحة ومحددة على الاحتلال للقبول بالهدنة». إلا أن ما لمسه السيسي في مهاتفة بايدن، أن «الموقف الأميركي لا يزال مهتزّاً ومتأثراً بضغوط إسرائيل والادّعاءات باستحالة الهدنة وفق شروط المقاومة». وعلى خطّ موازٍ، تحاول مصر التأكد من الحصول على «ضوء أخضر» لتعزيز إرسال المساعدات الغذائية جواً، وإسقاطها على سكان شمال قطاع غزة، بحسب المسؤولين المصريين، الذين يؤكدون أن واشنطن تتفاعل إيجابياً مع هذا المطلب، بعد أن أبدت القاهرة موافقتها على تواجد أميركي وأوروبي خلال عملية تجهيز الطائرات، لتجاوز المراقبة الإسرائيلية لشحنات الإغاثة. في المقابل، نقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن مسؤولين أميركيين قولهم: «إن قام نتنياهو بعرقلة صفقة التبادل لأسباب سياسية داخلية، فذلك سيؤدي إلى صدام مباشر مع البيت الأبيض، وإن هجوم بايدن على حكومة نتنياهو ليس إلا البداية». وأكد هؤلاء أن «حركة حماس تناور ولا تجعل حياتنا سهلة، لكن إسرائيل تفعل لنا الشيء ذاته»، و«إن وصلنا إلى استنتاج أن نتنياهو لا يتصرّف بحكمة ويخرّب الصفقة، فلا مفرّ من الصدام».

(أ ف ب)

> يرفض الإسرائيلي إرسال وفد مجدداً الى الدوحة قبل تسلّم لائحة بأسراه من «حماس»

وفي سياق متصل، أفيد، مساء أمس، عن نية الوزير في حكومة حرب العدو، بني غانتس، السفر إلى واشنطن اليوم للقاء المسؤولين الأميركيين، وهو ما أثار اعتراض نتنياهو، بحسب صحيفة «معاريف». ولربما تؤشّر هذه الزيارة إلى مستوى جديد من الضغوط التي تعتزم واشنطن تسليطها على رئيس حكومة الاحتلال وحلفائه، من داخل «مجلس الحرب»، ومن جانب المنافس الأكبر لنتنياهو سياسياً.

ويأتي ذلك في ظلّ ضغوط داخلية متزايدة تواجهها إدارة بايدن، آخرها بيان لموظفين في الإدارة، قالوا فيه إن «الرئيس بعيدٌ تماماً عن حقيقة أن أغلب الأميركيين يدعمون وقف إطلاق النار». وبحسب شبكة «إن بي سي»، فإن مسؤولين في الإدارة «غاضبون من تعامل بايدن مع مقتل مدنيين بالرصاص في غزة الخميس». وعلى ضوء ذلك، خرج الرئيس، مساء أمس، بتصريحات أكد فيها أن «الولايات المتحدة ستنفّذ إنزالاً جوياً لمساعدات غذائية في غزة»، مشيراً إلى أن «تدفّق المساعدات إلى القطاع ليس كافياً». كما أكد سعي إدارته «للتوصّل إلى اتفاق لوقف فوري لإطلاق النار للسماح بدخول المزيد من المساعدات». وفي وقت لاحق، أعلن «البيت الأبيض» مضاعفة جهود واشنطن «لفتح ممرّ بحري إنساني أمام كميات كبيرة من المساعدات»، ونية الولايات المتحدة «تنفيذ عمليات إسقاط جوي للمساعدات بالتنسيق مع شركائنا، خاصة الأردن، خلال أيام»، مستدركاً بأن «إنزال المساعدات جواً إلى غزة، ليس بديلاً من إيصالها عن طريق البرّ». وهذا المشروع، القديم - الجديد، أي الجسر البحري انطلاقاً من قبرص، كان مطروحاً منذ نحو شهرين، وجرى استبعاده نوعاً ما، وما يدفع إلى استعادته اليوم، هو الواقع المأساوي في شمال القطاع، والذي يبدو محرجاً جداً للغرب وعلى رأسه أميركا، وتعنّت إسرائيل وإخلافها بوعودها بإدخال المزيد من المساعدات، وانفضاح استخدامها ورقة التجويع والحصار أداة في التفاوض مع المقاومة.

(الأخبار)

مقتل 70 أسيراً لدى المقاومة: العدو يداري هزيمته في «الزيتون»

غزة - **يوسف فارس**

تمكّن جيش العدو أخيراً من تقليص هامش خسائره البشرية في حي الزيتون جنوب شرق مدينة غزة، عبر طريقة بدت الأمثل بعد نحو 12 يوماً من القتال، وهي الانسحاب من نحو 90% من المناطق التي كان قد لاقى فيها مقاومة عنيفة. على أن المثير في هذا الانسحاب المتوقع نظراً إلى زخم الضغط المقاوم، هو أنه لم يُذيَّل بتصريح من المتحدث باسم جيش العدو، بأنه تم تحقيق كل الأهداف التي حُدّدت سلفاً، وأهمها تدمير ورش تصنيع الأسلحة، والسيطرة على شبكة الأنفاق الإستراتيجية، فضلاً عن تشكيل لجنة «روابط قرى» تتولى مهمة إدارة شؤون الناس، ومن ضمنها تنظيم وصول المساعدات بعيداً عن سيطرة حركة «حماس» وأجهزتها الحكومية والجزئية.

ويأتي ذلك فيما لم تشهد خريطة التوغلات الإسرائيلية أي تحولات جذرية، إذ تواصل الدبابات الإسرائيلية توغلها في خاصرة القطاع الوسطى، بينما تستمر العملية البرية في غرب مدينة خانيونس، وتشهد المناطق الشرقية من المحافظة، وتحديداً بلدات عبسان، عمليات عسكرية مفاجئة ومحدودة. أما المقاومة، فقد أعلنت، أمس، تمكّنها من تنفيذ عدد من المهمات القتالية، فيما كان واضحاً أن الانسحاب من حي الزيتون، قلّل من زخم البيانات العسكرية وتعدادها، غير أن القتال في مدينة خانيونس، لا يزال يحافظ على أعلى مستويات الضراوة.

وفي هذا الإطار، تداولت صفحات المستوطنين العبرية، معلومات عن وقوع «حدث صعب» في غرب المدينة، وهو ما تقاطع مع رصد حركة مكثفة

> أعادت «القسام» اللعب على وتر الأسرى، الذي يحدث زلزالاً في الشارع الإسرائيلي

لعمليات إجلاء جنود مصابين من ميدان القتال هناك. وكان الإعلام العسكري التابع لـ«كتائب القسام» أعلن تمكّن المقاومين من تفجير فتحتي نفق في قوة إسرائيلية راجلة في محور القتال جنوب قطاع غزة، فيما أعلنت «سرايا القدس» أن مقاوميها قصفوا معبر «إيرز» شمال قطاع غزة بوابل من قذائف «الهاون». وبدورها، أعلنت «كتائب المجاهدين» أن مقاوميها أطلقوا رشقات من الصواريخ تجاه مستوطنات ومواقع العدو في شمال قطاع غزة.

وبلغة الصورة أيضاً، نشرت «سرايا القدس»، مقاطع مسجّلة أظهرت مقاوميها وهم يقنصون قناصاً إسرائيلياً في حي الزيتون، علماً أن البصمة الكبرى التي ظهرت في مقطع «السرايا»، هي كثافة استخدام مدافع «الهاون» وصواريخ «107» التكتيكية القصيرة المدى، التي تُقصف بها تجمعات جنود العدو وتحشداته. وفي الفيديو، ظهر أحد المقاومين، وهو يرمي قذائف «الهاون» من مدفع نظامي عديم الارتداد، وفي أمامه تتكدّس العشرات من القذائف، وهو يقول: «خير كثير، خير كثير»، في إشارة إلى وفرة الذخيرة والسلاح وقذائف «الهاون» في يد المقاومة. كذلك، أظهر الفيديو عملية مشتركة نفّذتها «السرايا» و«كتائب المجاهدين»، تم فيها إسقاط طائرة مُسيّرة، بصاروخ من طراز «سام 7». وشهد أمس عودة غزيرة لصواريخ المقاومة، حيث أعلنت «سرايا القدس» قصف عسقلان ومستوطنات غلاف غزة، بوابل من الصواريخ، فيما أعلنت «كتائب القسام» قصف مستوطنات غلاف غزة، بوابل من صواريخ «107» التكتيكية، فيما أعلنت «كتائب المجاهدين» قصف مستوطنة «نيريم» بصاروخ «107» أيضاً.

وفي سياق متصل، أعلن الناطق باسم «القسام»، أبو عبيدة، في تغريدة نشرها يوم أمس، إنه سيعلن في وقت لاحق عن أسماء القتلى الأربعة الآخرين، كاشفاً أن عدد الأسرى الذين قُتلوا نتيجة العمليات العسكرية وصل إلى 70 أسيراً، ولافتاً إلى أن قتل المزيد من الجنود لن يؤثر على عدد الأسرى المنوي تحريرهم، وأن المقاومة ستطلق سراح العدد الذي تريده من الأسرى، «سواء بقي لدينا خمسة جنود أحياء أو 10». وفي مساء أمس، أعادت «القسام» اللعب على الوتر نفسه، الذي يحدث زلزالاً في الشارع الإسرائيلي، إذ نشرت صورة عبر قناتها في «تلغرام»، تظهر وجود جنوده الذين لا يزالون على قيد الحياة، وقد دبّلتها بعبارة «إنهم كانوا لا يريدون أن يشيخوا في الأسر، لكن نتنياهو يريد ذلك».

مهزلة إسقاط المساعدات: ما هكذا يغاث الجوعى

غزة - **يوسف فارس**

للمرة الأولى، أمس، نفّذت طائرات عربية إنزالاً جوياً ناجحاً للمساعدات في مناطق شمال وادي غزة. ففي الساعة العاشرة صباحاً، ظهرت أولى الطائرات في سماء مخيم جباليا شمال القطاع، وشرعت في إلقاء شحنات من المساعدات فوق وسط المخيم، غير أن الرياح لم تأتِ بما يشتهيه آلاف النازحين الذين رفعوا رؤوسهم إلى السماء، مترقبين سقوط المواد الإغاثية بين أوساطهم، فإذا بالدفعة الأولى منها التي لم يتجاوز عددها الـ 24 إسقاطاً، تنزاح من الوسط إلى الأطراف الغربية لمحافظة الشمال، وتسقط على شاطئ البحر وفي محيط مسجد الخالدي. وفي غضون الرحلة للحصول على ما أمكن من المساعدات من قلب جباليا إلى أطراف الشمال، اندفع عشرات الآلاف من الأهالي سيراً على الأقدام، قاطعين مسافة تجاوزت الثلاثة كيلومترات. وحين وصلت الجموع، التي رافقتها «الأخبار» في تلك الرحلة، كانت الشحنات قد فرغت تماماً، حيث كان ينتظرها الآلاف من سكان المنطقة التي سقطت فيها، قبل أن تهبط على الأرض أساساً. أما من ظفر بكيس طحين، أو كيلوغرام واحد من التمر، أو زجاجة ماء، فقد وصل إلى أطراف المخيم وقد أدميت يداه وقدماه، لفرط ما تدافع الناس وتزاحموا للحصول ولو على القليل مما يقيم الجوع والعطش.

> العشرات ممن التقتهم «الأخبار» عبّروا عن غضبهم من الطريقة المهينة التي تعاملهم بها الدول التي تسقط المساعدات

والشحنات التي سقطت في المنطقة الغربية لشمال القطاع، كانت عبارة عن صناديق خشبية تصل مقاساتها إلى ثلاثة أمتار طولاً وعرضاً، وتحتوي كل واحدة منها على ثلاثين طرداً غذائياً. وفي داخل الطرود التي استطاعت «الأخبار» أن تعاينها عن قرب، وجد كيس واحد من الأرز زنة خمسة كيلوغرامات، وعلبة حليب أطفال، وزجاجة زيت طهي، وعدد من مغلفات المعكرونة، وفوط نسائية. ووفقاً لشهادات الأهالي، فقد تضمّنت طرود أخرى أكياساً من الطحين زنة عشرة كيلوغرامات. على أن كل ما سقط صباح أمس، لم يتجاوز حمولة نصف شاحنة واحدة، فيما تشير المعلومات المطبوعة على تلك المنتجات، إلى أن مصدرها هو جهات خيرية مقرّبة من الجيش المصري، وهيئات أهلية أخرى. وخلال ساعات النهار، أعادت طائرات الـ«سي 130» إنزال شحنات أخرى في مناطق مأهولة بالسكان، في حيَي تل الزعتر والسكة شرق مخيم جباليا.

وعلى رغم الحفاوة التي استقبل بها السكان مشهد الطائرات التي لم تلق عليهم، للمرة الأولى منذ قرابة 150 يوماً، القنابل والصواريخ، فإن العشرات الذين التقت بهم «الأخبار»، عبّروا عن غضبهم من الطريقة المهينة التي تعاملهم بها الدول التي تسقط تلك المساعدات. إذ قال إبراهيم الملاحي، وهو واحد من الذين قطعوا مسافة طويلة في محاولة تحصيل شيء مما ألقي من الجو، إن «هذه الطريقة غير مجدية. ركضت مسافة خمسة كيلومترات، وما قدرت أحصل على شيء. الناس قتلت بعضها من أجل الحصول على كيس تمر أو كيلوغرام أرز»، مضيفاً: «يا عرب، اللي بدو يساعد، فليُدخل شاحنات المساعدات ويسلّمها إلى جهات دولية أو محلية تتولى توزيعها على الناس. إحنا عمرنا ما كنّا جوعانين ولا شحّادين، حتى تهينوا كرامتنا بهذه الطريقة».

أما علاء عايش، وهو موظف حكومي، فقد رأى، في حديث إلى «الأخبار»، أن «إنزال المساعدات بهذه الطريقة غير المجدية يخفّف الضغط على الاحتلال، ويعفيه من مسؤوليته في إنهاء الحصار على أهالي شمال قطاع غزة الذين يحاصرهم منذ أكثر من 100 يوم». ويضيف: «عيب، إحنا الشعب الكريم العزيز، نُذلّ ونُهان بهذه الطريقة. الناس رح تاكل بعضها. ما يحدث هو نتاج لحالة فوضى وتفسّخ اجتماعي لها آثار مخيفة جداً».

في ساعات المساء، ظلّت الطائرات تُسقط شحنات جديدة من المساعدات، بينما تحيط بها الطائرات الإسرائيلية المسيّرة. لكن الآلاف كانوا قد فقدوا الأمل في الظفر بأي شيء، فيما كثرة السعي بلا طائل ظهرت آثارها على شكل هزال وغثيان ضربا الآلاف من الذين عادوا من رحلات المطاردة بلا شيء.. سوى الخيبة.

جروح الغزيين «الخطيرة»: مكابدة الألم... في انتظار «التحويلة»

غزة - **مطر جبر الزقّ**

تَظهر علامات الإعياء على وجه رشا أبو عودة، وهي تتأمّل جسد طفلها الصغير يحيى، ذي التسعة أعوام. ويحيى، الذي يرقد على فراش يلتصق بأرضية قسم الاستقبال والطوارئ في مستشفى «شهداء الأقصى» في دير البلح وسط قطاع غزة، أصيب بشظايا صاروخ استهدف مدرسة «حي الأمل» في خانيونس (جنوب)، حيث استقرّ بعضها في رقبته، وبعضها الآخر أصاب ذراعه اليمنى بالشلل. هناك، جالت «الأخبار»، والتقت السيدة التي كانت تحاول طفلها الذي «يبكي طوال الليل والنهار جرّاء إصابته»، في انتظار قبول «التحويلة» من قِبَل الجانب المصري، علّه يَعبر «رفح» لتلقّي العلاج في الخارج.

تتنهّد رشا وهي تتفحّص أوراق «التحويلة» التي ذيّلتها إدارة المستشفى بعبارة «عاجل» بالخط العريض، ثم تقول، في حديث إلى «الأخبار»: «عندما بحرّك يحيى رأسه، يبكي من شدّة الألم. أخبرني الأطباء أنه كلّما لمس الشظايا المستقرة في رقبته، شعر بما هو أشبه بصعقة كهرباء قوية»، مضيفة أنه «في حال بقي هان، ممكن يفقد بصره ومستقبله. يا رب تطلع التحويلة ويتعالج ابني ليمارس حقّه زيّ أطفال العالم». وتعزو السيدة، بطء إجراءات التحويلة، إلى «تعمّد الإسرائيليين قتل أبناء شعبنا ومنع أطفالنا من أن يتحوّلوا إلى روّاد في العلم والمعرفة»، أملة في «ممارسة ضغوط كبيرة على الإسرائيليين والمصريين للإسراع في إجراءات التحويلات، لإنقاذ مَن تبقّى من شعبنا».

وتعود رشا إلى واقعة إصابة يحيى في المدرسة التي نزحت إليها رفقة زوجها وأطفالها، قائلة: «بعد فقدان الأمان في شمال القطاع، نزحنا إلى المنطقة التي يدّعي الاحتلال أنها آمنة. هناك، وتحديداً يوم الإثنين في الخامس من الشهر الجاري، تمّ استهدافنا. كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة عصراً عندما أطلقت طائرة استطلاع إسرائيلية صاروخاً مفاجئاً على المدرسة التي تحتضن آلاف النازحين، ثم تصاعدت أعمدة الدخان حولنا، وارتفع صراخ النسوة». وتضيف: «أصبتُ بالصدمة عندما شاهدت يحيى ملقًى على الأرض. كان الأمر فظيعاً ومرعباً. حملته بمساعدة النسوة. قال: إمي، أنا متصاوب، ثم دخل في غيبوبة». حينذاك، أسرعت الأم المكلومة إلى النقطة الطبية داخل المدرسة، ولكنها لم تجد مَن يسعف طفلها لكثرة الإصابات، فاضطرت إلى السير على أقدامها مسافة ثلاثة كيلومترات حتى عثرت على عربة يجرّها حمار قادها إلى «شهداء الأقصى».

إلى جانب يحيى، يرقد الطفل جمال عبيد، ذو العامين، متشبّثاً بثوب والدته كلّما علا صوت رنين الأجهزة الطبية وصراخ المصابين الذين

> نحو 11 ألف مصاب في غزة مصنفون كحالات خطيرة بحاجة إلى السفر لتلقي العلاج في الخارج

يصلون تباعاً إلى باحة الاستقبال. أصيب جمال في الغارة نفسها التي أصيب فيها يحيى، وهو بحاجة ماسة إلى الحصول على «تحويلة»، نتيجة الشظايا المستقرة في أنحاء متفرقة من جسده الصغير. تقول أم جمال، التي تخشى، حالها حال الأطباء أنه كلّما لمس الشظايا المستقرة في رقبته، شعر بما هو أشبه بصعقة كهرباء قوية»، مضيفة أنه «في حال بقي هان، ممكن يفقد بصره ومستقبله. يا رب تطلع التحويلة ويتعالج ابني ليمارس حقّه زيّ أطفال العالم». وتعزو السيدة، بطء إجراءات التحويلة، إلى «تعمّد الإسرائيليين قتل أبناء شعبنا ومنع أطفالنا من أن يتحوّلوا إلى روّاد في العلم والمعرفة»، أملة في «ممارسة ضغوط كبيرة على الإسرائيليين والمصريين للإسراع في إجراءات التحويلات، لإنقاذ مَن تبقّى من شعبنا».

وتعود رشا إلى واقعة إصابة يحيى في المدرسة التي نزحت إليها رفقة زوجها وأطفالها، قائلة: «بعد فقدان الأمان في شمال القطاع، نزحنا إلى المنطقة التي يدّعي الاحتلال أنها آمنة. هناك، وتحديداً يوم الإثنين في الخامس من الشهر الجاري، تمّ استهدافنا. كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة عصراً عندما أطلقت طائرة استطلاع إسرائيلية صاروخاً مفاجئاً على المدرسة التي

حينها يلعبون في الرمل في ساحة المدرسة، فيما كنت أخبز». حينذاك، قفزت أم جمال من فوق العجين لتجد طفلتها ذات الأعوام الأربعة، وقد ألقت بنفسها فوق أخيها، وعندما رفعتها، وجدتها جثّة هامدة مضرجة بالدماء. وعندها، صرخت وهرعت نحو سيارة صادفتها أمامها، وهي تقول: «يا رب احفظ لي ابني الوحيد اللي أجا بعد 4 بنات». وكانت وزارة الصحة في غزة قد صنّفت نحو 11 ألف مصاب، من بين أكثر من 70 ألف إصابة، تحت خانة «إنقاذ حياة - حالة خطيرة بحاجة إلى السفر لتلقّي العلاج في الخارج ولإجراء العمليات الجراحية قبل فوات الأوان». وفي هذا الجانب، يفيد الناطق باسم المكتب الإعلامي الحكومي، إسماعيل الثوابتة، بأن «عدد الجرحى الذين تمكّنوا من السفر لتلقّي العلاج في الخارج، منذ بداية الحرب، لا يتجاوز الـ1500». ويضيف الثوابتة، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «قطاع غزة بأمسّ الحاجة إلى فتح معبر رفح الحدودي أمام الجرحى، بعدما انهار القطاع الصحي تماماً، وباتت المستشفيات غير قادرة على إجراء العمليات الجراحية لهذا العدد الكبير من الجرحى». لافتاً إلى «استهداف 31 مستشفى خرجت من الخدمة بشكل كامل، فيما لا تتقدّم المستشفيات المتبقية إلا خدمة صحية محدودة، بطاقة لا تزيد على 30%».

وإزاء ذلك، يخشى الثوابتة على حياة آلاف الجرحى الذين ينتظرون السماح لهم بالسفر، مشيراً إلى أن «480 جريحاً استشهدوا وهم في انتظار الحصول على التحويلة». وعن أسباب التأخير، يبيّن الثوابتة أن «وزارة الصحة ترفع مئات الأسماء يومياً إلى الجانب المصري، ثم تنتظر الردّ، ولكن للأسف يسافر يومياً ما بين 10 و20 جريحاً، وهذا العدد غير كافٍ»، مناشداً «الأشقاء في مصر السماح لأعداد أكبر بالسفر للعلاج»، ومطالباً «كل الوسطاء ودول العالم الحر والدول العربية والإسلامية وكل المنظمات الدولية بالتدخّل لوضع حدّ لهذه الجرائم»، التي حمّل مسؤوليتها لـ«الإدارة الأميركية والمجتمع الدولي والاحتلال الإسرائيلي».

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

واشنطن تعرقل إصدار بيان إدانة

الغرب يبحث في «جنس» مجزرة الطحين!

خضر خروبي

استحوذت واقعة تعرُّض قوات الاحتلال الإسرائيلي لمدنيين فلسطينيين كانوا متجمهرين أمام قوافل الإغاثة في شارع الرشيد، غربي مدينة غزة، على اهتمام دولي، واستنكار عدد من قادة دول العالم، ولا سيما تلك المحسوبة على «الجنوب العالمي»، كالرئيس الكولومبي، غوستافو بيترو. أما في الغرب، فقد أثارت المجزرة، ردود فعل متفاوتة، سواء على المستوى السياسي أو الإعلامي. وجرياً على عادته حين يتعلّق الأمر بالانتهاكات المختلفة المرتكبة من جانب كيان الاحتلال، تفتّقت «موضوعية» الإعلام الغربي، عن مقاربة «مهنية» و«حيادية» بين سرد ما يُعتبره وجهة النظر الفلسطينية، المستقاة معظمها من وزارة الصحة في غزة، ومصادر طبية، إضافة إلى روايات شهود عيان «لا يمكن التثبّت من مدى صحتها»، تتّهم الجيش الإسرائيلي بالوقوف خلف المجزرة، وبين رواية الأخير لما جرى، والتي زاوجت مزاعم تعرّض هؤلاء للدهس بشاحنات الإغاثة، وبفعل التدافع في ما بينهم، بالإقرار بتعرّضهم لـ«طلقات تحذيرية» في اتجاههم «فور تحرّك المحتشدين بطريقة باتت تهدّد سلامة عناصر الجيش». وتناولت صحيفة «نيويورك تايمز» الواقعة بوصفها «حادثاً فوضوياً»، و«إشكالياً» من باب الاستناد إلى مقطعَي فيديو، أحدهما أكدت أنه «مجتزأ»، وقد تم إدخال تعديلات عليه»، كان قد نشره جيش الاحتلال (مع اقتطاع اللقطات التي تُظهر بدء التدافع بين الحشود إثر تعرّضهم لإطلاق نار) لجموع المدنيين الفلسطينيين المتجمّعين في المكان، قبل ظهور عدد كبير منهم مطروحين على الأرض، بينما يصار إلى نقل بعضهم على العربات، والشاحنات. أما المقطع الثاني، فتداولته وسائل إعلام عربية، تُسمع فيه أصوات إطلاق نار، مصدرها قاعدة عسكرية إسرائيلية تبعد مسافة 250 متراً عن المكان. من جهتها، أفردت صحيفة «ذا غارديان» حيّزاً في تغطيتها لـ«تحدّي» بعض الصحافيين بطريقة «إندبندنت» عن زميلاتها بنقل إفادة شاهد عيان، رفض الكشف عن اسمه، كان قد زعم، في حديث إلى وكالة «أسوشيتد برس»، باقتراب عدد من الحشود نحو إحدى نقاط انتشار الجيش الإسرائيلي، وهي شهادة تستبطن شكلاً من أشكال تبرير ما جاء على لسان الناطقين العسكريين الإسرائيليين.

> عرقلت الولايات المتحدة إصدار بيان في مجلس الأمن الدولي يحمّل السلطات الإسرائيلية مسؤولية مجزرة شارع الرشيد

ما وصفه ناشطون حقوقيون بـ«مجزرة الطحين»، تزامن مع تقارير أممية باتت تقرع جرس الإنذار حول تفاقم الوضع الإنساني في غزة، وخصوصاً شماله، بسبب النقص الحادّ في الغذاء والمياه الصالحة للشرب، وتفشّي الأمراض المعدية، التي تفتك بأكثر من مليون فلسطيني، وذلك في موازاة ما تعكسه إحصاءات تشير إلى أن واحداً من كل 20 شخصاً في غزة قُتل أو تعرّض للإصابة على يد القوات الإسرائيلية. وفي هذا الصدد، يؤكد المفوّض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، وليام فولكر، أن «المساحة التشغيلية للعمليات الإغاثية والإنسانية في شمال غزة، حيث يفتك خطر الموت جوعاً بكثيرين، قد أصبحت شبه معدومة في الوقت الحالي»، موضحاً أن «إيصال المساعدات إلى باقي أنحاء القطاع بات متعذّراً على نحو خطير».

وفي معرض تعليقها على المجزرة، أصدرت منظمة «أطباء بلا حدود»، بياناً وصفت فيه الحادث بأنه «النتيجة المباشرة لسلسلة القرارات غير الحكيمة التي اتخذتها السلطات الإسرائيلية خلال فترة الحرب»، بينما صرّح رئيس «المجلس النرويجي للاجئين»، يان إيغلاند، إثر جولة قام بها في بعض المناطق في غزة، بأن «المدنيين في غزة يصابون بالمرض، والجوع والعطش بسبب القيود التي تفرضها إسرائيل على الدخول»، مشدّداً على أن سلطات الاحتلال «تمنع دخول الإمدادات المنقذة للحياة، بصورة متعمّدة» إلى القطاع.

وفي إزاء ذلك، لقيت صحيفة «واشنطن بوست» إلى ما أشبع عن موازرة الولايات المتحدة مبادرة الأردن لإسقاط عدد من شحنات الدعم الإنساني والإغاثي فوق قطاع غزة خلال الأيام الماضية، معتبرة أنه يحمل دلالات على «المفارقة المتمثّلة في قيام واشنطن بإسقاط الإمدادات على السكان الذين ينشدون الاستقرار والسلام عقب أشهر من الهجمات الإسرائيلية من خلال ذخائر أميركية الصنع».

ونقلت الصحيفة الأميركية عن مدير الشؤون الإنسانية في منظمة «أوكسفام»، سكوت بول، قوله إن «مثل هذه التدابير ستسهم في الغالب في التخفيف (من حالة الشعور بالذنب التي تنتاب) ضمائر كبار المسؤولين الأميركيين الذين تساهم سياساتهم في الفظائع المستمرة وخطر المجاعة القائم في غزة».

وفي ردود الفعل السياسية، لم يأتِ الموقف الأميركي من المجزرة بجديد، وهو ما تجلّى من خلال عرقلة الولايات المتحدة إصدار بيان في مجلس الأمن الدولي يحمّل السلطات الإسرائيلية مسؤولية الحادثة. كذلك، تجنّب الرئيس الأميركي، جو بايدن، كعادته، توجيه اللوم المباشر إلى إسرائيل، مكتفياً بوصف ما حدث بـ«المأساوي»، و«المثير للقلق»، إثر مكالمات أجراها مع قادة عرب، أبرزهم الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، مع التحذير من أن ما جرى «قد يقوّض الجهود المبذولة للتوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار». وذلك المضمون حملته أيضاً تصريحات الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية، ماثيو ميلر، حين أوضح أن بلاده لا تزال «تسعى بشكل عاجل إلى الحصول على معلومات إضافية» عن المجزرة، زاعماً وجود «تقارير متضاربة» حول الحادثة، مع إشارته إلى أن القافلة المستهدفة ليست تابعة للأمم المتحدة. وتابع أن المسؤولين في إدارته يضغطون على إسرائيل للحصول على إجابات في شأن نتائج التحقيق الذي تجريه، مكرّراً المواقف الأميركية السابقة التي تدعو إسرائيل إلى «إدخال المزيد من المساعدات الإنسانية».

على المقلب الأوروبي، جاءت النبرة أكثر اتزاناً، حين ندّد منسّق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، بالمذبحة التي وقعت في شارع الرشيد، ووصفها بأنها «غير مقبولة على الإطلاق»، في حين اعتبرها مسؤولون من بلدان أوروبية عدة، في طليعتها فرنسا، إضافة إلى إسبانيا، والبرتغال، أسوة بالأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، بمثابة مؤشّر إلى الأولوية القصوى التي بات يمثّلها وقف إطلاق النار في غزة لأسباب إنسانية. فمن جهته، انضم الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، إلى المطالبين بإجراء تحقيق مستقل، مبدياً «سخطه العميق» من عملية الاستهداف، مع مناداته بأهمية التوصّل إلى «الحقيقة والعدالة» و«احترام القانون الدولي». وضمن السياق نفسه، وقّع حوالى 200 برلماني من 12 دولة حول العالم، على عريضة خطية شملت تعهّداً من قِبَلهم بالضغط على حكومات بلدانهم بغرض حثّها على عدم تصدير الأسلحة لمصلحة إسرائيل، علماً أن من بين هؤلاء قادة أحزاب حالمين وسابقين، على رأسهم زعيم «حزب العمل» البريطاني السابق جيريمي كوربين، ورئيس حزب «فرنسا الأبية» جان لوك ميلانشون، وزعيمة «حزب بوديموس» الإسباني إيونو بيلارا، ورئيسة «حزب الخضر» في أستراليا لاريسا ووترز، إلى جانب نواب في «العمل» البريطاني، وبرلمانيين آخرين من كندا، وأستراليا وألمانيا وتركيا والولايات المتحدة.

النبرة الأوروبية إزاء «مجزرة الطحين» كانت أكثر اتزاناً من الأميركية (أ ف ب)

تحذيرات «الشاباك» لا تلجم سموتريتش: القدس والضفة تحت مقصلة الاستيطان

رام الله ـ أحمد العبد

تبدو الضفة الغربية والقدس المحتلّتان على عتبة الانفجار، وفقاً لما تدلّ عليه مؤشرات عديدة، آخرها العملية التي وقعت في مستوطنة «عيلي» على الطريق الواصلة بين رام الله وشمال الضفة، مساء الخميس. وجاءت هذه العملية التي نفّذها الشهيد محمد مناصرة من مخيم قلنديا، وأدت إلى مقتل مستوطنَين، بعد أيام فقط من هجوم مماثل على حاجز «الزعيم» قرب القدس، علماً أنها الثانية من نوعها التي تستهدف «عيلي»، بعد العملية الأولى التي تبنّتها «كتائب القسام»، ونفّذها الشهيدان مهنّد شحادة وخالد صباح، وقُتل فيها 4 مستوطنين.

سيف ان وافقت حكومة الاحتلال على التنام «مجلس التخطيط الأعلى» للموافقة على بناء نحو 3300 وحدة استيطانية جديدة (أ ف ب)

والواضح، على ضوء ما تقدّم وغيره، أن المستوطنين تحوّلوا إلى هدف رئيس للعمليات الفدائية، في ضوء تصاعد الجرائم التي يرتكبونها بحق الفلسطينيين منذ بدء الحرب على غزة، وتشكيلهم عصابات للقتل والسرقة، بالشراكة مع جيش الاحتلال وتحت غطاء سياسي، لا يفتأ يتمدّد برعاية وزراء اليمين الفاشي، وعلى رأسهم وزير المالية، بتسلئيل سموتريتش، الذي أعلن أنه سيطلب من مجلس الوزراء «تغيير نهجه» في الضفة، معتبراً أن سبب ما يحدث ليس الاقتصاد بل «كراهية عميقة لإسرائيل»، وأنه لا اختلاف بين الضفة وقطاع غزة. وقال سموتريتش إنه «لا يمكن أن يتحول رمضان في كل عام، والمدة السابقة له، إلى حمام دم لقتل اليهود»، مضيفاً أن «ذلك ليس قدراً محتوماً، بل هو أمر يتطلب من الجيش توسيع جهوده العسكرية لا تقليصها، وإغلاق الطرق وإعادة نقاط التفتيش وتوسيع الاستيطان كرد صهيوني ملائم».

في المقابل، عزّزت عملية «عيلي» هواجس سلطات الاحتلال بشأن شهر رمضان، ودفعت «الشاباك» إلى مطالبة المستوى السياسي بالابتعاد عن الغموض بشأن القيود المتعلقة بدخول المصلين إلى الأقصى. لكن قادة المستوطنين لا يفتؤون يضغطون من أجل تمرير مخططاتهم الاستيطانية، التي يجري تسويقها بوصفها السبيل الوحيد لـ«توفير الأمن» للمستوطنين. وفي هذا السياق، يواصل سموتريتش، وزميله وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، اللذان دخلا في ائتلاف مع بنيامين نتنياهو ضمن تسويات لتعزيز الاستيطان بالضفة، التعهد يومياً بمواصلة توسيع المستوطنات، وهو ما تجلّت آخر حلقاته في إعلان وزير المالية، ليل الثلاثاء ـ الأربعاء، الموافقة على بناء مستوطنة جديدة تسمى «مشمار يهودا» في «غوش عتصيون» جنوبي القدس. وقال سموتريتش، الذي يعيش في إحدى مستوطنات الضفة، إن «إسرائيل ستواصل السماح ببناء المزيد من المستوطنات، وسنواصل زخم الاستيطان في كل أنحاء البلاد»، بينما قال شلومو نئمان، رئيس بلدية المجلس الإقليمي لـ«غوش عتصيون» (هذا أيضاً ردنا على دول العالم... سنواصل طريقنا ونعزز غوش عتصيون بمزيد من السكان وبالمزيد من المدارس والمزيد من الطرق والمزيد من رياض الأطفال». وتشمل المستوطنة التي تدفع حكومة الاحتلال بها، أكثر من 13 ألفاً و600 وحدة استيطانية جديدة يُفترض أن تُبنى على مرحلتين، بموجب القرار الذي صدر عن حكومة نتنياهو في شباط 2023، بشرعنة 9 بؤر استيطانية، بما فيها

> عززت عملية «عيلي» هواجس سلطات الاحتلال بشأن شهر رمضان

«متسبي يهودا»، وبناء آلاف الوحدات الاستيطانية. وبحسب ما أفادت به حركة «السلام الآن» الإسرائيلية، فقد وقّع قائد المنطقة الوسطى في الجيش، يهودا فوكس، على أمر يحدّد نطاق الولاية القضائية لمستوطنة جديدة شمال بلدة العبيدية، شرق بيت لحم، جنوبي الضفة الغربية. وأشارت إلى أن «المستوطنة ستضمّ في المرحلة الأولى 3600 وحدة شرق بيت لحم، على أن تُقام 10 آلاف وحدة إضافية في مرحلة لاحقة». واوضحت الحركة أن «الأمر يتضمن مصادرة نحو 417 دونماً لإتمام المرحلة الأولى» المشار إليها، والتي سيستفيد منها «جمهور القومية الدينية»، فيما في المرحلة الثانية «ستتوسع المستوطنة على مساحة 2000 دونم إضافية، لمصلحة السكان اليهود الحريديين».

وسبق أن وافقت حكومة الاحتلال، الأسبوع الماضي، عقب العملية الفدائية على حاجز «الزعيم»، على التئام «مجلس التخطيط الأعلى» للموافقة على بناء نحو 3300 وحدة جديدة في مستوطنات القدس، منها 2350 في مستوطنة «معاليه أدوميم» شرقي القدس الشرقية، ونحو 300 في مستوطنة «كيدار» جنوب شرقي القدس الشرقية، و700 في مستوطنة «أفرات» جنوبي القدس. كذلك، صادرت دولة الاحتلال، الخميس، 650 فداناً من الأراضي الفلسطينية قرب «معاليه أدوميم» شرقي القدس، بهدف ضمّها إلى المستوطنة المذكورة، من دون أن تكون ثمة خطة للبناء عليها حالياً، وإن كان ثمة توجه لتصنيفها على أنها «أراضٍ مملوكة للدولة»، بينما تستعد سلطات الاحتلال لإدراج 7 آلاف دونم ضمن الخانة نفسها، تمهيداً لضمها إلى مستوطنات غور الأردن. ووفقاً لتقرير صادر في كانون الثاني عن «حركة السلام الآن» الإسرائيلية التي تراقب التوسع الاستيطاني، فإن هناك زيادة غير مسبوقة في الأنشطة الاستيطانية منذ 7 تشرين الأول الماضي، فيما يفيد تقرير صادر عن لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، بوجود ما يقل قليلاً عن 700 ألف مستوطن في 279 مستوطنة في الضفة الغربية والقدس الشرقية، مقارنة مع 520 ألفاً في عام 2012.

وتشهد منطقة الأغوار، خصوصاً، تصاعداً في الأنشطة الاستيطانية التي لا تقتصر فقط على إعلان حكومة الاحتلال نيتها بناء 7000 دونم كـ«أراضي دولة»، بل بات ملاحظاً وجود مخططات لجذب مستوطنين إلى تلك المنطقة عبر أنشطة متنوعة، كان منها تنظيم مهرجان «الأغوار خضراء» الذي انطلق في 15 شباط ويستمر حتى 15 آذار، ويشمل جولات إرشادية، ومعارض، وورش عمل، وورشاً لجمع النباتات الصالحة للأكل والنباتات الطبية، على أن يُختتم بفعاليات «الأسبوع الأخضر». كما وجهت جماعة يمينية دعوة إلى المستوطنين لزراعة الأشجار في منطقة صحراء الضفة الغربية، بهدف ربط هذه الأخيرة بالأغوار، معتبرةً أن ذلك يأتي تخليداً لمن سمّته «رجل الأغوار والاستيطان»، هارئيل شرفيت، الذي أرسل تحية إلى قاتل عائلة الدوابشة، وقتلته المقاومة في قطاع غزة.

مقالة

ملحمة غزّة في سياق الحرب العالمية

وليد شرارة

لن تعفي المناورات اللفظية الجوفاء، ومقولات من نوع «ضرورة حماية المدنيين» و«احترام القانون الدولي الإنساني»، قادة «الغرب الجماعي» من أميركيين وأوروبيين، من مسؤوليتهم، عن رعاية المذبحة المتواصلة التي يرتكبها ربيبهم الصهيوني بحق أهل غزة، والتي تمثل «أكبر عملية عقاب جماعي بحق المدنيين في التاريخ المعاصر»، وفقاً لروبرت بايب، عالم السياسة الأميركي المتخصّص في النزاعات والأمن الدولي. هؤلاء شركاء مباشرون، عبر الدعم العسكري والسياسي والإعلامي الذي قدّموه للكيان المؤقت، في قتل 30035 فلسطينياً في غزة، قسم عظيم منهم من الأطفال، بحسب آخر أرقام وزارة الصحة في غزة. والآلاف الآخرين الذين ما زالوا تحت الأنقاض، وفي جرح أكثر من 70000 منهم. عوامل عدة تفسّر قرارهم الانغماس في حرب الإبادة الجارية، في مقدّمتها انحيازهم العقائدي و/أو الفكري ـ السياسي إلى الصهيونية و«معجزتها المتحقّقة على الأرض»، أي الكيان الاستيطاني الإحلالي، أمام ما اعتبروه تهديداً وجودياً لها، ومسعاهم للدفاع عن منظومة هيمنتهم على الإقليم الذي يحتل فيها الكيان موقع حجر الزاوية، إضافة إلى اعتبارات سياسية وانتخابية داخلية للنخب والأحزاب الحاكمة في دول الغرب. غير أن عاملاً آخر يلقي الضوء على خلفيات الجموح الغربي الراهن لم يتم التطرق إليه بشكل كاف، وهو ذلك المتمثل بسياق الحرب العالمية الراهنة، الدائرة حتى اللحظة على الساحة الأوكرانية بين حلف الأطلسي وروسيا، والمواجهة القابلة لتدحرج خطر بين الصين من جهة والولايات المتحدة وحلفائها في شرق آسيا من جهة أخرى.

> المزاعم حول دور روسي مباشر أو غير مباشر في مساعدة المقاومين الفلسطينيين لا تستند إلى أدنى دليل

الحرب والمواجهة المشار إليهما، مع مفاعيلهما، تسهم كلّها في إنتاج سياق حرب عالمية يحفّز دول الغرب على إدخال تغييرات حاسمة على سياساتها وأولوياتها، من نوع إعادة بناء قاعدة صناعية عسكرية مثلاً، مع ما يقتضيه ذلك من إنفاق باهظ، وتغيير لجدول أعمال حكوماتها. أما على مستوى سياساتها الخارجية، فهي أصبحت محكومة بمركزية هذا السياق، وتنظر من خلاله إلى الكثير من الأحداث والتطورات، وبينها معركة غزة. بكلام آخر، عملية «طوفان الأقصى»، من منظور واشنطن وأتباعها من الغربيين، عن قصد أو غير قصد، أفادت روسيا والصين. وهذا سبب إضافي لمساهمتهم في حرب الإبادة الصهيونية ضد أهل غزة ومقاومتهم. وبعد مرور أكثر من 4 أشهر عليها، والفشل في تحقيق هدفها الأساسي المتمثل في القضاء على المقاومة، بات بعضهم يدعو إلى وقف العمليات العسكرية، لأن استمرارها والمفاعيل الناجمة عنها قد يكون كلّ ذلك لصالح المنافسين الاستراتيجيين في موسكو وبكين!

تُنسب «نظريات المؤامرة» عادة إلى خصوم الولايات المتحدة، ويقتنع بهكذا زعم من تنقصه المعلومات والمعطيات عن تاريخ السياسة الخارجية الأميركية بشكل خاص والغربية بشكل عام. لم تتردّد واشنطن وغالبية حلفائها في تقديم حركات التحرر الوطني في بلدان ما سُمي بالعالم الثالث، على أنها مجرد أدوات للاتحاد السوفياتي، وجرى التعامل معها على ذلك الأساس، رغم أن بعضها حاول محاورة الولايات المتحدة لبناء علاقات ندّية معها وفشل في ذلك. الأمثلة كثيرة، من مصر جمال عبد الناصر و«تيار القومية العربية»، والثورة الجزائرية وحكومة محمد مصدق في إيران، وحتى كوبا بعد انتصار الثورة على نظام باتيستا. سعى جميع هؤلاء إلى التوصل على الأقل إلى تفاهمات مع واشنطن تحول دون الصراع المفتوح معها، لكنّ رفضهم الانصياع لأجندتها الاستراتيجية أدّى إلى مثل هذا الصراع.

بعد عملية «طوفان الأقصى»، بدأت تتبلور في أوساط الأجهزة الأمنية والعسكرية الأميركية والأوروبية «نظرية مؤامرة» جديدة حيالها، مفادها أن روسيا في الحد الأدنى ساعدت المقاومة الفلسطينية على تنفيذها، إن لم تكن تقف خلفها تماماً، لأنها، وفقاً للتهويمات المشار إليها، المستفيد الأول من فتح جبهة جديدة في شرق المتوسط ضد الولايات المتحدة وحلفائها، بعد تلك المفتوحة في أوكرانيا. وقد سمعنا أصداءً لهذه «النظرية» في بعض وسائل الإعلام اللبنانية ولدى عدد من المحلّلين. في الحقيقة، وبعد عقدين من الاستخفاف بروسيا، فوجئ «الغرب الجماعي» بقدرتها على خوض مجابهة ناجحة على الصعد العسكرية والسياسية والاقتصادية، فانقلب الاستخفاف إلى تهويل بالخطر الروسي الداهم على الغرب ومناطق نفوذه ومصالحه. ووفقاً لنظرية المؤامرة الجديدة، فإن موسكو أحسنت استغلال الكثير من الأزمات التي عصفت ببلدان في المنطقة لـ«تتسلل» إليها وتتحوّل إلى لاعب وازن فيها. المثل الأول الذي يُقدّم هو سوريا، حيث شكّل تدخل روسيا العسكري في أواخر 2015، رافعة لدور سياسي محوري لها في البلد المذكور وعلى مستوى الإقليم. الكلام نفسه يُقال حول التدخل العسكري الروسي في ليبيا وتوظيفه لصالح زيادة النفوذ في المتوسط والسعي لتحويل ذلك البلد إلى منصة لتدخلات جديدة في أفريقيا جنوب الصحراء. أما بالنسبة إلى التطورات التي شهدتها بلدان منطقة الساحل، أي الانقلابات التي وقعت في بوركينا فاسو ومالي والنيجر، فإن «يد موسكو» هي من يقف خلفها برأي أصحاب هذه النظرية الفذّة.

المنطق نفسه ينسحب على معركة «طوفان الأقصى»، التي اكتسبت منذ ساعاتها الأولى أبعاداً إقليمية ودولية، لأن الغرب الجماعي هرع بحاملات طائراته وغواصاته لنجدة إسرائيل! ما يتناساه هؤلاء هو أن «التورط» في هذه المعركة، ومن ثم في غيرها في اليمن وفي سوريا والعراق، بدلاً من التركيز الحصري على الحرب في أوكرانيا، هو قرار قيادات الغرب. ليست روسيا من يُلام على التبعات والأكلاف المترتّبة على مثل هذا الأمر. إضافة إلى ذلك، فإن المزاعم حول دور روسي مباشر أو غير مباشر في مساعدة المقاومين الفلسطينيين لا تستند إلى أدنى دليل أو قرينة. من البديهي أن روسيا، وجميع خصوم وأعداء الولايات المتحدة، يستفيدون من تورطها في حروب ومواجهات تستنزفها عسكرياً واقتصادياً وتزيد من إضعاف صدقية مزاعمها عن «القيم» و«الحرية»، وغيرها من فقاعات الصابون الأيديولوجية. روسيا والصين، على المستوى الإستراتيجي كانتا في مقدّمة المستفيدين من عمليات 11 أيلول عام 2001 وما تلاها من غرق أميركي في وحول الحروب على «الإرهاب». هذه الحروب كانت بمثابة الكارثة الإستراتيجية بالنسبة إلى واشنطن، لكن هل يتجرّأ أحد على اتهام من خطّط لخوضها وأدارها، أي المحافظين الجدد وأقطاب إدارة بوش الابن، من مثل ديك تشيني ودونالد رامسفيلد، بالعمالة لموسكو وبكين؟ الثابت حتى الآن أنه كلما ازداد تورّط الإمبراطورية المهرمة في حروب ونزاعات جديدة، في سياق الحرب العالمية المذكور سابقاً، فإن هذا الأمر يخدم مصالح أعدائها ويثلج صدورهم. ذلك ينطبق على تورّطها في منطقتنا، وربما في مناطق أخرى من المعمورة مستقبلاً.

طوفان الأقصى

«الإصلاح» يدعم تظاهرات «أنصار الله»

صنعاء لحلفاء العدوّ: ترقّبوا تحوّلاً دراماتيكياً

صنعاء - **رشيد الحداد**

رغم تمكّنها من إرباك القوات البحرية الأميركية والبريطانية في البحر الأحمر خلال الأسابيع الفائتة، تتّجه صنعاء إلى تفعيل تكتيكات عملياتية مغايرة، بهدف فرض معادلات جديدة قد تتجاوز نطاق هذا البحر، في الأيام المقبلة. ويقول أكثر من مصدر عسكري في صنعاء، لـ«الأخبار»، إن «التحوّل العسكري الدراماتيكي المنتظر سيأتي متناسباً مع حجم المعركة»، موضحةً أن «القوات اليمنية لم تستخدم حتى الآن أيّ أسلحة استراتيجية»، وهو ما قد يتبدّل قريباً، مضيفة أن حديث قائد حركة «أنصار الله»، السيد عبد الملك الحوثي، في خطابه الأخير، عن تصاعد عملية تطوير الأسلحة

> **السفن الإسرائيلية في البحر المتوسط لن تكون آمنة في ظل امتلاك صنعاء أسلحة يتجاوز مداها الألفي كيلومتر**

البحرية، وارتفاع مستوى قدرات قواته العسكرية، يأتي في ذلك السياق. وتلمّح المصادر إلى أن السفن الإسرائيلية التي تمرّ في البحر المتوسط لن تكون آمنة في ظل امتلاك صنعاء أسلحة متطورة يتجاوز مداها الألفي كيلومتر، مشيرة إلى أن «المرحلة العسكرية المقبلة مرحلة عمليات مفاجئة تفوق كل الحسابات العسكرية الأميركية والبريطانية والإسرائيلية». وحول ما إذا كانت ثمة هجمات ستُنفَّذ في العمق الإسرائيلي، تكتفي المصادر بالقول إن «البعض منها سيكون خارج حدود الجمهورية اليمنية، ولكن وفق بنك أهداف جديد وبعمليات صادمة ستغيّر مسار المعركة بنسبة كبيرة».

يأتي ذلك تزامناً مع استمرار التصعيد العسكري المعادي في البحر الأحمر خلال الساعات الماضية، إذ أفادت مصادر أمنية في محافظة الحديدة، «الأخبار»، بأن طيران العدوان الأميركي - البريطاني كثّف، أمس، غاراته على عدد من المناطق الساحلية في المحافظة، ونفذ ست غارات جديدة على ثلاث دفعات استهدفت الصليف ورأس عيسى ومنطقة الجبانة شمال مطار الحديدة.

وفي الوقت الذي أعلنت فيه القيادة المركزية الأميركية، في بيان، قيام قواتها باستهداف «ستّة صواريخ كروز تابعة للحوثيين، وطائرة مسيّرة فوق البحر الأحمر»، قالت مصادر حقوقية في جنوب الحديدة إن الطيران الأميركي قصف قارب صيد تابعاً لأحد الصيادين من أبناء تهامة، بالقرب من جزيرة حنيش، ما أدى إلى استشهاد صياد وإصابة آخر. واتهمت المصادر، في حديث إلى «الأخبار»، البحرية الأميركية بتعمّد استهداف الصيادين، وتحويل مناطق واسعة من البحر إلى مناطق عسكرية، بمشاركة قوات خفر السواحل الموالية للإمارات.

وفي الاتجاه نفسه، ذكرت مصادر عاملة في الصيد أن القوات الموالية للإمارات تعمل على مساندة البحريتين الأميركية والبريطانية بشكل مكثّف في المناطق الممتدة من جزيرة حنيش حتى جزيرة ميون المطلة على مضيق باب المندب، وتمنع ممارسة الصيد في عدّة مساحات تحت مبرّر تحويلها إلى مناطق عسكرية، والتمركز في عدد من الجزر اليمنية، وأنها تدارست تحويل جزيرة عبد الكوري إلى جزيرة عسكرية إماراتية - أميركية، بالتوازي مع تصعيد عسكري برّي في الساحل الغربي».

كذلك، كشفت مصادر دبلوماسية مطّلعة، لـ«الأخبار»، عن توجّه بريطانيا لتعزيز نفوذها في عدد من الجزر الواقعة في المياه الإقليمية القريبة من الخط الملاحي الدولي. ووفقاً لمراقبين، فإن التحركات الأخيرة للفصائل الموالية للإمارات - تأتي في إطار تنسيق إماراتي - بريطاني لتحويل عدد من الجزر الاستراتيجية في البحر الأحمر إلى حاميات عسكرية مشتركة بذريعة حماية الملاحة الدولية، على غرار ما قائد «القوات الوطنية» الموالية للإمارات، طارق صالح، الذي يزور لندن منذ أيام، خطة تصعيد بحرية تهدف إلى السيطرة على الجزر اليمنية الخارجة عن سيطرة ميليشياته في البحر الأحمر، ودعم قوات خفر السواحل الموالية لأبو ظبي، مقابل القيام بدوريات مكثّفة بشكل دائم. وأشارت المصادر إلى أن «بريطانيا تعتزم إنزال المئات من عناصر البحرية الملكية في عدد من الجزر الواقعة خارج سيطرة صنعاء، كخطوة أولى في إطار استعادة نفوذها في البحر الأحمر، إلا أن التوجّه البريطاني الأخير أثار حفيظة حزب الإصلاح في تعز، الذي رأى فيه تهديداً لنفوذه في المناطق المطلّة على باب المندب، ودفعه إلى التقارب مع صنعاء».

مسيرة حاشدة في صنعاء تضامنا مع غزة (أ ف ب)

وفي هذا الإطار، وبعد موافقة حزب «الإصلاح» في تعز على مبادرة تقدّمت بها صنعاء بشأن فتح طريق حيفان - طور الباحة، وهو خط دولي يربط محافظة تعز بمحافظتَي لحج وعدن، اعتبر مراقبون تلك الموافقة «رسالة إيجابية». وكان الحزب قد دعا أيضاً أنصاره في تعز إلى المشاركة في تظاهرات الجمعة تضامناً مع غزة، وتزامناً مع التظاهرات التي نظّمتها صنعاء في كل أنحاء المحافظات الواقعة تحت سيطرتها، في خطوة هي الأولى من نوعها منذ بدء العدوان الإسرائيلي على القطاع. وكانت وسائل إعلام «الإصلاح» قد أبدت امتعاض الحزب من التحرك البريطاني الأخير، ونقلت عن مسؤولين قولهم إن طارق صالح تلقّى وعوداً بريطانية بدعم كبير للسيطرة على الشريط الساحلي لليمن، مؤكدة أن لندن استدعت كلّ قيادات الميليشيات الموالية للإمارات في الساحل الغربي بشكل خاص، بمن فيها قيادات من «المجلس الانتقالي الجنوبي»، ضمن خطة وضعتها أبو ظبي لتمكين فصائلها من السيطرة على السواحل اليمنية، والمشاركة في ضمان حماية الملاحة الإسرائيلية والبريطانية والأميركية.

سوريا

إقالة قائد «سوريا الحرة»

واشنطن تجهد لتحصين «التنف»

الحسكة - **ابهم مرعي**

منذ حادثة استهداف قاعدة «التنف» الأميركية غير الشرعية، على مثلث الحدود السورية مع العراق والأردن، من قبل فصائل «المقاومة الإسلامية في العراق» قبل أكثر من شهر، لم تنقطع محاولات الأميركيين تجاوز آثار الحادثة التي قتلت ثلاثة جنود وأصابت 34 آخرين، وضمان عدم تكرارها بعدما عُدّت اختراقاً أمنياً وعسكرياً كبيراً لهم. وبالإضافة إلى الخطوات التي لجأت إليها واشنطن، على غرار تعزيز قاعدتها تلك بعدد إضافي من الكاميرات الحرارية ومناطيد المراقبة، ونصب منظومات دفاع جوي إضافية متخصّصة بالتصدي للأهداف القريبة كالصواريخ القصيرة المدى والطائرات المُسيّرة الانتحارية، عملت على تشكيل مجموعات محلية لرصد أيّ تحركات مشبوهة ضد قواتها، وتعزيز قدراتها الاستخباراتية في هذا المجال.

وفي السياق، أصدرت قيادة القاعدة الأميركية في منطقة التنف جنوبي سوريا، أخيراً، قرار إقالة قائد «جيش سوريا الحرة»، محمد فريد قاسم، من منصبه، وتعيين المقدّم المنشق عن الجيش السوري، سالم تركي العنتري، بدلاً منه، في محاولة لترميم الأمور داخلياً، وإنعاش الفصيل وتوحيده، والعمل على تقويته، تمهيداً لاستخدامه في تعزيز حماية منطقة التنف، ومحيط القاعدة فيها. كما طلبت قيادة «التحالف الدولي» من «المجلس العسكري لجيش سوريا الحرة»، تكثيف عمله، وزيادة عناصر الحراسة في المنطقة، وتعقّب أي تحركات مشبوهة في مخيم الركبان ومنطقة الـ55 كلم، في وقت جرى فيه تزويده بدفعة جديدة من الأسلحة، وإشراكه في مناورات عسكرية بالذخيرة الحية، في محاولات لرفع معنوياته.

وتأتي هذه المساعي، فيما فشلت المحاولات السابقة في إنعاش الفصائل العسكرية في منطقة الـ55 كلم، بعد نحو عام ونصف عام من التشتت الذي عاشته منذ إقالة القائد السابق مهنّد الطلاع، وتعيين القاسم بديلاً منه، لقيادة فصيل «مغاوير الثورة» الذي تمّ تغيير اسمه لاحقاً إلى «جيش سوريا الحرة»، ما أسفر حينها عن توتر العلاقات مع الأميركيين. ولم تقتصر الأمور وقتها على العسكريين، بل تظاهر أهالي مخيم الركبان حينذاك احتجاجاً على التغييرات التي أجراها «التحالف»، حالهم حال «مجلس العشائر» و«المجلس المحلي» اللذين احتجّا على تلك التغييرات، فيما فرضت واشنطن القاسم وقيادة مجلسه بالقوة، وحاصرت مقرات الفصائل، وأجبرتها على القبول به مكرهة، أو تسليم أسلحتها ومغادرة المنطقة.

ومنذ تلك الفترة، بقيت الخلافات والانشقاقات والمكائد هي المسيطرة على الحالة العسكرية والمدنية في التنف، ما دفع القاسم إلى التحرك خارج مربع هذه المنطقة، ومغازلة «قسد»، ومحاولة تأسيس علاقات مع فصائل ومجموعات أخرى، لإثبات جدارته، إلا أن كل مساعيه فشلت، في حين تصاعد الرفض الأهلي لوجوده على رأس القيادة العسكرية، ووُجّهت اتهامات إليه بمحاولة فرض حكمه بالقوة، وارتكاب انتهاكات بحق عدد من العسكريين والمدنيين المعارضين له، بالإضافة إلى قيامه بإقالة وتجميد عدد من معارضي «قيادة جيش سوريا الحرة»، ولعلّ حادثة الهجوم على رتل عسكري يرأسه القاسم، من قبل عدد من الأشخاص، كانت بمثابة رسالة احتجاج أخيرة إلى «التحالف»، بضرورة التحرك ووقف ممارسات المذكور وإبعاده عن المشهد العسكري للمنطقة.

> **يأتي قرار إقالة القاسم بعد حادثة محاولة اغتياله بخمسة أيام**

ويأتي قرار إقالة القاسم بعد حادثة محاولة الاغتيال بخمسة أيام، وهو يترافق مع إحداث تغييرات عسكرية في بنية الفصيل، الذي أوكلت قيادته إلى سالم العنتري، المنحدر من مدينة تدمر، بعد أن كان مستبعداً من القيادة العسكرية بقرار من القاسم. والظاهر أن اختيار واشنطن للعنتري نابع من إدراكها أن وجود شخصية عسكرية من تدمر، سيجمع جزءاً من شتات الفصائل والأهالي، على اعتبار أن معظم القاطنين في مخيم الركبان، بمن فيهم العناصر العسكريون، ينحدرون من منطقتَي تدمر والسخنة في ريف حمص، ومن ريف دير الزور. وهنا، تؤكد مصادر ميدانية أن «قرار إقالة فريد القاسم جاء متأخراً، لأنه لم يحظ بأيّ قبول من المدنيين والعسكريين منذ لحظة تعيينه»، متهمة إياه بأنه «على علاقة وثيقة بتنظيم داعش ورفض سابقاً قتاله علناً». وكشفت المصادر، في حديثها إلى «الأخبار»، أن «وثائق وصلت إلى التحالف عن تورطه في ملف المخدّرات، وارتكابه انتهاكات إنسانية بحقّ العديد من المدنيين والعسكريين، ما أجبر الأميركيين على القيام بالتغيير»، مشيرة إلى أن «الولايات المتحدة تسعى إلى كسب الحاضنة الشعبية، وإعادة توحيد جيش سوريا الحرة، ومحاولة زيادة عناصره، لإدراكها أهمية ذلك لتحقيق الحماية المطلوبة لقاعدة التنف».

تقرير

مفاجأة «المحكمة العليا»

عقبات أقلّ في طريق ترامب

حملت التطورات التي شهدتها الانتخابات التمهيدية في الولايات المتحدة، خلال الأيام الماضية، أنباءً سارة للرئيس السابق، دونالد ترامب، وأخرى «مقلقة» للرئيس الحالي، جو بايدن، وداعميه، ولا سيما في ما يتعلق بتأكل الدعم الشعبي للأخير، على خلفية استمرار دعم الولايات المتحدة للجرائم الإسرائيلية المرتكبة في قطاع غزة. في المقابل، شكّل قرار «المحكمة العليا الأميركية» منح ترامب فرصة تقديم ادّعاء أمامها، حول تمتعه «بالحصانة من الملاحقات الجنائية على أفعال ارتكبها خلال ولايته»، «انتكاسة» للديموقراطيين الذين كانوا ينتظرون أن يُحاكم الرئيس السابق، في الرابع من الشهر الجاري، بتهمة محاولة الانقلاب على نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة، قبل أن تصدر المحكمة قرارها الجديد، الذي رأى فيه عدد من المراقبين «تساهلاً غير اعتيادي» مع المتهمين الذين يخضعون لها في العادة، علماً أنّ موعد الاستماع إلى مرافعات ترامب سيكون في 22 نيسان. بتعبير آخر، إنّ القرار المشار إليه يمكن أن يؤخّر موعد محاكمة ترامب إلى ما بعد انتخابات تشرين الثاني المقبل، وهو الهدف الذي كان محامو الرجل يدفعون في اتجاهه منذ البداية.

وقضية الانتخابات الفيدرالية تلك، هي بمنزلة «قنبلة سياسية»، مقارنة بالاتهامات الجنائية الثلاثة الأخرى التي يواجهها الرئيس السابق، إذ كان من المتوقع أن تُلحق به «الضرر السياسي الأكبر» في الانتخابات الرئاسية المقبلة، بحسب صحيفة «فايننشال تايمز»، التي استشهدت بإحصاء نشرته شبكة «إن بي سي» الأميركية، في وقت سابق من شباط، يظهر أنّ ترامب تخلّف في استطلاعات الرأي عن بايدن، بنسبة 43% مقابل 45%، عندما سُئل المعنيون بالاستطلاع عن خياراتهم في حال أُدين ترامب بارتكاب جناية هذا العام. على أنه بعد خطوة «المحكمة العليا»، أصبح على الديموقراطيين التكيف مع فكرة أن ترامب من غير الممكن أن يتعرّض لأي إدانة قبل تشرين الثاني، ولا سيما أنّ التصويت عبر البريد يبدأ قبل أسابيع من موعد التصويت الحضوري.

على الضفة الأخرى، جاء فوز بايدن «السهل» نسبياً في ولاية ميشيغان، الثلاثاء، «مُطعماً» بنوع من الهزيمة، بعدما اصطدم بمعارضة شديدة ومنظمة من قبل الديموقراطيين المعارضين لسياساته تجاه الحرب في غزة، ولا سيما رفضه لوقف إطلاق النار. وخلال الأسابيع التي سبقت الانتخابات التمهيدية لـ«الحزب الديموقراطي» في الولاية، أطلق ناشطون أميركيون من أصول عربية وليبراليون حملة منسّقة، دعوا عبرها الديموقراطيين إلى التصويت بـ«غير ملتزم»، بدلاً من منح أصواتهم لبايدن. واللافت أنّ مجموعة «استمع إلى ميشيغان» التي نظّمت هذه الحملة، هي من بادرت إلى الاحتفال بعد إغلاق صناديق الاقتراع في الولاية، بدلاً من مناصري بايدن، بعدما تجاوزت هدفها المتمثل بجمع أكثر من 100 ألف صوت («غير ملتزم»). وفيما حاول المسؤولون عن حملة بايدن «التقليل» من أهمية النتائج المشار إليها، إلا أنّ القادة الديموقراطيين كانوا قد بدأوا يعربون عن قلقهم، منذ ما قبل انتخابات الثلاثاء حتى، حول إمكانية تحقيق بايدن للفوز في الولاية في تشرين الثاني، علماً أنّ ميشيغان تضمّ أكبر عدد من السكان العرب - الأميركيين والمسلمين في البلاد، وأنّ طريق بايدن إلى البيت الأبيض ستكون صعبةً، بل «مستحيلة» حتى، في حال خسر فيها، بحسب صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية.

من جهته، يقترب ترامب، أكثر فأكثر، من نيل بطاقة الترشح عن «الحزب الجمهوري»، بعدما فاز في ولاية كارولينا الجنوبية، وهي مسقط رأس منافسته المنتبقية، نيكي هايلي، وفي ميشيغان في وقت لاحق. وفي أعقاب فوزه في الأخيرة، اعتبر ترامب أنّ ذلك «يعني الفوز بكل شيء»، مشيراً إلى أنّ النتائج التي حصدها كانت «أفضل من المتوقع».

(الأخبار)

دعوة الى جمعية عمومية عادية

الصندوق التعاضدي للمزينين المحترفين في لبنان

سيعقد الصندوق التعاضدي للمزينين المحترفين في لبنان جمعية عمومية عادية الواقع يوم الاثنين بتاريخ ٢٠٢٤/٠٤/٠٦ في مركز نقابة – جديدة عند الساعة الرابعة واذا لم يكتمل النصاب القانوني سيتم عقد جلسة ثانية عند الساعة السادسة مساء في نفس اليوم والمكان والتي سيكون على جدول اعمالها الموافقة على الاوراق والبيانات المالية وتبرئة مجلس الادارة لعام ٢٠٢٣.

إعـــلان

دعوة لعقد جمعية عمومية عادية للجمعية التعاونية لصيادي الأسماك في الضبية وجوارها م.م. يوم الجمعة الموافق فيه ٢٠٢٤/٠٤/٠٥ في تمام الساعة الخامسة مساءً في مركز التعاونية في الضبيه لمناقشة ميزانية العام ٢٠٢٣ وإبراء ذمة مجلس الإدارة. وإذا لم يكتمل النصاب القانوني تعقد الجلسة الثانية في تمام الساعة السادسة بمن حضر.

رئيس التعاونية: جيلبر معلوف

غالاوي يعود إلى مجلس العموم: «خذ هذا من أجل غزة»

لندن - **سعيد محمد**

في ما يشبه زلزالاً أصاب المشهد السياسي البريطاني، اكتسح جورج غالاوي، النائب السابق وزعيم «حزب العمّال» البريطاني (ووركرز بارتي)، الانتخابات الفرعية التي حقّقها «حزب العمل» المعارض، بزعامة كير ستارمر، في انتخابات فرعية سابقة، دائماً على حساب «المحافظين» - بزعامة رئيس الوزراء ريشي سوناك - الذي انهار التأييد الشعبي له بعد عقد ونصف عقد من الأزمات المتراكمة، وسوء الإدارة، والفضائح، وتعاقُب الشخصيات الباهتة على رئاسة السلطة التنفيذية في البلاد. وعلى رغم أن فوز غالاوي لن يكون له على الأرجح تأثير كبير على مجمل السياسة الرسمية البريطانية، إلا أن الرجل معروف بقدرته على الجدل والخطابة وجرأته البالغة في طرح وجهات نظر تعتبرها النخبة الحاكمة بمثابة «هرطقة» تامّة.

وغالاوي، الذي بدأ حياته السياسية نائباً عن «حزب العمل» (قبل أن يُطرد منه على خلفية اختلاف المواقف في شأن العدوان الأميركي - البريطاني على العراق)، رفض إدانة هجمات السابع من أكتوبر، قائلاً: «لا يمكنك أن تحشر الناس في وضع يتعرّضون فيه للقمع لـ 75 عاماً، ثم لا تتوقّع منهم ردّ فعل»، وهو أيضاً ناقد دائم للحروب التي يشنّها الأميركيون حول العالم، بما فيها الحرب الحالية ضدّ روسيا، على الأراضي الأوكرانية. ولم يكن كثيرون يتوقّعون فوز غالاوي - الذي ينحدر من أصول اسكتلندية - في منطقة عُدّت دائماً معقلاً لـ«حزب العمل»، لكن الحزب تسبّب، ولو بشكل جزئي، في إرباك الحملة الانتخابية للمرشّح أزهر علي، بعدما قرّرت القيادة اليمينية التخلّي عن ترشيحه قبل أيام قليلة من التصويت، وذلك على إثر نشر تصريحات أدلى بها المرشح في وقت سابق في شأن هجوم السابع من أكتوبر، والحرب الإسرائيلية على غزة، «حماد» فيها عن سياسة الحزب وتوجهاته المنحازة إلى إسرائيل. لكن الواقع يقول إن قواعد «حزب العمل» وجمهوره التقليدي مستاؤون للغاية من مواقف قيادة ستارمر، قائلاً: «خذ هذا من أجل غزة». وأضاف وسط عاصفة من التصفيق: «لقد دفعتم، ولسوف تدفعون ثمناً باهظاً مقابل الدور الذي قمتم به في تمكين وتشجيع وتغطية الكارثة التي تحدث حالياً في فلسطين المحتلّة». وتابع غالاوي: «كل مسلم يشعر اليوم بمرارة من مواقف كير ستارمر وحزبه، لكنك ستكون من الحمق إذا لم تدرك أن ملايين المواطنين الآخرين في بلادنا هم أيضاً غاضبون (في شأن ما يجري في غزة)».

> **لم يكن كثيرون يتوقّعون فوز غالاوي في منطقة عُدّت دائماً معقلاً لـ«حزب العمل»**

ومع ذلك، لا يعتقد أكثر المراقبين بأن فوز غالاوي يمكن أن يشكّل خطراً داهماً - إلى الآن - على حظوظ «حزب العمل» المعارض في الوصول إلى السلطة بعد الانتخابات العامة العادية التي ستجرى خلال أقل من عام. ويتقدّم فيها بشكل لافت على «المحافظين» الحاكم، وفق استطلاعات الرأي، إذ إن «حزب العمّال» هامشيّ مقارنة بـ«حزب العمل» العريق. لكن خبراء يقولون إن «العمّال» يعدّ للمنافسة على 60 مقعداً في مجلس العموم المقبل تذهب تقليدياً إلى «العمل»، كما أن هناك فرصاً قائمة لانتشالات واسعة في هذا الأخير، ما قد يعيق خطط ستارمر للوصول إلى «10 داوننغ ستريت» (مقر رئاسة الوزراء في لندن).

وتعليقاً على فوز غالاوي، وصف تجمّع لنواب يهود في البرلمان هذا الفوز بأنه «يوم مظلم للحياة اليهودية في بريطانيا، وللسياسة في هذا البلد بشكل عام». ودعا التجمّع، بقية نواب مجلس العموم، إلى اعتبار الفائز «منبوذاً»، وتجنّب التعامل معه، متّهماً إيّاه بأنه «بيدموجي من أصحاب نظريات المؤامرة، لطالما جلب معه الانقسام والكراهية إلى كل ندوة برلمانية». كما أصدرت «الحملة ضدّ معاداة السامية»، وهي الواجهة العلنية للوبي الصهيوني في بريطانيا، بدورها، بياناً أعربت فيه عن قلقها في شأن «كيفية استخدام غالاوي لمنصّة مجلس العموم في الأشهر المتبقية من هذا البرلمان».

الحدث

انتخابات «هادئة» في إيران: شبح «المقاطعة الشاملة» يبتعد

طهران - **محمد خواجوئي**

انتهت، يوم أمس، انتخابات الدورة الـ12 لمجلس الشورى الإسلامي الإيراني (البرلمان)، والدورة السادسة لمجلس خبراء القيادة، في ظلّ إقبال محدود على أقلام الاقتراع، بلغ حتى ساعات مساء أمس، 39,5% في جميع المحافظات الإيرانية، و23,5% في العاصمة طهران، وذلك على رغم تمديد مهلة الاقتراع حتى الساعة الـ12 ليلاً. وتنافس في هذه الانتخابات، 15 ألف مرشّح على 290 مقعداً برلمانياً، وكذلك 144 مرشّحاً لنيل 88 مقعداً في مجلس خبراء القيادة، فيما جرى الاستحقاق في جوّ من المنافسة بين مختلف المرشّحين عن الأحزاب والتيارات السياسية الإيرانية، في مقدمهم الأصوليون والاعتداليون، في غياب التيار الإصلاحي. أيضاً، أمكن 61 مليوناً و172 ألفاً و298 شخصاً من المواطنين الإيرانيين، بمن فيهم 30 مليوناً و945 ألفاً و133 رجلاً، و30 مليوناً و227 ألفاً و165 امرأة، المشاركة في عملية التصويت؛ إذ أعلن النائب السياسي لوزير الداخلية ورئيس لجنة الانتخابات في إيران، محمد تقي شاهجرافي، مشاركة مليون شخص صوّتوا في 59 ألف مركز اقتراع في 31 محافظة بمدنها وقراها. كما أعلنت العلاقات العامة في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، أن ما يزيد على 350 مراسلاً وإعلامياً أجنبياً لدى 160 وسيلة إعلامية من 20 دولة في أنحاء العالم، إضافة إلى المراسلين الإيرانيين، قاموا بتغطية أخبار ومجريات الانتخابات.

من جهته، أكّد المرشد الأعلى الإيراني، علي خامنئي، بعد الإدلاء بصوته في الساعات الأولى من عملية الاقتراع، أن «أعين العالم تترقّب المستجدات في إيران اليوم»، مخاطباً أبناء شعبه، بالقول: «ينبغي لشعبنا العزيز أن يعلم أن الكثير من الشعوب والسياسيين وأصحاب المراتب القيادية والوطنية في أنحاء العالم، يراقبون ماذا ستفعلون خلال الانتخابات اليوم والنتيجة التي ستفضي إليها هذه العملية». أمّا الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، فوصف على هامش مشاركته في الاقتراع، الانتخابات بأنها «عرس وطني وتجسيد للتماسك والوحدة في البلاد»، قائلاً إن «الشعب الإيراني هو المنتصر وليس هناك خاسر في هذه الساحة... فالجميع ساهم انطلاقاً من واجبه في إنجاح هذا العرس الوطني».

وفي هذه الدورة من الانتخابات، كان الاهتمام أكثر من أيّ شيء آخر، بعدد الأشخاص المؤهّلين للمشاركة في الاستحقاق، ذلك أن بعض شرائح المجتمع الإيراني أحجمت عن المشاركة بسبب عدم رضاها عن الأوضاع الداخلية في البلاد، علماً أن هذه الانتخابات هي الأولى بعد الاحتجاجات التي اندلعت في خريف عام 2022، عقب وفاة الشابة مهسا أميني في أحد معتقلات الشرطة في طهران. وعلى رغم أن المصادر الرسمية الإيرانية لم تكن أعلنت، حتى ليل أمس، عن مستوى المشاركة الشعبية، إلا أن غالبية استطلاعات الرأي قدّرت بلوغها حوالى 40%-45%، في حين أفادت مصادر مطّلعة، «الأخبار»، بأن هذه النسبة بلغت 39,5% حتى الساعة العاشرة من ليل أمس. وفي هذا الإطار، قال الناطق باسم مجلس صيانة الدستور، هادي طحان نظيف، إن المشاركة الشعبية في الانتخابات الحالية «أفضل» من دوراتها السابقة، مضيفاً، في تصريح للصحافيين على هامش تفقّده مقرّ لجنة الانتخابات المركزية في طهران، أنه «وبحسب الأدلة الميدانية التي تم الحصول عليها من المراقبين، فإن نسبة المشاركة كانت جيدة، بل وأفضل من انتخابات البرلمان الـ11. وسنعلن عن الإحصائيات النهائية والتكميلية بعد الانتهاء من عملية الفرز». وتابع: «لم يتمّ تسجيل أيّ اختراق أو مخالفة قانونية منذ بدء الانتخابات، سوى بعض النقاط الجزئية، وهو أمر طبيعي، وقد تمّت متابعتها ومعالجتها».

تتوقّع أن تظل أغلبية مقاعد البرلمان المقبل من حصة التيار الأصولي (أ ف ب)

> قدّرت استطلاعات الرأي بلوغ نسب المشاركة حوالى 40%-45%

ومن المرجّح أن تُعلن النتائج النهائية للانتخابات مع بداية الأسبوع المقبل، فيما يُتوقع أن تظلّ أغلبية مقاعد البرلمان المقبل من حصة التيار الأصولي. لكن يبدو أنه، وبسبب الخلافات الداخلية في صفوف الأصوليين، بعد تشكيل البرلمان، سيتحوّل هذا التيار إلى عدّة كتل برلمانية. وفي الوقت نفسه، يمكن التيار الاعتدالي القريب من رئيس الجمهورية السابق حسن روحاني، ورئيس البرلمان السابق علي لاريجاني، أن يصبح أقلية فعّالة في البرلمان من خلال الفوز بما لا يقلّ عن 50 مقعداً.

السودان

الحرب تجتاح «الجزيرة»: توالد مبادرات... بلا نتائج

الخرطوم - **مي علي**

في الوقت الذي تستبيح فيه قوات «الدعم السريع» قرى ولاية الجزيرة وسط السودان، في ظل غياب كامل للجيش، يقود رئيس «مجلس السيادة»، عبد الفتاح البرهان، ونائبه مالك عقار، تحركات دبلوماسية في عدد من الدول الأفريقية، لا يعوّل عليها لتحقيق اختراق في جدار الحرب، فيما يبدو أن الهدف منها تأليب زعماء تلك الدول على «الدعم» من بوابة انتهاكاتها بحق المواطنين، ثم الدفع نحو تجريمها من قبل «المجتمع الدولي». وفي السياق نفسه، لا يستبعد مراقبون أن يكون الهدف من إحجام قيادة الجيش عن إصدار تعليمات لإنقاذ أهالي قرى الجزيرة، حصد المزيد من الإدانات الدولية لـ«الدعم»، وبالتالي تحصيل مكاسب للجيش، علماً أن «لجان المقاومة» السودانية أصدرت بياناً، وصفت فيه ما يحدث في الولاية بـ«الجرائم ضد الإنسانية»، متهمةً «الدعم» بمهاجمة 53 قرية، وارتكاب مجازر وإرهاب وسلب ونهب بحق مواطني هذه القرى، وسط انقطاع كامل لشبكة الاتصالات والإنترنت لأكثر من ثلاثة أسابيع.

وتأتي هذه التطورات فيما فشلت كل الجهود التي قادتها عدة دول عربية بالشراكة مع أطراف غربية، أو تلك التي قادتها المنظمات الأفريقية، من مثل «الهيئة الحكومية للتنمية في شرق أفريقيا» (إيغاد)، في وضع حدّ للحرب المستعرة في البلاد منذ الخامس عشر من نيسان الماضي، والتي خلّفت أكثر من 13 ألف قتيل ونحو 8 آلاف نازح ولاجئ، وفقاً لأرقام الأمم المتحدة. ورغم ما تقدّم، دخلت ليبيا، التي تربطها بالسودان حدود مشتركة، على خط الأزمة على نحو مفاجئ، بإعلان رئيس حكومة «الوحدة الوطنية»، عبد الحميد الدبيبة، مطلع الأسبوع الماضي، في اتصال هاتفي مع قائد «الدعم السريع»، محمد حمدان دقلو، عن مبادرة لإحلال السلام في السودان. وإذ أثارت خطوة الدبيبة الأخيرة، انتقادات محلية، على اعتبار أن ليبيا نفسها عاجزة عن إيجاد حلول لأزماتها الداخلية، فضلاً عن افتقارها إلى مؤسسات حكومية تؤهلها للعب دور الوسيط، فقد فشل الرجل في الجمع بين البرهان ودقلو، إذ وصل الأخير إلى طرابلس بعد 72 ساعة من مغادرة الأول الأراضي الليبية، الإثنين الماضي. وبحسب بيان لـ«مجلس السيادة» السوداني، فإن البرهان أطلع الدبيبة على التطورات في السودان وعلى «الانتهاكات الجسيمة التي قامت بها قوات الدعم واستهدافها للمدنيين، وانتهاجها سياسة التدمير الممنهج للدولة السودانية»، فيما أكد رئيس «المجلس الرئاسي الليبي»، محمد المنفي، دعم بلده لوحدة واستقرار السودان، ولجهود البرهان الرامية إلى تحقيق ذلك.

وبعيداً من المواقف المعلنة، يحتمل مراقبون أن تكون التحركات الليبية نابعة من الخشية من زيادة تدفّق اللاجئين السودانيين إلى الأراضي الليبية في حال توسع الحرب واستمرارها، ولا سيما من ولايات دارفور المتاخمة للحدود، علماً أن خليفة حفتر، على علاقة بالدعم السريع»، ومستدركاً بأن «ليبيا لا تزال دولة هشة ويمكن عبرها توريد السلاح إلى السودان».

وعلى خطّ موازٍ، أنهى البرهان زيارة إلى القاهرة استمرت عدة ساعات، أجرى أثناءها مباحثات مع الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، الذي جدّد «حرص بلاده على أمن السودان، ومواصلة الدعم لتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني فيه، ودعم وحدة الصف السوداني وتسوية النزاع القائم»، وفقاً لبيان «الرئاسة المصرية»، فيما عرض البرهان على الجانب المصري «رؤية الحكومة لإنهاء الحرب واستدامة السلام». وفي هذا الإطار، يرى محلّلون أن مصر تحاول إنعاش المسار السياسي لإنهاء الأزمة السودانية، ولا سيما بعد فشل المبادرات التي كانت هي جزءاً منها من مثل منبرَي «جدة» و«المنامة». وبحسب بابكر، فإن مصر «تحاول لعب دور أساسي في الأزمة السودانية، عبر علاقاتها مع أطرافها، سواء العسكر أو الأحزاب أو القوى المدنية». ويشير إلى أن زيارة البرهان «تمت بناءً على رغبة الحكومة المصرية»، مضيفاً أن «الأخيرة وبحكم علاقاتها مع الرجل، تستطيع الضغط عليه في إطار الجهود الدولية والإقليمية الممزولة لحل الأزمة سلمياً». وفي المقابل، يبدو أن البرهان يهدف من وراء قبول الوساطات الخارجية، إلى أن يبرهن انفتاحه على كل المبادرات السياسية، من دون التعويل عليها للخروج بنتائج ملزمة لوقف إطلاق النار، كونه أكّد، وفي أكثر من مناسبة، أن الحل يكمن في الداخل، وأن التفاوض لوقف الحرب ينبغي أن يتمّ بين الأطراف السودانيين أنفسهم.

> يبدو أن البرهان يهدف من وراء قبوله الوساطات الخارجية، إلى أن يبرهن انفتاحه على كل المبادرات السياسية

تحاول مصر إنعاش المسار السياسي لإنهاء الأزمة السودانية، بعد فشل المبادرات التي كانت هي جزءاً منها (أ ف ب)

رأي

وليمة القتل بين بايدن ونتنياهو

سعد الله مزرعاني *

بعد تسريبات لقناة «الجزيرة» حول بنود «إطار جديد» لصفقة تبادل وترتيبات هدنة، يُفترض أن تؤدي إلى وقف إطلاق نار، بين العدو الصهيوني والمقاومة في غزّة، سارع الرئيس الأميركي جو بايدن، يوم الثلاثاء الماضي، إلى تحديد يوم الإثنين القادم (بعد غد) موعداً لبدء تنفيذ الاتفاق وسريان الهدنة! ما هو الوضع الفعلي، في الطور الراهن من الحرب الصهيونية على غزّة؟ ولماذا بكّر الرئيس بايدن في الإعلان عن صفقة سارعت إسرائيل إلى استغراب الإعلان عن موعد بدء تنفيذها، وأكّد المندوب القطري المعني أنها ما زالت قيد تفاوض معقّد؟

ثمّة، في نطاق الشراكة الأميركية – الإسرائيلية في علاقتهما عموماً، وفي العدوان على الشعب الفلسطيني والغزّاوي، خصوصاً، مشتركات كبرى وتباينات صغرى. أمّا المشترك الأهم فهو تمكين العدو من إحكام القبضة على كامل فلسطين، وإدماج الكيان الصهيوني في المنطقة، قوةً سياسية وأمنية واقتصادية... محورية: في نطاق هيمنة أميركية كاملة على الشرق الأوسط الواسع الممتد من موريتانيا إلى باكستان. التباينات، بين الطرفين، في الشأن الفلسطيني، تحضر، أحياناً، في التفاصيل والإجراءات. وهي تشمل، حسب المتغيّرات والتوازنات: مسائل، كحجم الوجود الديموغرافي الفلسطيني ومواقع توزّعه وحضوره في الكيان المغتصب، موقع الفلسطينيين في دولة الكيان «اليهودية»، مسألة إدارة المناطق ذات الأكثرية الفلسطينية، نوع الإدارة أو «السلطة الفلسطينية» وحدودها ووظيفتها، الموقف من القدس وخصوصاً المسجد الأقصى فيها، موضوع المستوطنات ووظيفتها وحجمها. وآخر القائمة وليس أخيرها، الوسائل المناسبة لتحقيق الهدف الكبير المشترك.

يصادف الآن، في الطور الراهن من المعركة خصوصاً، أن الرئيسين الأميركي والإسرائيلي يواجهان وضعاً استثنائياً: الأول في سعيه لتجديد ولايته في تشرين الثاني المقبل، والثاني في معاناته من وضع حساس على المستوى السياسي والشخصي، بما يجعله متأرجحاً، حسب نتائج الحرب: ما بين تجديد زعامته وحكمه، أو دخول السجن مداناً بالإخفاق والفساد!

من جهته، الرئيس بايدن وبحكم موقعه ومصلحته، سارع، منذ البداية، إلى توفير كل الدعم للقيادة في تل أبيب ولنتنياهو شخصياً. وهو كان يأمل، من خلال الحرب على غزّة، أن يحقق ثلاثة أهداف:

1- دعم المشروع الاغتصابي الصهيوني في فلسطين.

2- تعزيز النفوذ الأميركي في المنطقة بعد خيبات العراق وأفغانستان، ما يزيد فرصه الانتخابية.

3- تعزيز حظوظه في كسب دعم جماعات الضغط الصهيونية ذات النفوذ الكبير في معركته الرئاسية.

لم تسر الرياح كما اشتهت إدارة بايدن بسبب الإخفاق الإسرائيلي أمام بطولة المقاومين وصمود المدنيين في غزة.

هو بدأ يلاحظ، بالأرقام، وبقلق متزايد، أن موقفه الحامي للمجازر الإسرائيلية خصوصاً (والتي تفاقمت وحشيتها كأسلوب رئيسي في خطة العدو العسكرية)، قد بدأ ينعكس سلباً على جزء مهم من مؤيديه ذوي الأصول الآسيوية والأفريقية... دلّت على ذلك التظاهرات والاستطلاعات والانتخابات التمهيدية والوفود المحتجّة والمطالبة... لذلك، وإزاء التعنّت الإسرائيلي، اضطُر أن يطلق بعض «التنتيعات» ذات الوظيفة المحددة: تخفيف الخسائر الأميركية، بالتمايز عن موقف نتنياهو وفريقه الفاشي المتطرف الحاكم. ثم إن الرئيس الأميركي المضطر للدفاع عن الموقف الإسرائيلي، من حيث المبدأ، كان عليه أن يتعامل مع مسألتين ضاغطتين: الأولى، أن واشنطن عطّلت، للمرة الثالثة، منفردة تماماً، مشاريع قرارات وقف إطلاق النار وآخرها المشروع الجزائري. وهي علّلت ذلك بعدم إفساد محاولة التوصل إلى تفاهم (لـ«تحرير الأسرى الإسرائيليين» بوصفه أولوية أميركية دائمة). لذلك وجدت نفسها مطالبة بترجمة ذلك فعلياً، لكي لا تُتهم، مرةً جديدة، بأنها شريكة في العدوان وفي الإبادة. يتصل بذلك، أيضاً، أن واشنطن تحاول، من خلال الإيحاء بقرب حصول الصفقة، حماية تل أبيب في «محكمة العدل الدولية»، فضلاً عن حماية نفسها أيضاً، باعتبارها، حسب مداخلات كل الدول أمام قضاة المحكمة، شريكة في المسؤولية، وفي حماية ارتكابات إسرائيل، عبر وضع تل أبيب فوق القانون الدولي: فُعفاة من المساءلة أو العقوبة!

> واشنطن، في المحصّلة، تريد ان تكون «الدولة الفلسطينية» تلك، خاضعة لإسرائيل مع بعض الشكليات والتدرج الذي تقتضيه المستلزمات الضرورية في المنطقة

في الجانب الإسرائيلي، وبأمر مباشر من نتنياهو، استمر الإصرار الدائم على مواصلة المذبحة والإبادة، وعلى تهجير الفلسطينيين، وعلى اقتحام «رفح»، وعلى استخدام القوة فقط (وليس التفاوض والصفقات) لتحقيق «أهداف الحرب»: تصفية «حماس»، وإعادة احتلال غزة، وتحرير المحتجزين بالقوة.. رغم أن الواقع والوقائع كانا يسيران بعكس ما يريد، ما زاد في الخسائر الإسرائيلية البشرية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، وترك مزيداً من النتائج السلبية على إدارة بايدن. واقع الأمر أن نتنياهو وجد نفسه أمام معادلة لا يُحسد عليها: النصر يتطلب أعجوبة، والتفاوض يقود إلى انتصار المقاومة، كما صرّح هو نفسه مراراً! هنا رمت واشنطن بكل ثقلها في المفاوضات، بدعم من دول التطبيع، لتمكين إسرائيل (ولو رغماً عنها!) من أن تحقق، في المفاوضات، ما عجزت عن تحقيقه في الميدان! يضاف إلى هذه التعقيدات أن الرئيس بايدن يعتبر نتنياهو حليفاً لترامب. وهو كان وصف حكومته، قبل الحرب، بأنها «الأكثر تطرفاً في تاريخ إسرائيل». ونتنياهو، من جهته، يعتبر بايدن داعماً لفريق المعارضة. في مجرى تلك الصعوبات، ومدعوماً من فريق صهيوني في إدارة بايدن، أصر نتنياهو على موقفه مطالباً بتأييد مطلق من قبل الرئيس الأميركي لكل خطوه ومواقفه (بما فيها الجانب الشخصي وربما أن في أساسها هذا الجانب). والعكس صحيح بالنسبة إلى بايدن الذي عليه أن يراعي مقتضيات نجاح معركة حزبه ومعركته الانتخابية، وحساسيات ومصالح شركائه العرب بمن فيهم المطبّعون. لذلك اندلع صراع علني حول «حل الدولتين»، وحول «المساعدات الإنسانية»، وحول المفاوضات نفسها. وهو ليس صراعاً مبدئياً ولا حتى جدياً، إذ إن واشنطن، في المحصّلة، تريد أن تكون «الدولة الفلسطينية» تلك، خاضعة لإسرائيل مع بعض الشكليات والتدرج الذي تقتضيه المستلزمات الضرورية في المنطقة.

ستكشف هذه المعادلة، مهما كانت النتائج أو المظاهر، الحجم الهائل للنفوذ الصهيوني في الدولة الأميركية الظاهرة والعميقة. وهي تتفاقم وتتفاقم، بشكل بالغ الخطورة، على حساب دور الدولة الأعظم نفسها في العالم. وكذلك على حساب القيم الإنسانية، ومكتسبات القانون الدولي، لجهة ضوابط الحروب والكوارث، ووسط دمار هائل وآلام مروّعة، يكابدهما الشعب الفلسطيني بشكل لا سابق لسببيهما في الإجرام والهمجية. إلا أن كل ذلك لم يمنع المقاومة والشعب الفلسطيني من أن يسطّرا تضحيات وبطولات وإنجازات مدهشة ذات بعد تحرري عالمي هي الأخرى، وعلى طريق النصر والتحرير!

* كاتب وسياسي لبناني

فواز طرابلسي عن «زمن اليسار الجديد» [7]

أسعد أبو خليك *

الحديثُ هنا عن كتاب فواز طرابلسي الجديد، «زمن اليسار الجديد»، الصادر عن دار رياض نجيب الريّس. شارك في صياغة البرنامج المرحلي كلّ من: جورج حاوي ومحسن إبراهيم مع كمال جنبلاط (بالإضافة إلى إنعام رعد والمير منصور وعصام نعمان). الصيغة الأوليّة كانت من إعداد الأخير (ص. 165). جورج حاوي، حسب ما نقل عنه طرابلسي، قال إن البرنامج كان مزيجاً من مقرّرات المؤتمر الثالث للحزب («فكر كمال جنبلاط»). البرنامج، عندما نقرأه اليوم، يبدو شديد الاعتدال، وليس أكثر من دفع النظام اللبناني اليميني نحو الليبراليّة. أي أن الحركة الوطنيّة كانت تطمح إلى القيام بدور اليسار في الأنظمة الديموقراطية في الغرب. يُنقلُ عن المبعوث الأميركي في حرب السنتين، دين براون، أنه أبدى دهشته عندما قرأ البرنامج لأنه كان يتوقع تأميمات وبرامج شيوعيّة.

تفاجأتُ من حديث طرابلسي عن صياغات تقارير المنظمة أن تقرير آب 1975 كان آخر تقرير شارك هو فيه، مع أنه كان نائب الأمين العام (الرجل الثاني في التنظيم) (ص. 166). بات الأمر منوطاً بالكامل بمحسن إبراهيم، ولم يكن طرابلسي يمارس صلاحيّة الرجل الثاني مع أنه كان أقرب بكثير من القاعدة. يدعو البيان إلى إجراء «تعديلات أساسيّة على الشكل السياسي للسيطرة البورجوازيّة» لكن «من دون المساس بالطبيعة الطبقيّة للسلطة» (ص. 167). الغرابة أن التقرير طالب بجعل لبنان «ساحة التصدّي الرئيسيّة لدحر المشاريع الاستسلاميّة» لأن المنظمة كانت وثيقة الصلة بالجبهة الديموقراطيّة التي كانت أوّل فصيل قبل علناً بـ«حلّ الدولتَين» (وكان ذلك بإيعاز من ياسر عرفات). يظهر من الكتاب كم أن اليسار اللبناني لم يكن متأكداً في تحديده للعلاقة بين الإقطاع السياسي والبورجوازيّة اللبنانيّة. في عرف المنظمة، لم يكن الإقطاع إلا «الوكيل السياسي للبورجوازيّة»، مع أن العلاقة تختلف بين طائفة وأخرى. وطرابلسي يغالط في دعوة المنظمة إلى «علمنة المجتمع»، وكانت الدعوة سائدة في أوساط اليسار. يقول إن علمنة المجتمع لا تستوي من دون فرض وقهر، كما جرى في ألبانيا الشيوعيّة مثلاً. طبعاً، كانت أحزاب اليمين ترفع شعار العلمنة لإحراج المسلمين وتعميق الشرخ بين أحزاب اليسار والشخصيّات والتنظيمات الإسلاميّة الطائفيّة. ويعترف بأن فكرة مجلس الشيوخ الطائفي صدرت عن الحركة الوطنيّة. الجبهة اللبنانيّة (التي يصرّ ورثتها على أن صراعها كان محصوراً فقط برفض التوطين الفلسطيني) اعترفت في أول بيان لها بأنها تنظر إلى الصراع على أنه بين يمين ويسار، وأن لبنان «ملك للفينيقيّين لا للعرب» (ص. 176). وعندما تعرّضت بكفيا لخطر السقوط، أرسل بيار الجميل إلى الطرف الآخر أنه يوافق على العلمانيّة شرط الامتناع عن التمدّد نحو بكفيا. والعرض غريب لأن العلمانيّة لم تكن من أوائل مطلقات الطرف الآخر في حربه.

> النظام السوري لم يكن وحده معنياً لفكرة الحسم العسكري ضد اليمين، فقد شاركه عرفات الفكرة، وبعض قادة الحركة الوطنيّة

يتحدّث طرابلسي عن مرحلة التوافق الأميركي - الإسرائيلي على التدخّل السوري في لبنان، على عنوان شعار عرفات عن «القرار الفلسطيني المستقلّ» (ص. 181). لا يصلح للمرحلة. الصراع لم يكن يوماً عن استقلاليّة قرار المنظمة (الخاضعة حتى 1990 لنفوذ التمويل الخليجي)، بل كان صراعات بين أنظمة مختلفة، واختار عرفات أن يطلق وصف «القرار الفلسطيني المستقلّ» على مسار التسوية والتنازلات. يتحدّث طرابلسي عن مطالبة شمعون وشارل مالك بتدخل عسكري أميركي في لبنان في 1976، لكن الوثائق الأميركيّة التي درسها الأكاديمي الشاب، نبت جورج (وقد أطلع فواز على أطروحته للدكتوراه) تكشف أن المطالبة بالتدخل العسكري الأميركي من قبل اليمين اللبناني سبقت نشوب الحرب الأهليّة بسنوات. وتعجّبت أن طرابلسي صدّق رواية جوزيف أبو خليل (ص. 183) عن أن طلب مساعدة إسرائيل جرى في 1976، بينما نعلم اليوم أن العلاقة بين «الكتائب» وإسرائيل بدأت في الخمسينيّات.

يروي المؤلّف عن اللقاء الذي جرى بين بشير الجميّل وكمال جنبلاط في حزيران 1976 (بالرغم من رفع شعار «عزل الكتائب» منذ 1975). في الاجتماع، أبدى الجميل استعداده لقبول البرنامج المرحلي، ما يثبت قصوره (أي البرنامج) وعدم صلاحيّته، كما طالب بشير بوقف التقدّم على جبهة بكفيا (ووافق جنبلاط على الطلب، مفوّتاً فرصة كان يمكن أن تنهي الحرب بسرعة). وهذه المعلومة مفيدة لأنها تدلّ على أن النظام السوري لم يكن وحده مماناً لفكرة الحسم العسكري ضد اليمين، فقد شاركه عرفات الفكرة، وبعض قادة الحركة الوطنيّة أنفسهم (جنبلاط كان يتارجح بين القبول والرفض، وكان قد قبل بها قبيل اغتياله). يذكر طرابلسي صدّ قوات فلسطينيّة (برعاية أبو جهاد) لتقدّم القوات السورية على محور بحمدون، لكن حتى أبو جهاد لم يكن من أنصار المواجهة مع النظام السوري (وكانت المواجهة أقرب إلى الرمزيّة). يذكر طرابلسي أن السادات لم يستقبل جنبلاط قبل عودته إلى بيروت، لكن العلاقة بين جنبلاط والسادات كانت وثيقة للغاية. أي أن جنبلاط فضّل المسار السادات على مسار النظام السوري في الصراع مع إسرائيل، وهو كان من داعمي السادات حتى بعد اتفاق سيناء، ما دفع «جبهة الرفض» الفلسطينيّة إلى إصدار بيان قوي ضده.

دبّر محسن إبراهيم أمر انتخابه أميناً عاماً لمنظمة العمل الشيوعي، في الوقت الذي كان فيه طرابلسي في مهمّة في الخارج (كلّفه بها إبراهيم). يبحث طرابلسي في مسألة حتميّة الحرب، وبالنقاش فيها يفترض أن الإرادة كانت داخليّة وأنه يمكن لطرف فيها أن يرعوي ويمنعها. لكن هذا كان مستحيلاً لأن «الكتائب» كانت مرتهنة بالكامل لإسرائيل وأميركا، في زمن الحرب الباردة وفي زمن محاولة إسرائيل القضاء على أي وجود فلسطيني مسلّح. ولبنان كان مرشّحاً لكي يكون الساحة الثانية بعد الأردن لأن قيادة المقاومة انتقلت إليه. ومحاولات «الكتائب» إشعال الحرب بدأت في 1969 ولم يكن يمنع نشوب الحرب إلا غياب الطرف الذي يمكن أن يكون طرفاً فيها: عرفات كان حازماً في رفض الانخراط في الحرب، والأطراف اليساريّة الثوريّة لم تكن بالغة التأثير، وكانت تخضع لإرادة «فتح» لأسباب عديدة. وطرابلسي على حق في أن «الجبهة اللبنانية» (كان الاسم الأوّل المقترح للجبهة هو «الجبهة المسيحيّة»، لكن الخارج رأى أن التسمية الدينيّة تضرّ بالقضيّة) تحمّلت «المسؤوليّة الكبرى في نقل النزاع من سياسي إلى عسكري» (ص. 194). وخيار الحرب (كما يتضح من الوثائق الأميركيّة المُفرج عنها) كان خياراً للدولة اللبنانيّة نفسها (أو الرئاسة اللبنانيّة التي كانت وحدها تتحكّم بمقدّرات الدولة) التي رأت في المقاومة الفلسطينيّة خطراً على نظام الاستثمار الطائفي وسياسة الدعم المبطّن لإسرائيل في الصراع العربي الإسرائيلي.

وحرب نظام سليمان فرنجيّة على المخيّمات الفلسطينيّة في أيّار 1973 كان مُرتبّاً مع إسرائيل وبالتنسيق مع قيادة الجيش (كان رئيس الأركان، يوسف شميط، من أنصار شنّ حرب حاسمة ضد المقاومة الفلسطينيّة). وهل هي صدفة أن السادات حتى بعد اتفاقه سيناء، ما دفع «جبهة الرفض» الفلسطينيّة إلى إصدار بيان قوي ضده.

عاماً لمنظمة العمل الشيوعي، في الوقت الذي كان فيه طرابلسي في مهمّة في الخارج (كلّفه بها إبراهيم). يبحث طرابلسي في مسألة حتميّة الحرب، داخليّة وأنه يمكن لطرف فيها أن يرعوي ويمنعها. لكن هذا كان مستحيلاً لأن «الكتائب» كانت مرتهنة بالكامل لإسرائيل

مما كانت تذمّ المقاومة الفلسطينيّة. وموقف الجميّل الطائفي لم يكن خافياً. يستشهد طرابلسي بتصريح للجميّل من عام 1974 يقول فيه: «لا يحقّ للمسلمين المطالبة بالمساواة التامة في الحقوق طالما أن المسيحيّين لا يثقون بولائهم للبنان ويتخوّفون من تزايد تضامنهم مع القضايا العربيّة» (ص. 196). هذا التصريح يفسّر العقليّة التي أدّت إلى ارتكابات القتل على الهويّة والسبت الأسود. أي أن خوف، أو رفض، اليمين اللبناني للمقاومة الفلسطينيّة لم يكن له علاقة بالسيادة (التي كانت مُخترقة من إسرائيل منذ 1948)، بل من تأثير الوجود الفلسطيني على تعزيز الموقع التفاوضي للمسلمين في النظام اللبناني. في لبنان ما قبل الحرب، لم يكن هناك حصريّة سلاح: كان السلاح محصوراً بالجيش وبميليشيات اليمين المتحالفة مع الجيش والمُستفيدة من خزائنه.

يقول طرابلسي إن الحركة الوطنيّة اتخذت قرار التسليح بعد 1973، وإنها سرعان ما انتقلت من الدفاع إلى الهجوم. لكن مسار الحرب الأهليّة في حرب السنتين كان خاضعاً بالكامل للفعل الكتائبي الشمعوني. جبهة الشيّاح كانت الوحيدة التي شهدت محاولات للاختراق في البداية، لكن كان ذلك من قبل تنظيمات صغيرة (مثل «قوات الحسين الانتحاريّة» وحزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان). عرفات سيطر بسرعة على الوضع ومنع تغيير وضع الجبهات باستثناء حرب الفنادق لأن الخطة الكتائبيّة كانت تهدف إلى الوصول إلى البنك المركزي ورأس بيروت. يقول المؤلّف إن البحث عن «اليمين الذكي» (الذي كان غسان تويني قد بشّر به) لم يُحقّق.

ويذكّرنا المؤلّف بالتوتر والخلاف بين كمال جنبلاط وقيادة المقاومة. في اليوم الذي اغتيل فيه كمال جنبلاط، كان هاني الحسن يخطب في المجلس الوطني الفلسطيني وينتقد «مغامرات» كمال جنبلاط و«استخدامه للمقاومة الفلسطينيّة من أجل مصالحه السياسيّة الخاصّة» (ص. 208). وقرّر وليد جنبلاط اختيار محسن إبراهيم أميناً عاماً تنفيذيّاً للمجلس السياسي المركزي للحركة الوطنيّة، بعد الحصول على موافقة الحزب الشيوعي (كان إبراهيم قليلات يريد المنصب لنفسه). (يقول المؤلّف إن جنبلاط كان يفضّل إبراهيم على حاوي). اختلف طرابلسي مع إبراهيم في تقدير موقف المنظمة في المرحلة الجديدة التي تداخلت فيها مع جسم الحركة الوطنيّة. ضمّ إبراهيم كوادر المنظمة إلى قيادة الحركة الوطنيّة. طغت مصلحة الحركة الوطنيّة (والتي كان لها استبارات مراعاة طائفيّة) على مصلحة المنظمة كتنظيم مستقلّ. سحب الحزب الشيوعي ومنظمة العمل مطلب قانون الأحوال الشخصيّة المدني الاختياري من أدبيّات الحركة الوطنيّة.

ويشير طرابلسي إلى ظاهرة التعاطف الإسلاموي مع الثورة الإيرانيّة، والتي أصابت عدداً من كوادر المنظمة مثل جوزيف سماحة. وبدأت نغمة إدانة الحرب الأهليّة ونبذها من الأساس. جهاد الزين أدان «الحرب القذرة جداً» (ص. 213). أمّا مارون بغدادي فاعلن في مقابلة مع حازم صاغية في «السفير» أن «أكبر كارثة وقعت على العرب هي الماركسيّة واعترف بأن سلطة البروليتاريا تخيفه أكثر من أي سلطة أخرى» (ص. 215). وفي خضم التغييرات الأيديولوجيّة الهائلة في صفوف قادة ومثقّفي المنظمة، يتعاظم دور الإعلام الخليجي، فيقول طرابلسي عن حازم صاغية: «فهُا إن حامل لواء العداء الذي لا يرحم للتجزئة الاستعماريّة، الذي يصف الكيان اللبناني بأنه مجرّد امتداد للكيان الصهيوني، ينقلب إلى لبنانوي كياني... بعدما انتقل إلى الصحافة المُموّلة من أمراء النفط السعوديّين».

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

سعادة: رؤيا في صُوَر [1]

بمناسبة الاول من آذار (ميلاد انطون سعادة)، وصدور «الحق شرس، ولا يُعكس»، وهو كتاب يحتوي على مئات الصور لسعادة كما جمعها بدر الحاج

صفية أنطون سعادة *

لقد تقمّص أنطون سعادة مأساة أمّته الواقعة تحت نير الاحتلال منذ بداية القرن السادس عشر، فلا تكاد تتخلّص من مستعبد حتى يغزوها مستعمر يقبض على روحها وحضارتها ومقدّراتها الطبيعية وإنتاجها، ينظر إليها بدونية، فيهينها ويمزّق أشلاءها، وينصاع السكان دون مقاومة تُذكر لأنهم مهووسون بخلافاتهم الداخلية، كونهم لم يصلوا إلى مرحلة تكوين دولة وطنية يشعرون عبرها بأنهم جسم واحد، ومصيرهم واحد. فبقي بعضهم صاغراً للعثماني باسم الدين، وبعضهم الآخر مرحّباً بالأجنبي باسم الدين أيضاً، ولم يخطر في بال أي منهم أن يدافع عن من شاركه الحياة على الأرض نفسها لآلاف السنين.

وقف سعادة وحيداً في مدرسة برمانا، وهو لا يزال طفلاً، رافضاً رفع العلم التركي/العثماني على السارية المنصوبة في باحة المدرسة، كما أنه خالف كبار القوم مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فيما هم يتجادلون حول من هو الأنسب لحكمهم: الفرنسي أو البريطاني أو العثماني، فسألهم ببراءة: «أوليس من الأفضل أن نحكم أنفسنا بأنفسنا؟».

لم يستطع هذا المراهق أن يفهم لماذا هم أفضل منّا، ولماذا نضيوا أنفسهم كحاملين لـ«الحضارة» يبيعونها لمن يتصورون أنّه مجتمع جاهل، متخلّف، بربري ومتوحّش، وهو الذي وُلد عام 1904 كسوري، إذ إن «لبنان الكبير» لم يكن موجوداً قبل دخول الفرنسي وتمزيقه لبلاد الشام بمعاونة البريطاني. هذه البريطانيا العظمى التي تنبّأ طانيوس خليل بأنها، وآنطون، سيدنثارها حين قال عام 1931: «سوف تستيقظ بريطانيا وفرنسا إلى الأخطار التي تحيق بهما متى نشبت حرب عالمية أخرى، وستكون تلك الحرب الهائلة بدء تفكك الإمبراطورية البريطانية» (مجلة الرابطة، عدد 222 في الثالث من آذار 1934). تجسّد طفولة سعادة ماسي كل أطفال منطقة الهلال الخصيب تستطيع أن تواجه الآلة الجبارة العسكرية الغربية. وسعادة هو أول من فصل بين اليهودية كدين والصهيونية التي هي مشروع قومي استيطاني يستعمل الدين لمآربه الخاصة. فـ«إسرائيل» دولة مركّبة من ميدانين عنصريين (dual caste system): المبدأ الإثني المتمثّل بالانتماء العرقي إلى الوطن، أي تعريف هوية اليهودي على أساس يهودية الأم، وهو بهذا يظهر جذوره القبلية القديمة للمجتمعات البدائية التي تعتبر أن أصل القبيلة يعود للأم (matriarchal society)، والمبدأ الطائفي المتمثّل بالهوية الدينية، أي أن الصهيونية ترفض رفضاً قاطعاً الاندماج مع الآخر المختلف دينياً، والآخر المختلف عرقياً!

وسعادة أول من نادى بوحدة الجبهات، وأن لا مكان للتحرر من الاحتلال والتهجير والدمار إلا بهذه الوحدة، كما أنه أول من استشفّ تواطؤ بريطانيا العظمى التي فتحت الباب واسعاً أمام الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والتي ستعمل على تدمير بلاد الشام كما كانت قبل عام 1920. فوجدة بلاد الشام هي الوضع الطبيعي، لا تقسيمات سايكس-بيكو الاستعمارية، التي فُرضت على سكان المنطقة بقوة السلاح كما بيّنت معركة ميسلون السورية. التقسيم لم يكن نتيجة إرادة شعبية محلية، بل على العكس من ذلك تماماً، فإصرار سعادة لا ينبع من أهواء خاصة، بل من الإرادة الشعبية التي تريد استعادة أرضها ووحدتها.

قدّم سعادة مشروعاً حديثاً للغاية في زمانه، وحتى في أيامنا هذه التي نشاهد فيها عودة التيار العنصري في الدول الغربية بقوة واضحة كما تُظهر الانتخابات التي تجري في هذه الدول. سعادة بنى مفهومه للدولة القومية على أساس ترائنا الحضاري الاندماجي المنفتح، فكل من يحيا على أرض سوراقيا هو مواطن/مواطنة يتساوى مع جميع المواطنين في الحقوق والواجبات بمعزل عن الجذور الإثنية أو الدينية. النموذج الذي ارتكز عليه سعادة يعاكس تماماً المثال الصهيوني العنصري/الديني الحاقد الذي لا يقبل العيش مع الآخر تحت أي ظرف، وهو في حرب أبدية ضده.

أولوية سعادة تمثّلت في إعادة بلاد الشام إلى وضعها السابق للدخول الغربي الذي حلّل لنفسه قتل وتهجير السوراقيين، وتوطين عناصر أجنبيين يستولون على الأرض تحت ذريعة التفوق العنصري للرجل الأبيض، كما صرّح رئيس وزراء بريطانيا آنذاك، ونستون تشرشل، بعد صدور تقرير لجنة بيل البريطانية (Peel Commission).

انتقد سعادة التشرذم السائد في كيانات سوراقيا، ما يؤثر سلباً على مسار التحرر الوطني، فناشد الجميع عام 1948 بتوحيد الجبهات قائلاً: «مع كل الكوارث الجسام، ظلت الأمة السورية في شلل تجاه إطباق القوات والمطامع الأجنبية عليها لأن الفئات التي تصدّت للمعالجة السياسية كانت كلها من النوع الرجعي أو الإقطاعي أو العشائري، وكلها قامت تعمل عمل الشركات المحدودة الرأسمال... هكذا تحددت قضايا ما بين النهرين والشام ولبنان وفلسطين وشرق الأردن. فلم تكن هناك قضية واحدة تضم كل الأجزاء، وتجتمع فيها كل القوى، ويخطط لها عمل موحّد» (أنطون سعادة، «في المسألة الفلسطينية»، الصفحة 140 وما يلي).

أحد أهداف تقسيمات سايكس-بيكو (1916)، غير المعلنة طبعاً، تمحورت حول فتح الطريق أمام وعد بلفور (1917) لإنشاء «وطن قومي» لليهود في فلسطين، وعمل اللورد سايكس الصهيوني جاهداً لتقطيع أوصال المنطقة بشكل يسمح بإقامة دولة «إسرائيل» على أرض فلسطين. سايكس-بيكو ووعد بلفور مشروعان متلازمان، ولم يكن من الممكن تنفيذ أحدهما دون الآخر. ولا يزال هذا الأمر قائماً إلى يومنا الحاضر، فلا تسمح الولايات المتحدة الأميركية بأي تقارب بين دول سوراقيا، بل تعمل جاهدة لنشوب حروب بينها، وترسيخ التفرقة، حتى إنها أقامت معسكرات أميركية على الحدود بين سوريا والعراق والأردن، وتحاول إنجاز الشيء نفسه بين سوريا ولبنان. وتعي الولايات المتحدة الأميركية - خليفة إمبراطورية بريطانيا العظمى - أن أي تقارب بين دول «سوراقيا» سيؤدي إلى تهديد وجودي لـ«إسرائيل» كما يحدث الآن في الحرب على غزة، إذ إن المقاومة وحّدت الجبهات كما سعى سعادة.

عودة سعادة (1930)

لا نجد صوراً لعودة سعادة عام 1930 إلى لبنان عبر البحر، فهو لم يكن معروفاً آنذاك إلا من بعض الأقارب والأصدقاء. أتى حاملاً مشروعاً طموحاً لبلاده، ومصمّماً على إنشاء حزب قوي يستطيع تنفيذ برنامجه، ما يؤدي إلى استقلال بلاده ونهوضها وتقدّمها بين الأمم. لم يكن الاستقلال غاية سعادة النهائية، بل المعبر الإلزامي لبناء أمته التي تمحورت على الأسس الآتية:

أولاً، لا مناص من بناء دولة وطنية/قومية بعد أن تلاشت الإمبراطوريات الدينية، واندحرت السلطنة العثمانية، وعمّ العالم نموذج الدولة-الأمّ (nation-state) المرتكز على إعطاء الأولوية للشعب كمصدر السلطات للدولة.

ثانياً، وجوب الفصل بين الدين والدولة لأن الدين في أساسه رسالة روحية تصبو إلى خلاص النفس، بينما الدولة محكومة بإدارة شؤون المجتمع على أسس علمية، وتحتاج إلى متخصّصين من مختلف المجالات يواكبون التطورات الحاصلة في العالم كي يستطيع مجتمعهم البقاء والتقدم والازدهار. بالإضافة إلى ذلك، إن فصل الدين عن الدولة يبني مجتمعاً عادلاً تتمثّل فيه كل الفئات دون أن تشعر إحداها بالغبن والهوان. والعنصر الأهم إزالة الفوارق الدينية والتعصب الديني الأعمى. وبالمناسبة، هو وجّه نداء إلى القوميين حين نشبت الفتنة الدينية بين «النجادة» و«الكتائب» عام 1936، وطلب من القوميين النزول إلى الشارع والفصل بين الفريقين «لأن تحويل الوطن إلى ميدان ينقسم فيه الشعب الواحد الموحّد المصير إلى جيشين يتطاحنان للوصول إلى غاية واحدة، هي الخراب القومي، عمل شائن لا يليق إلا بالشعوب البربرية، والرجعية تحب البربرية لأن فيها حياتها وكرامتها» (الأعمال الكاملة، الجزء 2: 54-55).

ثالثاً، منع التمييز العنصري والتفرقة بين العناصر العرقية أو الدينية والمذهبية، المقيمة على أرض الوطن كونها متساوية في المواطنة.

رابعاً، العمل على إزالة كل العوائق أمام مساواة الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات الوطنية.

اتّكل أنطون سعادة في هذه الرؤية على والده الدكتور خليل سعادة الذي كان قد أنشأ حزباً في أميركا اللاتينية سمّاه «الحزب الوطني الديموقراطي» وضمنه وحدة بلاد الشام على أساس النظام الديموقراطي الفدرالي (كتاب «الرابطة»، الصفحة 153).

عاد سعادة إلى الوطن وزاده الوحيد حلمه ومشروعه الوطني الضخم لا يملك منه إلا طاقته وجهده الشخصي، فلا مال لديه أو منصب، لذلك اتّجه فور وصوله إلى قريته ضهور الشوير القابعة في كنف جبل صنين، وعمل على بناء العرزال من شجر الصنوبر وكشخه، فكان عرزاله مؤلفاً من غرفة نوم وشرفة فسيحة تتسع للأصدقاء والأقرباء. أحب سعادة الطبيعة، فنام في عرزاله مطمئناً، واغتسل في «العين» القريبة، وأكل الشوفان مع الحليب الذي كان يُقدّم له يومياً من بائعي الحليب الذين كانوا يؤمّون الدير القريب من العرزال في «المطل». هذا المطل الذي قضى فيه سعادة أجمل أيام حياته يتأمل جبل صنين الشامخ من جهة، والبحر المتوسط الشديد الزرقة من جهة أخرى، وما بينهما الهضاب والبوادي المكسوّة بأشجار الصنوبر والسنديان. أمضى نهاره في القراءة والكتابة ووضع المذاهيم الأولى لتنفيذ هذه المهمة الكبيرة، ألا وهي تأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، وأمّ دمشق حيث أمضى سعادة سنة يكتب في صحافتها ويحاضر في منتدياتها، ويناقش في سبيل قضيته.

(يتبع)

* أستاذة جامعية

> سعادة أول من نادى بوحدة الجبهات، وأن لا مكان للتحرر من الاحتلال والتهجير والدمار إلا بهذه الوحدة

سعادة في ساو باولو عام 1928 (من كتاب بدر الحاج)

تقرير

مسلسل الانتهاكات الأمنية الأجنبية مستمرّ: توقيف دبلوماسي إسباني «يصوّر» الضاحية

(هنى الويبه)

ميسم رزق

تتواصل الحرب الأمنية بين المقاومة في لبنان والعدو الإسرائيلي في مسار تصاعدي. وبعد اندلاع الحرب إثر عملية «طوفان الأقصى» ودخول ساحة الجنوب جبهةً مساندة ضد حرب الإبادة والتهجير في غزة، زاد النشاط الأمني الغربي في لبنان بالتزامن مع ارتفاع منسوب الضغط الدبلوماسي من قبل الغرب الحليف للعدو.

لكن، تبقى الأعمال الأمنية أداة مركزية في عمل جيش الاحتلال، وتظهر المواجهات القائمة الآن على جبهة الجنوب، أن للاستخبارات البشرية والتقنية دورها المركزي، خصوصاً من جانب قوات الاحتلال، التي تلاحق قيادات المقاومة وكوادرها بقصد اغتيالهم. لكنّ، الذي ظهر في الآونة الأخيرة، هو أن الساحة اللبنانية باتت مستباحة أكثر، من قبل العديد من أجهزة الاستخبارات العربية والغربية

> **... وكما جرت العادة، تسارع الحكومة اللبنانية إلى تسليم الموقوف لسفارة بلاده من دون التوسع في التحقيق لمعرفة ما إذا كان لديه نشاط لا يتعلق بمهمته الاصلية**

والدولية التي تساند العدو الإسرائيلي، وتسعى هذه الأجهزة من خلال عملاء يحملون جنسيات الدول نفسها، إلى جانب متعاونين من لبنانيين وغير لبنانيين مقيمين في لبنان، إلى جمع البيانات للحصول على أسماء وصور تساعد إسرائيل في تحديد بنك أهدافها. وبعدما تبيّن أن مجموعة أمنية – عسكرية تابعة للجيش الهولندي، قد أوقفت في منطقة بئر العبد، علمت «الأخبار» أن حادثة أخرى حصلت قبل أيام، حيث ألقى جهاز أمن المقاومة القبض على شخص أجنبي في منطقة الكفاءات في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت، وهو يقوم بعمليات تصوير بواسطة هاتفه في أحد الشوارع.

ليصار في وقت لاحق إلى تسليمه لأحد الأجهزة الأمنية الرسمية.

وقالت مصادر أمنية لـ«الأخبار» إن «الرجل هو إسباني الجنسية، وادّعى خلال التحقيق معه أنه أضلّ الطريق ودخل المنطقة عن طريق الخطأ، فاضطر لاستخدام هاتفه الخلوي لتصوير عدة لقطات من الشارع المتواجد فيه، بقصد إرسالها إلى أصدقاء له في السفارة الإسبانية في بيروت لإرسال سيارة تقلّه من المكان». لكنّ التدقيق في موجودات الرجل أظهر أن «الهاتف يحتوي على برنامج متطور يمنع الوصول إلى الداتا»!

وكالعادة، ومباشرة بعد انتشار الخبر على مستوى ضيق، بدأت الاتصالات والتدخلات على أعلى مستوى لإطلاق سراحه، خصوصاً من قبل السفارة في بيروت التي انتزعت قراراً قضائياً وأمنياً وسياسياً بالإفراج عنه، وتسلّم الموقوف في اليوم نفسه، ليتبيّن في ما بعد أن «لدى الرجل جواز سفر دبلوماسياً».

أتت هذه الحادثة قبلَ أيام من الإشكال الذي وقع أول من أمس بين مواطنين وعناصر من الميونيفل دخلوا بالتيهم إلى الضاحية الجنوبية، وتحديداً إلى منطقة حي السلم - حي البركات. وهي حادثة تتكرر بين الفينة والأخرى، بسبب أخطاء أو بسبب خطوات مقصودة تقوم بها بعض وحدات قوات الطوارئ الدولية العاملة في الجنوب.

وكانت المعلومات قد أفادت بأن سيارة تابعة للميونيفل كان في داخلها عدد من الجنود من القوة الماليزية، دخلت إلى الضاحية من طريق المطار خلال توجّهها من الجنوب إلى بيروت، ما دفع بأهالي المنطقة إلى اعتراض طريقها وتوقيفها، ومصادرة أجهزة وكاميرات كانت في حوزتها، قبل تسليم الجنود لجهاز أمن المقاومة، الذي تثبّت من هوياتهم وقام بتسليمهم لاستخبارات الجيش اللبناني التي عادت وأطلقت سراحهم.

على إثر الحادثة، أعلنت نائب مدير مكتب اليونيفل الإعلامي كانديس أرديل أن «الية تابعة لبعثة حفظ السلام كانت في رحلة لوجستية روتينية إلى بيروت الليلة الماضية انتهى بها الأمر أن وصلت إلى طريق غير مخطّط له». وأكدت أنه بـ«الإضافة إلى حرية الحركة داخل منطقة عمليات اليونيفل، يتمتع من الحكومة اللبنانية للتنقل في جميع أنحاء لبنان لأسباب إدارية ولوجستية. وحرية الحركة هذه ضرورية لتنفيذ القرار 1701».

وكون الحادثة ليست الأولى من نوعها، كما أن الإشكال بين قوات الطوارئ الدولية العاملة والأهالي ليس هو الأول من نوعه. لكنّ حساسية هذه الحادثة ترتبط بكون «الخطأ» حصل في مكان شديد الحساسية بالنسبة إلى المقاومة، خصوصاً في فترة الحرب مع العدو. وهو ما أثار أسئلة لدى جهات معنية عن «طبيعة رحلة السيارة والسؤال عما إذا كانت قد أضلّت طريقها فعلاً، أم أن هناك من يدفع باتجاه افتعال مشاكل أمنية في بيروت، خاصة أن المهام الروتينية للقوات الدولية تُعتبر أمراً طبيعياً في مناطق جنوب الليطاني، إلا أن تجوّل عناصرها في بيروت هو ظاهرة مستغربة».

ولأن العين باتت مفتوحة عليها، بسبب المطالبات الدولية ولا سيما الإسرائيلية والأميركية بتعديل مهماتها وتوسيع صلاحياتها وإعطائها هامش حرية أكبر في التحرك، وقد استجلبت الحادثة أسئلة كثيرة حول ما إذا كان يحق لقوات اليونيفل التجول خارج مناطق الجنوب من دون مرافقة الجيش اللبناني. ولم ترتبط الأسئلة بالحادثة نفسها (إذا جرى الافتراض بأن السيارة أضلّت طريقها حقاً)، إنما أيضاً بالتصريح الرسمي الذي صدر عن المكتب الإعلامي لـ «اليونيفل»، في هذا الإطار، تؤكد مصادر بارزة أن «تواجد عناصر اليونيفل في منطقة حي السلم لا خلفية أمنية له على الإطلاق».

وقالت المصادر إن حركة القوات مسموح بها وفق القرار 1701، إنما بطلب من الحكومة اللبنانية، وإنه يمكن لهذه القوات مواكبة مسؤولين في الأمم المتحدة أثناء زيارتهم لبنان، فضلاً عن مرافقة وحماية القادة والفرق التابعة لقوات الطوارئ أثناء قيامهم بجولات وزيارات لمسؤولين سياسيين أو المشاركة في أنشطة سياسية. كما يحق لهم التجوال خلال القيام بأعمال لوجستية مثل نقل معدات وأغراض خاصة بقوات الطوارئ.

«بروفة» هولندية فاشلة لإخلاء الرعايا في الضاحية

أوقف عناصر من أمن حزب الله ستة مسلحين هولنديين في محلة بئر العبد في الضاحية الجنوبية الأربعاء الماضي. وعثر في حوزة هؤلاء على أسلحة فردية وذخائر وعتاد. وتبيّن أنّ الستّة من عداد مجموعة خاصة أوفدتها الحكومة الهولندية لإجلاء رعاياها في حال توسع الحرب.

وسلّم الحزب أفراد المجموعة، الخميس، إلى مكتب أمن الضاحية في مديرية المخابرات. وجرى استجوابهم في فرع التحقيق في المديرية، وإلبقاء عليهم موقوفين حتى الواحدة والنصف من فجر الجمعة. فيما علمت «الأخبار» أنّ السفير الهولندي حضر إلى مديرية المخابرات أثناء التحقيق مع أفراد المجموعة.

وقالت مصادر إنّ الهولنديين الستة كانوا يقومون بمحاكاة لمحاولة إخلاء، من داخل الضاحية الجنوبية. وأوضحت أنّ هؤلاء انطلقوا من محلة الكسليك بعد تحديد المكان المراد إخلاؤه عبر تطبيق Google map. وفُقد الاتصال بهم بعد دخولهم الضاحية الجنوبية بعدما أوقفهم عناصر أمن الحزب. وتبيّن أنّ اثنين من العاملين في السفارة الهولندية يقيمان في الضاحية الجنوبية شاركا في المحاكاة الفاشلة.

ومنذ اندلاع الحرب في الثامن من تشرين الأول الماضي، أدخلت سفارات عدة دول غربية، من بينها البريطانية والكندية، قوات خاصة وذخائر ومعدات متطورة بحجة القيام بإخلاء ديبلوماسييها ورعاياها في حال تدهور الوضع.

وجاء توقيف هؤلاء ضمن برنامج الإجراءات الإضافية التي بدأها جهاز أمن المقاومة في معظم المناطق التي توجد فيها مقارّ للمقاومة، ربطاً بسعي استخبارات العدو الدخول إليها بهدف القيام بأعمال تخريبية، سبق أن نفذ بعضها في السنوات السابقة.

(الأخبار)

في الواجهة

حزب الله: التفاهم على الرئيس قبل انتخابه

في الاستحقاق الرئاسي كما مع ما يجري في الجنوب، ثمة وقائع رخوة وأخرى صلبة في حسابات حزب الله: الأولى اقفال جبهة الحدود الشمالية لإسرائيل بارغامه على تطبيق القرار 1701 حرفياً وتسليمه بخسارته مرشحه. أما الثانية فالوصول الى تسوية حتمية يخرج منها منتصراً

نقولا ناصيف

مع ان كتلة الاعتدال الوطني تحاول كسر الجمود المحوط بانتخاب رئيس الجمهورية، الا ان اظهارها حسن نيتها لا يُقارَب بمثل بساطة مسعاها. لم ترد ان يكون حزب الله آخر مَن تجتمع به. الا ان تأخيره الموعد . وكانت طلبته في وقت سابق. يُفترض ان يكون اوحى لها بجواب اولي اقرب ما يكون حقيقياً ونهائياً. اذ يؤيد الحزب الحوار منذ اطلق الدعوة اليه الرئيس نبيه برّي ولا يزال يتمسك به، الا ان المسرَّب عن جهود كتلة الاعتدال الوطني والآلية التي تفكر فيها حتى الوصول الى انتخاب الرئيس، تبدو في تفسير حزب الله غير منطقية وغير واقعية في ظل استمرار حرب غزة وانخراط جنوب لبنان فيها.

سيحصل اجتماع الحزب بكتلة الاعتدال الوطني من اجل الاستماع اليها فقط، وطرح اسئلة مُقابلة تتوخى التحقق مما تريد بلوغه من تحركها وخطواتها التالية حتى الوصول الى جلسة انتخاب الرئيس. المؤكد في موقف الحزب من كل ما يثار عن آلية التشاور الذي تتحدث عنها كتلة الاعتدال الوطني، ان من السذاجة الاعتقاد بقبوله الذهاب بنفسه في الرياض من المستشار في الديوان الملكي المكلف ملف لبنان نزار العلولا ان «لا رئيس للبنان لا يُتفق عليه مع حزب الله».

ما يقوله الحزب ايضاً، في معرض تقويم ما آل اليه تحرك كتلة الاعتدال الوطني، عن السر الذي تحمله كي تنجح في ما اخفقت فيه ولا تزال الدول الخمس المهتمة بانتخاب الرئيس. لم تعد هذه في ضوء العجز الذي يتكشف لديها يوماً بعد آخر سوى شبح ووهم. تصل الى الحزب وشوشات كل من اعضائها الخمسة حيال الآخر يبخّس دوره مرة، ويغالي في تقويم دوره هو مرة أخرى. عزا السفير السعودي وليد البخاري امام نظيره الايراني مجتبى اماني في لقائهما في كانون الثاني الفائت، اندفاعة المملكة المستجدة في الاستحقاق الرئاسي بعد طول كمون الى رد فعل على تحرّك قطر. يُنسَب الى السفير القطري امام زواره اللبنانيين ان مرجعية انتخاب الرئيس ستؤول في نهاية المطاف الى الدوحة، رائياً في تحرك الموفد الفرنسي الخاص جان ايف لودريان انه غير ذي شان وفائدة، وان الامارة قادرة على تحمّل عبء التسوية. اما ما يقوله الاميركيون عن دورَيْ قطر وفرنسا فحدّث ولا حرج.

في مناقشات الحزب مسعى كتلة الاعتدال الوطني ملاحظتان:

اولاهما، ان من المبكر الآن التفكير في انتخاب رئيس للجمهورية قبل وقف النار في غزة، ومن ثم وقف النار في الجنوب. دونما تمسّك الحزب بربط الحرب الاقليمية بالاستحقاق الدستوري اللبناني، فإن الربط واقع حتماً. لمّح اليه اثنان من المعنيين الرئيسيين به هما رئيس تيار المردة سليمان فرنجية والرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط.

كلاهما قاربا الربط على نحو مختلف لآخر، لكنه متطابق مع موقع كل منهما في الاستحقاق وعلاقته المباشرة به: فرنجية كمرشح معلن، وجنبلاط كمعارض سابق لترشيح فرنجية واكثر المستعجلين لحصول تسوية. عندما زاره الموفد القطري جاسم بن فهد آل ثاني مرتين في بنشعي، يحاول اقناعه بسحب ترشيحه تمهيداً للتوصل الى تفاهم على انتخاب المرشح الثالث، سمع من فرنجية اصراراً على المضي في هذا الترشيح، وبقينه من فرصته، متوقعاً ان التسوية المقبلة ستفضي في ضوء وقف حرب غزة الى الخيار الذي يتوقعه هو والحزب. بدوره جنبلاط وصل الى الاستنتاج نفسه من مقاربة مختلفة، متصلة بحتمية حصول تسوية بعد حرب غزة سيكون حزب الله شريكاً رئيساً فيها. في لقائه السفير الايراني في كانون الاول الفائت، قال جنبلاط ان ثمن استعادة الاستقرار في الجنوب سيُعطى الى حزب الله وحده. في وقت لاحق قال لفرنجية ان تعثر انتخابه ليس عنده هو، بل لدى خصومه الموارنة مُعبّراً عن عدم ممانعته انتخابه.

كلا موقفَي فرنجية وجنبلاط يتحدث عنهما حزب الله على انهما احد الهواجس المحيطة بانتخاب الرئيس، وتدفع الى مزيد من المخاوف المسيحية خصوصاً من تسوية في منطق المعارضة المسيحية انها «فرض رئيس»، وفي منطق الفريق الآخر استكمال حلقات تسوية تبدأ في غزة، وتمر بجنوب لبنان، وتنتهي في قصر بعبدا. يقين الحزب كيقين فرنجية وجنبلاط: لن تُقفل جبهة الجنوب الا بمنتصر حقيقي هو حزب الله.

ثانيتهما ينظر حزب الله الى انتخاب الرئيس اللبناني على انه «اشتباك» بينه وبين الاميركيين سيفضي في نهاية المطاف الى الوصول الى تسوية فعلية عندما يحين اوانها. كما في ظنه ان الوقت لا يزال مبكراً للانتخاب. ذلك ما يفعله الاميركيون ايضاً غير المستعجلين الوصول الى هذا اليوم قبل استتباب امن الحدود الشمالية لاسرائيل، المتقاطع مع ما يشترطه حزب الله وهو وقف النار في غزة اولاً. يعزّز هذا الاعتقاد عند الحزب ما نُقل اليه عن حوار دار بين رئيس حكومة تصريف الاعمال نجيب ميقاتي والسفيرة الاميركية في بيروت ليزا جونسون مناقشاً الورقة الفرنسية لترتيبات امنية في الجنوب تعيد الاستقرار الى الحدود الدولية. بينما يتكئ لبنان على اعداد الرد عليها، ابلغت اليه السفيرة موقفاً سلبياً قاطعاً منها، هو ان لا قيمة لها وتساوي صفراً. ما قالته ايضاً ان المفاوض الوحيد والحصري المكلف ترتيبات الجنوب هو الموفد الاميركي الخاص عاموس هوكشتين، المكلف كذلك ملف الرئاسة اللبنانية. عندما يحين اوان انتخاب الرئيس، وحده هوكشتين المنوط به انجاز الاتفاق من حوله. مؤدى ذلك ان، في الوقت الحاضر، ليس في صدد الخوض فيه قبل التوصل الى الترتيبات الامنية في الجنوب، ما يحيل الاستحقاق مؤجلاً الى امد غير معروف.

> **ما السر عند كتلة الاعتدال الوطني كي تنجح في ما فشلت فيه الدول الخمس؟**

(هيثم الموسوي)

> **67% من الإسرائيليين مع مهاجمة حزب الله**

نفّذ حزب الله أمس مزيداً من العمليات لإسناد المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وردع نوايا الاحتلال الإسرائيلي العدوانية ضدّ لبنان. فأسقط عند الساعة 12:00 من منتصف ليل الجمعة مُسلّحة لجيش العدو الإسرائيلي في وادي العزية. ومن ثمّ استهدف تجمع جنود في محيط ثكنة راميم وموقع البغدادي بالأسلحة الصاروخية. وبعد ذلك استهدف المقاومون قوة إسرائيلية في محيط موقع المنارة بالأسلحة الصاروخية، وأصابوها إصابة مباشرة وأوقعوا أفرادها بين قتيل وجريح. كما نفّذوا هجوماً بمُسيّرة هجومية انقضاضية ضدّ مجموعة جنود كانت تستعد للتموضع في مستوطنة معيان باروخ. وخلال المساء، قصف المقاومون موقع رويسات العلم في تلال كفرشوبا اللبنانية المحتلة بالأسلحة الصاروخية ومرابض في قاعدة خربة ماعر بصاروخي «فلق». وأكّد «الإعلام الحربي» أن جميع العمليات قد حقّقت إصابات مباشرة، كما سائر العمليات السابقة. وهو ما أكّده تقرير لموقع «والا» العبري كشف فيه أن «نحو 570 منزلاً في الشمال أُصيبت بنيران حزب الله في شهر شباط فقط، وتمّ إطلاق 668 قذيفة صاروخية و91 صاروخاً مضاداً للدروع و21 صاروخاً ثقيلاً». وأفادت وسائل إعلام إسرائيلية بأن وزيراً ألغى زيارته لمستوطنة المطلة هذا الأسبوع «بسبب مخاوف أمنية».

في المقابل، شنّت طائرات العدو الحربية والمُسيّرة سلسلة غارات جوية على عيتا الشعب ورامية وبليدا، ما أسفر عن سقوط عدد من الشهداء. وفي كفرا (قضاء بنت جبيل)، شيّع أهالي البلدة الشهيدين حسين حمدان (78 عاماً) وزوجته منار عبادي (73 عاماً)، اللذين استشهدا في غارة جوية، ليل الأربعاء الفائت، سوّت منزلهما بالأرض وتسبّبت بأضرار جسيمة في المحال والمنازل المحيطة وشبكتَي الكهرباء والمياه.

إلى ذلك، أظهر استطلاع للرأي نشرته صحيفة «معاريف» العبرية أن «67% من الإسرائيليين يعتقدون أن على إسرائيل الاستمرار في مهاجمة حزب الله حتى إبعاده عن الحدود، في حين يعتقد 17% بوجوب وقف التصعيد و16% لم يحددوا إجابة معينة». وفي حال وقف إطلاق النار في غزة والتزام حزب الله به، أيّد 45% استمرار الهجمات ضدّه، فيما عارض 33% و22% لم يحددوا إجابة معينة.

(الأخبار)

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان قضائي

تدعو المحكمة الابتدائية في صيدا (الغرفة الثانية) برئاسة القاضي محمد الحاج علي وعُضوية القاضيين مي ابو زيد وإيهاب بعاصيري مُنتدباً، المُستدعى بوجههم: جورج وجوليت يوسف قسطنطين وندى وميشلين فريد قسطنطين ومريم والدة ملحم إبراهيم قسطنطين والمجهولي محل الإقامة الحُضور إلى قلم المحكمة لاستلام نسخة عن أوراق الدعوى رقم 2024/2053 المُقامة من رياض توفيق قسطنطين بموضوع إزالة شيوع على العقار 219 مُغدوشة والجوّاب خلال عشرين يوماً من تاريخ النشر وإلا يتم إبلاغك بقية الأوراق والقرارات باستثناء الحُكم النهائي بواسطة التعليق على لوحة إعلانات المحكمة.

رئيس القلم
سلام الغوش

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب جرجس حنا منصور بصفته أحد ورثة حنا أمين منصور سند بدل ضائع للعقار 4204 أميون.

للمُعترض 15 خمسة عشر يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب إيلي ضوميط أيوب بالوكالة عن سايد فؤاد فهد بصفته وكيل عن عبد الله طنوس يوسف بصفته وكيل عن طنوس يوسف رزق سند بدل عن ضائع للعقار 1463 نيحا.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب جرجس حنا منصور بصفته أحد ورثة أمين يوسف منصور سندي بدل ضائع للعقارين 2127 بطرام و 4202 أميون.

للمُعترض 15 خمسة عشر يوماً

للمُراجعة

أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب فادي نعيم الخوري بالوكالة عن إبراهيم هاني جحا سند بدل ضائع للعقار رقم /333/ كفر حزير.

للمُعترض 15 عشر يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب بسكال وجيه المصري سند بدل ضائع للعقار /1250/ إهدن.

للمُعترض 15 عشر يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري
إفلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري في الكورة

طلب إيلي ضوميط أيوب بالوكالة عن جواد يوسف خوري بصفته وكيل جرجس بشير الجوخدار سند بدل ضائع للعقار 8/915 زغرتا.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري في الكورة

طلب المُحامي عبد الله ديب بوكالته عن أديب أديب ملحم ونجيب أديب ملحم سندات بدل ضائع للعقارات 190 و187 و242 و252 و402 و403 و404 و643 و773 عابا و384 بتوراتيج وسندين حق سطحي 428 و692 عابا.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري
أفلين موسى

تقرير

الشركات تمتنع عن كشف أرقامها

تراجع ضريبة الأرباح من 990 إلى 187 مليون دولار

ماهر سلامة

تُعدّ أرباح الشركات مؤشراً إلى نموّ الحركة الاقتصادية أو تقلّصها. رغم حديث الحكومة اللبنانية عن «بدء التعافي الاقتصادي»، إلا أن مؤشّر التصريح عن الأرباح وتسديد الضرائب يدلّ على العكس تماماً. فالأرباح التي كانت تصرّح عنها المصارف كانت تمثّل أكثر من نصف الإيرادات الضريبية، والباقي مصدره عدد محدود من الشركات الكبرى. فمن أين ستأتي الإيرادات اليوم؟ وهل هذا مؤشّر إلى «بدء التعافي الاقتصادي» كما قال رئيس الحكومة نجيب ميقاتي؟ ما هو واضح في

> الانكماش في أداء الشركات أعنف من الانكماش الظاهر في الناتج المحلّي

موازنة 2024، أن الإيرادات ستتأتّى من الضرائب غير المباشرة على الاستهلاك، وليس من ضرائب الأرباح التي انكمشت بنسبة 82% بين عامَي 2018 و2024. وهذه المسألة لا تتعلّق بتعافي أرباح الشركات، بل في أن الشركات باتت تمتنع أكثر من السابق عن التصريح في ظل نظام ضريبي غير فعّال وغير عادل ومع الانهيار ازدادت حدّة الثغرات فيه. بدلاً من الإصلاح الضريبي، كرّرت الحكومة الأداء الذي مارسته منذ التسعينيات لغاية 2019.

من الطبيعي أن يكون الانكماش الاقتصادي قد أسهم في انخفاض الأداء المالي للشركات في لبنان، خصوصاً خلال الأزمة الاقتصادية التي ضربته. لكنّ الانكماش في أداء الشركات لم يكن متناسباً مع الانكماش في الناتج المحلّي، بل تعرّض إلى انكماش أعنف من الذي تعرّض له الناتج المحلّي. على الأقل، هذا ما تقوله أرقام الموازنة. ففي عام 2018، أي قبل الأزمة بنحو سنة، بلغ حجم الضرائب على الأرباح نحو 1,8% من الناتج المحلّي، أي نحو 990 مليون دولار. إلا أن هذه النسبة انخفضت إلى 1% في موازنة عام 2024، أو ما قيمته 187 مليون دولار. وهكذا انخفضت نسبة الضرائب قياساً إلى الناتج المحلّي بنحو 45%.

أحد عوامل هذا الانخفاض، يعود إلى التغيّر الجزئي في الهيكل الاقتصادي على مستوى البلد. فمحور الأزمة كان يدور حول القطاع المصرفي، الذي هو أحد أكبر القطاعات الاقتصادية اللبنانية. وقد مثّل هذا القطاع ركيزة تعتمد عليها الحسابات الخارجية للبنان، من ميزان المدفوعات والحساب الجاري، والتي تقيس العملات الصعبة الداخلة والخارجة من وإلى الاقتصاد. بمعنى، أن التدفقات الآتية عبر القطاع المصرفي كانت تغطي العجز الناتج عن الميزان التجاري، ولولا هذه التدفقات لما كان ميزان المدفوعات ليحقق أيّ فوائض، وهو ما جعل القطاع المصرفي جزءاً مهماً من الهيكل الاقتصادي اللبناني. لذا، كان جزء كبير من الأرباح في الاقتصاد الوطني يتكوّن من أرباح المصارف. وكانت هذه الأخيرة تجاهر بأرباحها وتسعى إلى إظهارها من أجل إبراز صورة القطاع المصرفي والإيحاء بأنه يعمل بشكل سليم تحت عنوان «الثقة» التي تضمن استمرار التدفقات النقدية إليه. وما يعزّز هذا الأمر هو النتائج في عام 2018، إذ بلغت أرباح المصارف نحو 2,234 مليار دولار، أي ما يُقدّر بنحو 4% من الناتج المحلّي، وبلغت الضريبة على أرباح المصارف في تلك السنة نحو 558 مليون دولار، أي 1% من الناتج المحلّي. بمعنى آخر، إن ما يقارب 56% من إيرادات الضريبة على الأرباح في عام 2018 أتى من القطاع المصرفي، وهي نسبة وازنة، وأي تغيّر في القطاع المذكور يمكن أن يؤثّر على المالية العامة للدولة بشكل هائل. فكيف يكون الحال إذا كان الحدث هو انهيار القطاع المصرفي بشكل شبه تامّ؟ بعد الأزمة، أصبحت المصارف تُسجّل خسائر في بياناتها المالية، وهو ما أضرّ بشكل كبير في الإيرادات الضريبية على الأرباح.

من ناحية أخرى، هناك قطاعات ضخمة كانت تعتمد على القطاع المصرفي، تضرّرت كثيراً مع حالة انهياره، وهذه القطاعات لم تعد تحظى بحجم الأعمال نفسه، لأنها كانت تعتمد على التمويل المصرفي الذي توقّف كلياً بعد انهيار القطاع. ولعلّ أهم هذه القطاعات هو قطاع التطوير العقاري، وتحديداً البناء، الذي تضرّر بشكل كبير بسبب تدهور الوضع المصرفي. فالتمويل المصرفي كان يُغذّي جانبَي العرض والطلب في قطاع البناء، من خلال تمويل المطوّرين العقاريين من جهة، وتقديم قروض الإسكان المدعومة من مصرف لبنان من جهة أخرى. ومع اختفاء هذا التمويل، تضاءل حجم هذا القطاع وانخفضت أرباحه.

(أفب)

بشكل عام، لا تعود كل أسباب انخفاض نسبة الضرائب على الأرباح من الناتج المحلّي إلى الأزمة فقط. فهناك عوامل سابقة للأزمة كانت موجودة أصلاً، وهي عوامل تتعلّق بطبيعة النظام الضريبي اللبناني، ومدى فعاليته. وإذا قارنّا هذا المعيار بين لبنان وبلدان أخرى، يظهر أنه حتى قبل الأزمة كانت هذه النسبة أقل من تلك القائمة في بلدان أخرى، كالأردن، القريب على مستوى الجغرافيا من مساحة لبنان، والذي يُشبه اقتصاده الاقتصاد اللبناني. ففي عام 2023 بلغت نسبة الضرائب على الأرباح في الأردن نحو 3% من الناتج المحلّي، وهو رقم أعلى مما كان في لبنان في عام 2018 حيث بلغ 1,8% من الناتج المحلّي اللبناني. حتى إن بلداناً رأسمالية مثل فرنسا، تبلغ فيها هذه النسبة نحو 2,12% من الناتج المحلّي، كما تبلغ في تركيا 2,5%.

6,9%
هي حصّة إيرادات ضريبة الدخل المقدّرة لعام 2024 من الإيرادات الضريبية الإجمالية، مقارنةً مع 11,3٪ في 2018. أي أنها تراجعت بمعدل 40٪.

يفسّر عدد من الخبراء هذا الأمر بأن المشكلة تكمن في السياسات المالية (الضريبية ضمناً). فقد كانت نسبة الضريبة على أرباح الشركات في لبنان 17%، في حين تبلغ هذه الضريبة نحو 20% في الأردن و25% في تركيا و33% في فرنسا. يحصل هذا في لبنان الذي كان يعاني من عجوزات مستمرّة في الموازنة العامة. أسهمت العجوزات في زيادة الدين العام وكلفة خدمته، حتى بلغ حجم الدين نسبة إلى الناتج المحلّي 172% قبل الأزمة في عام 2019. كما أن اليات تطبيق النظام الضريبي في لبنان قديمة، وهو ما يُسهّل مهمّة التهرّب الضريبي لدى الشركات، التي تملك غالبيتها أكثر من «دفتر» محاسبي لتسجيل الأرباح.

يُشكّل حجم الضرائب على الأرباح أحد المعايير لفهم ما كان يجري في الاقتصاد، خلال الأزمة وما بعدها بشكل خاص. فهو يظهر حجم الأرباح ومدى تأثّرها بالأزمة، كما يُظهر مدى فعالية السياسات الضريبية. لذا، يبدو مجدياً النقاش في فعالية السياسة الضريبية المتّبعة وآليات تحسينها بهدف تحفيز النمو الاقتصادي وتعزيز مداخيل الدولة وإعادة التوازن إلى آليات إعادة توزيع الثروة. تصحيح المسار المالي محاسبياً لا يكفي للقول بأن هناك سياسة تعافٍ حقيقية.

تقرير

«ضمان الشيخوخة»

لأصحاب العمل الحصّة الكبرى

فؤاد بزي

في كانون الأول من عام 2023، وبعد 20 عاماً على إقرار مسوّدة المشروع في مجلس الوزراء أقرّ مجلس النواب القانون 319 الذي ينشئ النظام التقاعدي الجديد في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي (المشهور بـ: ضمان الشيخوخة) ليحلّ محلّ نظام تعويض نهاية

> كلّ الخاضعين لنظام نهاية الخدمة ولم تتجاوز أعمارهم 49 عاماً ينتقلون حكماً إلى نظام التقاعد

الخدمة. وثمة الكثير من الأسئلة التي تربك العمال في لبنان حول هذا القانون بفوائده وسلبياته. لذا، أعدّت منظمة العمل الدولية تقريراً يتضمّن 21 سؤالاً عن هذا القانون هدفها الترويج للقانون الذي كانت عزابة قد في كل مراحل نقاشه الأخيرة. ما لم تذكره المنظمة في هذا التقرير هو ما أعدّته سابقاً قبل إقرار القانون، حول تسويات نهاية الخدمة التي تُعدّ حقّاً للعامل مترتّباً على صاحب العمل. يومها أشارت المنظمة إلى أن العمال سيخسرون نحو 40 ألف مليار ليرة من حقوقهم في تعويضات نهاية الخدمة التي كان يُفترض أن يدفعها أصحاب العمل.

بحسب القانون الجديد، يمكن لكلّ من لا يستفيد من نظام ضمان آخر الانضمام إلى نظام التقاعد، حتى لو كان لبنانياً مغترباً أو أجنبياً يعمل في لبنان أو صاحب عمل، أو أجيراً غير دائم في الزراعة. ويُحتسب المعاش التقاعدي وفق آلية من اثنتين: الأولى، يحصل بموجبها المتقاعد على معاش قيمته 1,33% من متوسط الأجور عن كل سنة عمل، وفي حال بلغ الحدّ الأقصى من سنوات العمل، أي 40 سنة، يتقاضى معاشاً قيمته 53,2% من متوسط الأجور. وبموجب الثانية، يحصل المضمون الذي سدّد اشتراكاته لمدّة 15 سنة، على 55% من الحد الأدنى للأجور عند التقاعد مضافاً إليها 1,75% عن كل سنة اشتراك إضافية بعد الـ15، على أن يكون الحدّ الأقصى للمعاش التقاعدي 80% من الحد الأدنى للأجور.

إذاً، من يستفيد من هذه «الميزة» وباي ثمن؟ بحسب المنظّمة، فإن كلّ الخاضعين لنظام تعويض نهاية الخدمة، ولم تتجاوز أعمارهم 49 عاماً، أصبحوا تلقائياً بعد إقرار القانون الجديد (وصدور مراسيمه التطبيقية التي لم تصدر بعد) منتسبين إلى نظام التقاعد. أما الذين تجاوزت أعمارهم هذا الحدّ فلهم حرية الاختيار، إما بالانتساب إلى نظام التقاعد الجديد أو بالخضوع للنظام القديم، أي تعويض نهاية الخدمة. ولكل مضمون، بحسب النظام الجديد، حساب فردي افتراضي يوضع فيه جزء من الاشتراكات التي تبلغ 12,25% من مدخول المضمون، على أن تضاف إلى الحساب الفردي فائدة سنوية بمعدّل يساوي زيادة متوسط مداخيل جميع المشتركين. وعند خروج المضمون إلى التقاعد يُقسم مجموع الأموال الموجودة في الحساب الفردي على «عامل التحويل»، الذي يختلف باختلاف المضمون وحالته الصحية وعدد السنين المتوقّع أن يقضيها متقاعداً، ونصف سنة على أقل تقدير، و7 سنوات على الأبعد لو تقاعد العامل بعد 15 سنة من الخدمة. على سبيل المثال، إذا كان أجر العامل 1300 دولار قبل الأزمة، و800 دولار الآن، وفي حال عند طلبه التقاعد عام 2025 قد قضى 15 عاماً في الخدمة، فيحصل على 12 ألف دولار كتعويض نهاية خدمة، وناتج عملية القسمة الأخيرة هي المعاش التقاعدي السنوي للمضمون. إذاً، أيّهما أفضل، نظام التقاعد الجديد أو تعويض نهاية الخدمة؟ بحسب إحدى الفرضيات التي وضعتها منظمة العمل الدولية، تبيّن أنّ المعاش التقاعدي المتراكم يتجاوز بشكل دائم تعويض نهاية الخدمة خلال سنتين أو على 160 دولاراً كمعاش شهري، ما يعني أن قيمة المعاش التقاعدي لو حُسبت تراكمياً، ستتجاوز قيمة التعويض بعد 6,3 سنوات.

حقوق 440 ألف مضمون

تقول منظمة العمل الدولية إن التعديلات التي طرأت على الأجور (بعد الأزمة)، تسهم في خسارات كبيرة «تؤدّي إلى تداعيات ضارّة على التعافي». ما تشير إليه المنظمة هو تسويات نهاية الخدمة التي ستترتب على أصحاب العمل من أجل تمويل تعويضات نهاية الخدمة للعمال. تُقدّر هذه المستحقات التي تُعدّ حقوقاً للعمال مفروضة بموجب قانون الضمان الذي يدفعها للعمال ثم يستوفيها من أصحاب العمل، بما لا يقلّ عن 40 ألف مليار ليرة مستحقّة عن 440 ألف منتسب إلى صندوق نهاية الخدمة، وقيمتها الإفرادية لا تقلّ، حتى الآن، عن 100 مليون ليرة لكل مضمون لديه 10 سنوات خدمة.

أي تقاعد بعد الوفاة والإصابة؟

في حال وفاة المضمون بعد البدء بتحصيل المعاش التقاعدي، يحصل الزوج/ة على نسبة 40% من المعاش، وتوزّع نسبة 40% بالتساوي بين الأولاد المُعالين، وعند انقضاء شروط استفادة الأولاد تؤول حصتهم إلى الزوج/ة. وإذا توفّي المضمون قبل البدء بتحصيل المعاش التقاعدي، وكان قد مرّت 15 سنة على اشتراكه في النظام، يحقّ لعائلة المتوفّى الحصول على معاشه من الضمان وفقاً للتفصيل الأول. أمّا في حال وقوع الإصابة المانعة عن العمل، فيحق للمضمون الاستفادة من المعاش التقاعدي مدى الحياة في حال مضي 3 سنوات على الاشتراك بالنظام التقاعدي، على أنّ القرار بإيقاف المضمون عن العمل يعود للمجلس الطبي في الضمان.

للمعاشات على أساس الزيادة في مؤشر أسعار الاستهلاك الصادر عن إدارة الإحصاء المركزي، وفي حال تجاوز المؤشّر حداً معيّناً يُعاد النظر في الأجور والمداخيل، وبالتالي المعاشات التقاعدية. عملية إعادة التقييم ستكون سنوية من أجل مواكبة حركة الاقتصاد والنقد، على أن يصار إلى إعداد تقييم إكتواري (الدراسة الإكتوارية تعمد إلى تحديد سيناريوهات بناءً على فرضيات متنوّعة لتحديد الأهداف التي يمكن بلوغها مالياً واجتماعياً) للنظام التقاعدي برمّته كل 3 سنوات لتحليل استدامته المالية.

في المحصّلة، نتائج النظام الجديد لن تظهر قبل صدور ما يقارب 10 مراسيم تطبيقية عن الحكومة، بالاشتراك مع مجلس إدارة الضمان. تتضمن هذه المراسيم تحديد نسب الاشتراكات وكيفية توزيعها بين الأجير وصاحب العمل. بالإضافة إلى المراسيم، هناك 15 سنة انتظار خلالها ينتهي نظام تعويض نهاية الخدمة نهائياً، ويبلغ من هم في سن 49 سنة اليوم الـ64. ولكن ليس هناك جواب بعد على قدرة صندوق الضمان بوضعه المالي الحالي وهيكليته التي ينتهشها الشغور ووضعه التقني المتهالك، على تطبيق القانون الجديد، إذ لا تتمكن المراكز من تشغيل الأنظمة لغياب الكهرباء التي إن وجدت يُكتشف غياب القراطسية، وماذا عن ثقة المضمونين بالصندوق، فاغلبهم دقّوا أبواب شركات التأمين لضمان سرير في المستشفى.

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4539

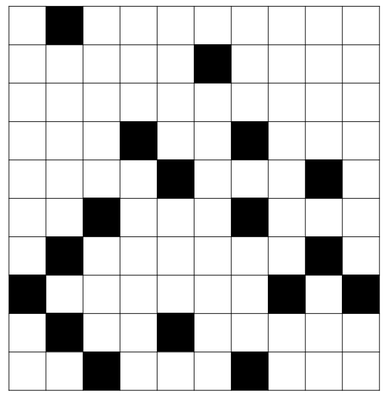

أفقيا
1- جماعة نيجيرية مسلحة – 2- قليل اللحم – طائر يكثر من أكل الجراد – 3- نادي برازيلي في كرة القدم تعرض لحادث مؤسف عام 2016 – 4- خاصمت بشدة – والدة – شكل هندسي – 5- ضمير منفصل – إله مصري – 6- أرتفاع النبات – ضجر – خصب – 7- من أعظم الشلالات في العالم – 8- أصفياء الله – 9- الصلب الشديد – متشابهان – 10- حسام – لمع البرق – بحر

عمودياً
1- مدينة اسبانية – أصل البناء – 2- أراض منخفضة – يأتي بعد – 3- العاصمة التشريعية لجنوب أفريقيا – رتل من السيارات – 4- نقش الثوب بالألوان – ماركة مفاتيح – 5- عاصمة آسيوية – 6- ضريبة على السلع – كلام فاسد – 7- غير متعلم – عاصمة عربية – 8- درّبهم – أحرف متشابهة – 9- منشرح الصدر – 10- كاتبة وإعلامية لبنانية خبيرة في علم الماكروبايوتيك – في القميص

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- سماح أنور – 2- ألفريد نوبل – 3- حاسب – مداري – 4- لحس – سيام – 5- أم – القوّة – 6- سنمار – ملِ – 7- عهد – رف – مخل – 8- أوج – شادو – 9- جان دارك – رز – 10- عنقون

عمودياً
1- ساحل العاج – 2- ملاحم – آر – 3- أفسس – سيدان – 4- حرب – ان – ودِع – 5- اي – المرجان – 6- ندم – قاف – رق – 7- وندسور – شكو – 8- رواية – ما – 9- برأ – مخدِر – 10- سليم اللوزي

sudoku 4539

8					9	7		
	5		8			6	3	
	3	4	1		7			9
		8		7		1		
1	9						2	3
				4				
		1	4		5	8	9	
	8	5			2		1	
9			3					7

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4538

6	8	1	5	2	9	4	3	7
3	9	7	4	6	1	8	5	2
2	4	5	7	8	3	9	1	6
9	6	3	2	1	4	7	8	5
5	1	8	9	7	6	2	4	3
7	2	4	8	3	5	6	9	1
8	3	6	1	4	2	5	7	9
4	5	2	3	9	7	1	6	8
1	7	9	6	5	8	3	2	4

مشاهير 4539

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

خبير إقتصادي إيطالي (1787-1848). وزير العدل في حكومة البابا بيوس التاسع

3+4+7+1 = خلاف شروق ■ 8+5+6+9 = ماركة سيارات ■ 3+10+11+2 = تنظيف الثياب

حل الشبكة الماضية: **رولان العمري**

الأخبار
al-akhbar
السبت 2 آذار 2024 العدد 5146

هوامش على دفتر الطوفان

آي ويوي: نلتقي في فلسطين... حرّة

من زيارة الفنان الصيني إلى غزّة في 2016

منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة، يسجّل الناشط والفنان الصيني المشاكس آي ويوي (1957) مواقفه المعارضة للإبادة الصهيونية في تصريحات إعلامية وعبر حساباته على السوشال ميديا. في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، «عوقب» بتعليق «غاليري ليسون» في لندن معرضه الذي كان يفترض أن يضمّ أحدث أعماله في أعقاب بوست نشره على مواقع التواصل الاجتماعي حول الحرب الإسرائيلية.

آي ويوي الذي سبق أن عبّر صراحةً عن دعمه للفلسطينيين وزار غزّة في عام 2016 أثناء تصوير فيلمه الوثائقي الطويل Human Flow (التدفّق البشري ـ 2017 ـ 140 د) حول أزمة اللاجئين العالمية، رأى أنّ ما حدث يثير أسئلة حاسمة حول حرية التعبير، قبل أن ينتقد لاحقاً أداء الإعلام الغربي خلال المجزرة المستمرّة.

وأمس الجمعة، نشر آي ويوي عبر إنستغرام صورة للجندي في سلاح الجو الأميركي، آرون بوشنل، الذي أحرق نفسه الأسبوع الماضي أمام سفارة «إسرائيل» في واشنطن صارخاً «فلسطين حرّة» قبل أن يفارق الحياة. ثم أفرج عن منشور آخر يضمّ مقتطفاً من وصيّة بوشنل الذي رفض أن يكون «متواطئاً بعد الآن في الإبادة الجماعية»، وجاء في الوصيّة: «أنا آسف لأخي وأصدقائي لأنني تركتهم بهذه الطريقة، بالطبع، لو كنت آسفاً حقاً، لما فعلت ذلك، لكن لا شيء على الأرض عادل... أتمنى أن تُحرق جثتي، ولا أرغب في نثر رمادي أو دفن رفاتي لأنّ جسدي لا ينتمي إلى أي مكان في هذا العالم... إذا حان الوقت الذي يستعيد فيه الفلسطينيون السيطرة على أرضهم، لو يوافق أهل الأرض على ذلك، لأحببت أن يتناثر رمادي في فلسطين الحرّة».

بانوراما

مارون بغدادي: مُخرج عند حدود الواقع

حتى 6 آذار (مارس) الحالي، سيتمكّن الجمهور من مشاهدة الفيلم القصير «مُخرج عند حدود الواقع» (2013 ـ 15 د) للمخرج اللبناني مروان خنيصر عبر منصة «أفلامنا». يتناول الشريط سيرة المخرج اللبناني الرّاحل مارون بغدادي (1950 ـ 1993/ الصورة) عبر مراحل حياته المختلفة، ومقتطفات من مقابلاته وأفلامه السينمائية حتى اللحظات الأخيرة من حياته. علماً أنّ العرض يجري بالتعاون مع «نادي لكلّ الناس» الذي تشارَك مهمّة الإنتاج مع «مؤسّسة سينما لبنان».

الفيلم القصير «مُخرج عند حدود الواقع»: حتى الأربعاء 6 آذار 2024 على منصة «أفلامنا» (www.aflamuna.online)

SchoolTec في بيروت... كلّ شيء عن تكنولوجيا التربية

تحتضن بيروت في 7 و8 آذار (مارس) الحالي الدورة الثانية من «معرض ومؤتمر الشرق الأوسط لتكنولوجيا التربية» SchoolTec، المتخصّص في المستلزمات التربوية والتعليمية، ويجمع مورّدي سلع وخدمات عدّة تُستخدم في مدارس ومعاهد وجامعات لبنان. يضمّ الحدث فروعاً: تكنولوجيا التربية، والقرطاسية، والحساب الذهني، وتعزيز تعليم العلوم عبر أنشطة تفاعليّة، وبرامج الروبوت، والنشر المدرسي، وغيرها. يعتبر SchoolTec الأوّل من نوعه في لبنان والمشرق، الذي يسمح لأعضاء الهيئتين الإدارية والتعليمية بالاطلاع على كل جديد في عالم التربية. وفي موازاة المعرض، سيكون التربويّون على موعد مع حلقات نقاش ومحاضرات تتطرّق إلى مواضيع منوّعة، منها: مصاعب وتحدّيات المدارس في لبنان، واستخدام التكنولوجيا في التعليم وأثرها على الطلاب، وكيف تكون البيئة المدرسيّة إيجابيّة؟، والذكاء الاصطناعي في التعليم، وتعزيز التفكير الإبداعي لدى الطلاب. (الصورة: من الدورة الماضية)

معرض ومؤتمر SchoolTec: الخميس والجمعة 7 و8 آذار 2024 ـ من الساعة الواحدة ظهراً حتى الثامنة مساءً ـ «فندق موفنبيك» (الروشة ـ بيروت). الدعوة عامة والحضور مجاني لجميع التربويين والإداريين والتقنيين.

زياد والرفاق: ليلة «الستّ»

يعود زياد سحّاب، غداً الأحد، إلى NOW Beirut، في سهرة طربية بامتياز يؤدّي خلالها ميلاد مخايل مختارات من روائع أم كلثوم (1898 ـ 1975/ الصورة)، من بينها «حقابله بكرا»، و«مدام تحب»، و«أنا في انتظارك»، و«غنّيلي شوي شوي»، و«بعيد عنّك»، و«ألف ليلة وليلة»، و«إنت عمري» (كاملة)، و«حبيبي يسعد أوقاته». وفيما سيعزف زياد على عوده، يرافقه الموسيقيون: تشارلي فاضل (رق)، وإيلي الحلو (إيقاع)، وإيلي تومية (كيبورد)، وخليل البابا (كمنجة).

تحية لأم كلثوم: غداً الأحد ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية). للاستعلام: 01/211122

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 2 آذار 2024
العدد 5146 السنة الثامنة عشرة
Samedi 2 Mars 2024 nº 5146 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

فلسطينيون يخرجون من يافا في عام 1948

من فمك أدينك يا «اسرائيل»

رشيد وحتي

حتى عندما يؤرِّخ الصهيوني، فإنه لا يقدّم اعتذاراً أو أيّ أدنى أسف على جرائم اقترفها أسلافه بحقّ ضحاياه الفلسطينيّين بما أنَّه في صلب المؤسّسة الصهيونية ونتاج أيديولوجيتها. أقصى ما يمكن أن يفعله هو أن يقدّم جزءاً من الأرشيف الذي يحصل عليه بطريقة جافَّة لا تخلص إلى أنَّ «إسرائيل» ظاهرة كولونياليَّة آيلة إلى زوال. هذا بالضبط ما يقدِّمه كتاب «نهب الممتلكات العربية في حرب 1948» («مدار»/ المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ـ ترجمة: أمير مخول ـ تقديم: أنطوان شلحت) لآدَم راز (تل أبيب ـ 1982) أصغر مؤرِّخ صهيوني، ابن الجيل الثالث من موجة المؤرِّخين الجدد.

العمود الفقري للكتاب سرديةٌ تريد لنفسها أن تكون «موضوعيَّة» في جردها لعمليات النهب التي قام بها المستوطنون اليهود للأملاك المنقولة (دونَ غيرِها) في بيوت الفلسطينيين، لدى اقتلاعهم من مدنهم وبلداتهم إبان النكبة. يستند المؤرِّخ إلى أرشيف كبير جداً ومتنوع، يراوح بين قراءة وثائق أفرجَت عنها المؤسسة الرسمية الصهيونيّة والشهادة المروّعة عن وقائع نهب جماعي منظَّم، مع وضعها في سياق النقاش السياسي الداخلي لوقائع النكبة بين 1947 و1949.

هذا الكتاب هو الأشمل في موضوعه، بما أنَّ المؤرِّخ يكشف فيه عن اطّلاعه على أكثر من 20 مركز أرشيف داخل الكيان المؤقّت، من دون إغفاله مجريات النهب في أيِّ مدينة من مدن فلسطين التاريخيّة. لكن الأهم في ما يكشف عنه الكتاب هو أصداؤه التي تثبت أنّ المجتمع «الإسرائيلي» معَسْكرٌ بالكامل، فالتورُّط في النهب يشمل «المدنيين» كما المحاربين من بين الغزاةِ المستوطِنين، ليصيرَ النّهب سياسةً عامةً داخلية وخارجية، شملت (ولا تزال) الأراضي والبيوت، وشهدت سماحاً «قانونياً» في عمليات النهب الفرديّة كنهج سياسي يلتزم بتفريغ البلاد من سكّانها الأصليين.

من مزايا هذه الترجمة، أنّها لا تكتفي بنقل محتوى الكتاب من لغة إلى أخرى فحسب، وإنما توجّهها نقدياً إلى القارئ، عبر تنبيهه إلى محاذير ومنزلقات تقصَّدها المؤرخ. يقول مقدِّم الترجمة العربيّة أنطوان شلحت: «على الرغم مما ينطوي عليه هذا الكتاب من جهدٍ محمود وأهمية ملفتة، يلزم أن نمهّد لقراءته، سواء بالنسبة إلى القارئ الفلسطيني أو العربي، بالإشارة إلى أنه مكتوب من وجهة نظر لا تخفي أنها مؤدلجة صهيونياً، حيث يقرّ المؤلف منذ البداية بأن ما حدث في عام 1948 كان في قراءة الفلسطينيين نكبةً، لكنه في قراءته «حرب استقلال»، مثلما يقرّ بأن الحركة الصهيونية لم تكن حركة نهبٍ منذ نشأتها، وفي الواقع لا ينبغي أن يُنظر إليها على هذا النحو حتى بعد انتهاء «حرب الاستقلال». بكلمات أخرى، فإن محتوى هذا الكتاب هو كشف وقائع من الأرشفة الصهيونية، لكن من خلال النأي عن تفسير أو تحليل طابع هذه الحركة، وكذلك من دون مناهضة مُعلنة لها. بناء على ذلك، وجدنا أن أكثر ما يستدعيه تقديم نشر هذا الكتاب بترجمة عربية خاصة، هو استعادة حقيقة وجود صِيغ متنوعة ضمن سياق تحدّي أرشفة الصهيونية للأحداث المرتبطة بالنكبة».

من شهادات الكتاب الموثَّقة أيضاً، كتبت محاربة في «كتيبة البلمَاح الثالثة» إلى والديها: «أحضرت بعض الأغَراض الجميلة من صفد، فوجدت لي ولسارة فستانين عربيّين مطرّزين بشكل فائق الجمال، ربما سوف يلائمانِنا. كما أحضرت ملاعق ومناديل وأساور وخرزاً وطاولة دمشقية، وطقم فناجين قهوة رائعاً مصنوعاً من الفضة، وفوق هذا كله، فقد أحضرت سارة في الأمس سجادة فارسية كبيرة جداً وجميلة وجديدة تماماً. لم أرَ مثل هذا الرونق من قبل. مثل هذا الصالون في إمكانه التنافس مع أفضل صالونات أغنياء تل أبيب. على فكرة، هذه الورقة هي أيضاً تعود للعرب». إشارة أخيرة: يتغافل المؤرخ عن كون نهب المقتنيات مقروناً غالباً بنهب الأرواح، عبر الآلة التمهيدية لعصابات الشترن والأرغون والهاغانا وأنوية الجيش الأكثر حقارةً في العالم. وهي أولى معالم التأريخ «الموضوعية» التي تعزل السرقة عن الدماء المسفوحة أنهاراً، إذ لا يمكنك أن تكون مؤرخاً نزيهاً (مثل إيلان بابِهْ) من دون أن تتخلَّص من أسر الكيان الصهيوني بمؤسساته وسرديتِه «الوطنية».

كأنَّ وقائعَ النهب ذاتُها تحدث في غزَّة الآن، فقد تأسّس النهب (نهب المقتنيات والأراضي والبيوت والأعمار) مثلما تقول الصحافة العربية والدولية المتحررتان من التواطؤ كـ «رياضة وطنية إسرائيلية» منذ حملات الاستيطان الأولى في منتصف القرن التاسع عشر حتى آخر اجتياح حالي لتخوم رفح، على سائر أرض فلسطين من النهر إلى البحر. لكنَّ من سيعيد الأرض، سيعيدها بمسروقاتها!

ملف

بعد أربع سنوات على رحيل «الشيوعي الأخير» وأربعين عاماً من التشويه والتغييب والاضطهاد، ها هي العاصمة العراقية تقيم ندوةً احتفائية بابن البصرة شهدت حضوراً كثيفاً (راجع الكادر). إنّها مناسبة لاستعادة أحد أكثر الشعراء تجريباً وريادةً في هدم الحواجز الفاصلة بين الأشكال وصهرها في القصيدة الواحدة. كان الأشجع في رفض الاحتلال الأميركي للعراق، داعياً إلى المقاومة وطرد أميركا من بلاد الرافدين، فنُعت بشتى النعوت وظلّ مطروداً ومستبعداً بتواطؤ من السلطة السياسية والثقافية

العراق يحتفي بـ «الشيوعي الأخير» بعد نصف قرن من القطيعة

سعدي يوسف... «عاد» أخيراً إلى بغداد

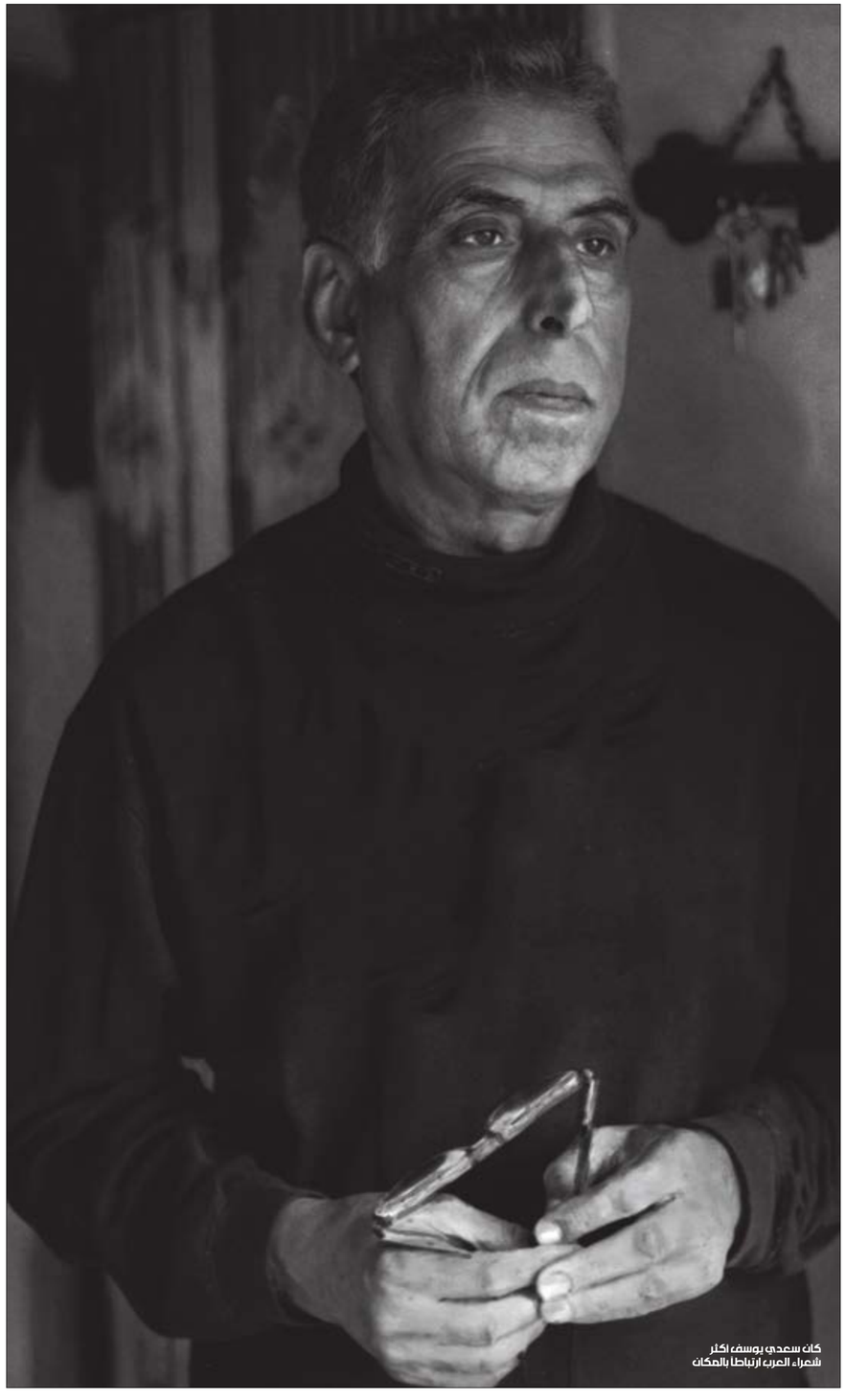
كان سعدي يوسف أكثر الشعراء ارتباطاً بالمكان

بغداد ــ **زين حسين**

في كتابه «طبقات فحول الشعراء»، وضع ابن سلام الجمحي معايير للشعراء الفحول. أحد هذه المعايير هو «الكمّ». قدّم ابن سلام واحِداً وعشرين شاعراً على حساب آخر وفقاً لمعيار الكم، فجعل المفاضلة بين الشعراء على أساس كثرة الإنتاج، وجودته، وتعدّد أغراضه. صدر للشاعر العراقي الكبير سعدي يوسف (مواليد أبي الخصيب في البصرة عام 1934 ـ 2021) ثمانية مجلدات لمجمل شعره، فأين يمكن وضعه وفقاً لمقياس ابن سلّام؟ في أي طبقة؟ إنه أكثر شاعر في تاريخ الشعر العربي على مر العصور غزارة. بالتأكيد لا تأتي أهميته بأنه الأكثر غزارة، ولكنها تأكيد موهبته، فـ«حفيد امرؤ القيس» سار مع الجميع ولكنه تفرّد بخطوته. فهل هو حقاً ضائع كما صنّفه النقّاد، بنسبته إلى الجيل الضائع، ذلك الجيل الذي وقع بين فكّي حداثتين: رواد الحداثة في الأربعينيات ومرجعيتهم الثقافية الإنكليزية (السياب، ونازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري) وحداثة الستينيات (جماعة كركوك) ومرجعيتهم الثقافية الفرنسية، الذين وقعوا تحت تأثير السوريالية والدادائية وقصيدة النثر. تفرّد بخطوته أيضاً، إذ خرج من سطوة هذين التيارين الجارفين، كأبرز اسم في جيله، جيل الخمسينيات وفقاً للتصنيف العقدي كما جرت العادة في الثقافة العراقية في تصنيف الشعراء. إلى يومنا هذا، يبقى أكثر الشعراء تجريباً. كتب في جميع أشكال الشعر العربي والغربي (القصيدة العمودية الكلاسيكية، والتفعيلة، وقصيدة النثر، البند، الموشح، السونيت) وهو من الأوائل الذين هدموا الحواجز الفاصلة بين الأشكال وجعلها تتداخل في القصيدة الواحدة.

لم يكتفِ بخلخلة الشكل القديم، بل عمد إلى الإفادة من كل أنواع الفنون والمعارف، وهدم معمار القصيدة القديمة. استثمر جميع الفنون وطوّعها داخل القصيدة، كما استخدم أشكالاً هندسية وأدخلها نسيج قصيدته مثلما فعل في قصيدة «إعلان سياحي إلى حاج عمران». خلخل بناء القصيدة الاعتيادية، واستخدم أشكالاً هندسية قائمة على مربعات متراصفة متساوية الحجم، أشبه بخانات مكتبة، وهي تمثل حقباً تاريخية من تاريخ العراق القديم والحديث. في هذا النص، استعان بأشكال هندسية وفصل بين نصين، أحدهما فضاؤه مفتوح، والآخر محاط بإطار مستطيل مغلق، واستطالته بالعرض. يتميز الفضاء البياتي وبلند الحيدري) بوجود علامات الترقيم في حين يخلو النص المغلق منها. اعتمد الشاعر على تقنية المزج بين نصين لبناء معمار القصيدة: أحدهما قديم والآخر حديث مستفيداً من العلوم والفنون المجاورة، كاسراً نسقية القالب الشعري السائد. عبر هذا البناء الذي يعتمد الدمج بين النص المغلق والمفتوح، جعل كل نصّ يتجاوز سابقه سواء في البنية والتشكيل في بنية قائمة على الدمج بين المتناقضات لبناء المعمار النصي. أدى هذا التداخل وظيفته في خدمة المعنى، إذ لجأ الشاعر إلى الهندسة في تشكيل المعنى، عبر اختزاله وتكثيفه، كما لا نعدم أنّ تنوع الفضاء البصري من مظاهر الحداثة التي كان لها الأثر الكبير في هندسة القصيدة. عبر هذا التأثير، أصبحت القصيدة العربية المعاصرة تحظى بأكثر من شكل وقالب للكتابة، ولشاعرنا سعدي يوسف السبق في استثمار المعارف والفنون لخدمة القصيدة والمعنى.

> **بغداد مركز السلطة، مثّلت له مكاناً جحيمياً، عكس البصرة التي كانت الفردوس المفقود**

البصرة... المكان الاول

الشعر العربي في شتى عصوره شعر مكاني، فالوقوف على الأطلال (المكان) جزء أساسي من بنية القصيدة الفنية، يستخدم في استعاراته وتشبيهاته وتوصيفاته، عناصر بيئته الصحراوية (المكان) في كل الأغراض، سواء أكانت مدحاً، أم غزلاً، أم وصفاً. يكاد يكون المكان ظاهرةً في الشعر العراقي الحديث. يعدّ سعدي يوسف أكثر شعراء العرب على مرّ العصور ارتباطاً بالمكان، ورسوخ المكان في شعره يكشف لنا عن نسقيته. في إحدى مقابلاته، يكشف صاحب «بعيداً عن السماء الأولى» عن نظرته إلى المكان، التي تكشف بدورها مرجعيته الثقافية. يقول: «فعلاً أعتبر أنّ القصيدة الجاهلية أهم قصيدة في الشعر العربي. ففي القصيدة الجاهلية، تجد أمامك كثافة من أسماء الأماكن والأسماء الجامدة، والأعلام». نظرته إلى المكان تقترب من رؤية الشعر الجاهلي للمكان، إذ كتب عن كل المدن التي وطأتها قدمه. مع ذلك، تبقى البصرة مدينة التشكّل والتكوين، ذات بعد خاصّ في نفسه وشعره، فالشعراء الذين ولدوا في القرى والأرياف، مثل سعدي يوسف المولود في قرية حمدان في قضاء أبي الخصيب في البصرة، لا ينظرون إلى المكان بصفته الجغرافية، بل هو مكان مجرد ذو بعد هندسي. هو حمل البصرة في رأسه كيوتوبيا، فحين يتحدث عنها، كان ينتقي صوره من محيطه المكاني المتمثل في البحر والسفينة، فالبحر واجهة المدينة، والسفينة مركزها التجاري. استخدم مستوى وصفياً للأماكن تظهر عبره حياة المدينة وطباعها. لكنه أظهر البعد الجغرافي والتاريخي والثقافي للمدينة عبر ذكر بعض الأماكن التي لها أسماء مطابقة لجغرافية المكان، مثل استدعائه لـ«بويب»، والمعروف عن بويب أنه نُهير وظّفه السياب ليحوّله إلى أسطورة.

البصرة جاءت رمزاً للألفة والجمال، عبارة عن لوحات خضراء من مناظر طبيعية، فلم تظهر معاناة الشاعر مع المكان، كثيراً ما استخدم معجماً غزلياً لمكان ولادته (ثغر الصباح، الندى، قمم الورد، سحر الأصائل، الهوى)، وفي رأينا ولادة الشاعر في القرية، حيث الماء والخضرة، هي التي جعلته يلوّن المدينة بأكملها بصورة خضراء، فالصورة التي ارتبطت في ذهنه منذ الطفولة لعبت دوراً في تشكيل رؤيته الشعرية، حيث ارتبط ارتباطاً لا واعياً بالأرض الأم (البصرة). صورة البصرة بالنسبة إلى الشاعر تختلف عن بقية الأماكن، لهذا نراه يفصل بين أرض العراق، والبصرة الخضراء، فهو قد حصر الخضار بمدينة البصرة. وهذا يفسر أثر المكان الذي تركه في نفس الشاعر. هو مكان حميمي أمومي، رغم التحول الذي طرأ عليه. تمثّل له البصرة صورة الوطن المحلوم به، أو المتخيل، ومن يقرأ شعره يلاحظ الفرق في خطابه الشعري بين بغداد والبصرة، فبغداد مركز السلطة، تمثّل له مكاناً جحيمياً، عكس البصرة الذي تمثّل له فردوساً، ولكنه فردوس مفقود.

الشيوعي الاخير... المقاوم الاول

كان الفكر الماركسي أبرز المرجعيات الفكرية والثقافية خلال حقبتي الخمسينيات والستينيات في ثقافة العراق. هذا نلمحه في شعراء تلك المرحلة، وأبرزهم سعدي يوسف. تتمظهر الأيديولوجية الشيوعية في غالبية قصائده، ولكنها تبرز بقوة في قصيدة «إعلان سياحي إلى حاج عمران». وهو الذي أطلق على نفسه «الشيوعي الأخير». شيوعيته تتمظهر ليس عبر مدح أفكارها، بل أيضاً في إدانة الأيديولوجيات المضادة لأفكار الشيوعية مثل القومية. وقد لصق جميع أفعال الموت بالأفكار القومية، وهذا ما جعله يربط «حزب البعث» ونظامه في العراق بالتعذيب والقتل. ومثلما ظهر البعثيون بصورة الجلادين، ظهر الشيوعيون بهيئة ضحايا مظلومين عندما صورهم «معصوبين مشدودين كالموتى». لم يكتفِ بالتعاطف مع أيديولوجيته باستظهارها في مواقف معينة وإدانة الأفكار المضادة، ولكن تتجلّى أيضاً في تضميناته وتناصاته، فمعجمه معجم حربي نضالي ثوري، والثورة والنضال يمثلان أبرز أدبيات الفكر الشيوعي. غالبية قصائده لم تخرج عن نسق الفكر الماركسي، فكانت مشحونة بالتمرد والاحتجاج ورفض الواقع الذي خلقته السلطة السياسية، وإدانة الحرب، ومناهضة الإمبريالية والاستعمار. لم يكن محتجاً في الشعر فقط، فالمعلوم أنه شارك في مقاومة إسرائيل وحمل السلاح في وجهها في بيروت في حقبة الثمانينيات. وتتمظهر أيديولوجيته المناهضة للرأسمالية التي تكون أميركا وجهها الحقيقي عندما يصف تمثلات هذه الأيديولوجية وأدواتها التي توظفها في خدمة أجندتها الاستعمارية مثل الصواريخ الإلكترونية أو الكاميرات التلفزيونية، وغيرها.

ذهب الشاعر وأخذ معه سره، حين ترحّل سعدي يوسف نحو الأبد تاركاً الحياة، وإرثاً أدبياً عظيماً، في الشعر والترجمة والرواية والمقالة. لم يأخذ المعنى في قلبه مثلما يقولون «المعنى في قلب الشاعر»، بل تركه داخل القصيدة، وهذا ما أبّد قصيدته وخلّدها.

صبايحة أولى لاستعادة الثوري المعارض للاستبداد والديكتاتورية

ليستْ كثيرة الأحلام التي تُطارد المنفي

ليستْ كثيرة الأحلام التي تطارد
المنفي، سوى العودة. تُرى بماذا
كان يفكّر شيخ المنفى سعدي
يوسف؟ العودة إلى أبي الخصيب؟
وما المانع من ممارسة حقّه بالحياة
في العيش بهدوء في بلده الأم؟ لعلّه
أكثر الشعراء العرب الذين تعرضوا
لاضطهاد سياسي وثقافي
واجتماعي. العرف السائد أنّ الشاعر
الذي يزعج السلطة، ستتخلص
الأخيرة منه بسهولة، عبر نفيه
جغرافياً. لكن ما تعرّض له صاحب
«صلاة الوثني»، كان نفياً مكانياً
وثقافياً واجتماعياً. الدافع سياسي
بالتأكيد، لا لشيء، سوى أنّه امتلك
شجاعة قول الحقيقة من دون تزويق
يغيّبها، وتمزيق أغشية الاعتبارات
التي تطمسها. لا أحد يشكّ في
معارضته نظام صدام حسين، كما
أنه الأشجع من بين الجميع في رفض
الاحتلال الأميركي للعراق. هو لم
يكن مخيّراً بين نظام ديكتاتوري
واحتلال. لعلّه الأول من بين مثقّفي
العراق الذي دعا إلى مقاومة
الاحتلال الأميركي، ولهذا يأخذ عليه
أغلب أعدائه بأنّه مع تنظيم «القاعدة»
في وقت كان هناك تياران مقاومان
للوجود الأميركي في العراق: تنظيم
«القاعدة» و«جيش المهدي»، وكل
من يرفع شعار المقاومة، محسوبٌ
على أحد هذين الطرفين وإن لم ينتم
إليهما. ولأنه دعا إلى مقاومة أميركا
وطردها من بلاد الرافدين، فقد نُعت
بشتى النعوت: مرة بأنه طائفي،
ومرة أخرى بأنّه بعثي رغم تاريخه
السياسي المعروف، لا لسبب إلا لأنه
أعلن رفضه لأميركا، ورفض السلطة
التي أنتجها ذلك الاحتلال، فحُرمت
كتبه، وشُوهت حتى صورته
الشخصية. هل هذا يعني أن الوعي
العراقي والثقافة بعد عام 2003 لا
زالا مرتهنين للاحتلال؟

في مفارقة عجيبة تنتمي إلى
المضحكات المبكيات أنّ السلطة
التي جاءت مع الاحتلال برموزها
السياسية والدينية والقبلية وطردت
سعدي يوسف، وأسهمت في
تشويه صورته، تتبنّى اليوم موقفه
بالمقاومة، في حين تغيّر موقف رموز
السلطة تجاه أميركا. من صديق
إلى عدو، لم يتغير موقف السلطة
من الشاعر سعدي يوسف. إذ ما
زال مطروداً، ومستبعداً بتواطؤ من
السلطة السياسية والثقافية. هكذا،
لم يُذكر اسمه في أي احتفال ثقافي،
ولم يقم أي استذكار احتفائي، ولا
زال اسمه في الجلسات الخاصة
مثار جدل وسجال. لدى رؤية ذلك،
تشعر بأنّ هنالك فاعلاً خفياً داخل
العراق، ليس بالضرورة شخصاً، بل
ربما نوع من «الوعي المضمر» الذي
يُمارس سطوته، محاولاً طمس أي
أثر يسير حساسية «ولي النعمة»،
لذلك شُنّتْ حملات منظّمة على
«الشيوعي الاخير».

من هنا جاءت فكرة إعادة إحياء
سعدي يوسف، واستدعائه في
بغداد بعد كل هذه القطيعة.
استدعاء، يتحدّى أيضاً المؤسسات
الثقافية التي أثبتت ذيليّتها للسلطة،
وكشفتْ عن عجزها وخوفها. ولأن
الشعر إحدى أهمّ وسائل الاحتجاج
والرفض، فلم يملك العرب وسائل
احتجاجية أخرى، كان هو الوحيد
المعبّر عن تطلعات الإنسان وهمومه.
الشاعر محمد مظلوم طرح سؤالاً
على منظّمي «مهرجان المربد»
في البصرة الذي أُطلِق على دورته
الخامسة والثلاثين التي انتهت قبل
أسبوع، اسم الشاعر أحمد مطر،
قائلاً: «لماذا لا يطلق المربد حتى
الآن اسم الشاعر سعدي يوسف؟».
سؤال حقيقي، فهو ابن البصرة
البار، فيما يتضمّن السؤال احتجاجاً
وإحراجاً للسلطة السياسية الراعية
للمهرجان، والسلطة الثقافية التي
تنظمه. من هذا السؤال تكوّنت
فكرة إقامة جلسة مخصّصة
لاستذكار سعدي يوسف حملت
عنوان «سعدي يوسف في بغداد:
قصائد وشهادات». هكذا، احتفت
مجموعة من الشعراء العراقيين من
أجيال شتى غالبيتهم من المغتربين،
بالشاعر الراحل ضمن ندوة
احتضنتها «قاعة جمعية الثقافة
للجميع» في بغداد في احتفاء هو
الأول بيوسف منذ ما يقرب من
أربعين عاماً.

تنوعت القراءات بين قصائد مهداة
إلى الشاعر، وشهادات قدمتها
مجموعة من الشعراء والنقاد هم:
محمد مظلوم، عبد الحميد الصائح،
زعيم نصار، نصيف الناصري،
صلاح حسن، كريم شغيدل، أحمد
الزبيدي، سلامة الصالحي، إيهاب
شغيدل، زين حسين وطفى على
القصائد طابع الحنين والاستذكار
وتجسيد صورة المنفى المرة.

افتتح الشاعر محمد مظلوم الجلسة
بقصيدة مهداة إلى سعدي يوسف
بعنوان «قبور إيثاكا» تحدّث عن
لحظات مرافقته للشاعر سعدي
يوسف أثناء سماع خبر وفاة ابنه
حيدر، وكان هذا الموقف هو بؤرة
القصيدة، التي يقول في مطلعها: «هو
ذا جيلُنا يا سعدي/ أخذنا حَقائبَنا
إلى الحرب/ وعُدنا مُبتسمين/ للنساء
في ساحةِ الميدان/ دون صُحبةٍ من
حياة/ كأنّنا تركناها هناك/ في
الأرض الحرام/ مع بساطيلَ بنيةٍ
وسوداء!/ وأحذية رياضية/ لم
تُسعفْ أصحابها في الهرب!».
جاءت القراءة الثانية للشاعر عبد
الحميد الصائح الذي استهل قراءته
باعتذار من الشاعر سعدي يوسف،
وحملت قصيدته عنوان «قرى
محطمة» يقول فيها: كما الأملُ/
هو الولي/ ذلك الطريقُ الذي أغويتَنا
إلى ظلامِهِ/ لنترك الصرائفَ غافيةً
على شواطئ الفقر/ ونَلتحف شِباك
الصيد حفاةً عراةً/ تُجلدُنا القصائدُ
في الطريقِ معكَ/ تطاردُنا البطولُ إلى
منفى من نَعاس طويلٍ».

وقدم الشاعر نُصيف الناصري
شهادته، مستذكراً المواقف
الشخصية التي جمعته بالشاعر
في عمّان. أما الشاعر صلاح حسن
فقد قرأ قصيدته المهداة إلى يوسف
وسبقها بحديث طويل عن بعض
المواقف التي حصلت مع الشاعر،
في حين قرأ الشاعر زعيم نصار
قصيدته «رسالة بعد الساعة
الأخيرة» يقول فيها: «أردّد مع
قلبي نشيج الليالي كلّها/ استشعرُ
الصدمةَ التي تضربُ مزاجي المتعكّر،
أستدرجُ وردةً منسيّة في أعماقي،
بلا انتظار، لا أفكّر بالكلام، لا أنتظر
أحداً، أوهمُ نفسي أنّني استمتعُ بلعبةِ
مع الكلمات/ بينما كنتُ أرى المدينةَ
صفراء من شدّة الكراهية». من جهته،
قدم الشاعر والناقد كريم شغيدل
شهادته الاحتفائية (استعادة سعدي
يوسف/ شهادة متأخرة) قال فيها:
«هذه ربما أولى المبادرات لاستعادة
سعدي يوسف الشاعر والمترجم
والناثر والثوري التقدمي المعارض
للاستبداد والطغيان والدكتاتورية».
أما الناقد الأكاديمي أحمد الزبيدي
قدم ورقته النقدية بالحديث عن
المنفى والمكان في شعر سعدي
يوسف، ثم قرأت الشاعرة سلامة
الصالحي قصيدتها، ليقدم بعدها ـ
من جيل الشباب أو الجيل الجديد كما
يطلق عليهم ـ الشاعر إيهاب شغيدل
شهادته التي جاءت بعنوان «ثقافة
الطرد والاستبعاد... مأساة سعدي
يوسف» قال فيها: «طرد سعدي
يوسف من جنة الثقافة العراقية؛ لأنه
أول من تطاول على عرش هذا النظام،
وحاول فتح آفاق جديدة للنظر في
المهيمنات التي يرتكز عليها النظام
السياسي العراقي بعد عام 2003،
لكن الخروج من نسق الثقافة العراقية
له ثمنه حتى وإن كنت الأخضر بن
يوسف».

زين...

قصائد

النعي الأخير (*)

إسحاق العجمي

1. تضحية أخرى

انتظارٌ غريب
ما يملكه الوقت من وقت
لا يعرف ما يفعل به
هذه المسامير من الزّمن المتوقّفة
أمام بوابة الجلجلة الجديدة
مثل مصادفة تتظاهر بقراءة الغيب
تمرين أخير لدقيقة صمت

امّا الذين وضعوا مصيرهم بعناية
كأجنحةٍ تصطفّ
في قلب الرّيح قبل المواجهة
غرباء خرجوا بعاطفةٍ مخادعة
لم يمرّ يومٌ عليهم
انتهى بهذه السّرعة
أو خطر تحت الرّاية المقدّسة
بعد آلاف الأميال ثمّة ثورة مضادة
حياتهم تدور في مراهنة
ينظرون إلى عيون بعضهم
ما من رمية نردٍ أخرى
تعود بهم إلى حيث كانوا
تركوا خلفهم الحقل وموائد الشّراب
وفي السّراب القادم أوّل الفجر
كانت رؤوس عائمة على وشك الغرق
ونهر يشعر بالتّعب

العطش منذور للجسد الثاني كإكليل
شوك
العدوّ يفكّر فيما سبق
لكن المحاصر نزل من على المدرّج
المزدحم
واقترح أن ينهي رتابة اللّحظة
بكرنفال ملحميّ
بعدما اختار لنفسه
أن يمضي مع كلّ من معه إلى الصّلب

2. عن البيوت الفارغة

حتّى تعود إلى البيت
لا تهاجر بعيداً عنه
فتنسى طريقك المختصر
وتظلّ طوال العمر
تتابع السّير دون أن تصل إلى نهاية
المدينة

عابراً على بقاياك
لا يحقّ لك أن تخسر مكانك
فأنت سيّد هذه المملكة
ومن يتخلّى عن خطوة أو غيمة
لن تكون بعد اليوم الأرض له
أنت تحمل أسماء الأشجار
وأسماء الكواكب
هذه هي كلّ الكائنات
تنسب إلى قلبك

حتّى تعود إلى البيت يجب أن يكونَ
هناك
بيت لم تقصفه طائرة حربيّة أو
قذيفة
أحدٌ ما ينتظرك
ويقول لك: لماذا تأخّرت؟
لكن ما يفعل من يحمي وجوده
بالمشي وحيداً
توقّف
وانظر إلى الوراء
تذكّر ما عليك
افتح باب بيتك
إنه فارغٌ إلّا من حنين الذين رحلوا
قبلك
املأه مرّة أخرى
كن الطّفل والألعاب
والصّور بنورها الشّبحيّ
ضعْ زهرةً بجوار النّافذة
تفقّدْ ذكرياتك التي استعدتها
واحكمْ بلدك

3. تكرار

أرضٌ صادفَ أنّها
من حينٍ لآخر
تجرّها عربات بعجلات مصنوعة من
أرواح بيضاء
تجرّها في اتّجاه طرقٍ عمياء
هكذا
يتوهّم من يغيّر اسمها
أنّه صار من
السّكّان الأصليّين
إنّهم يتساوقون
في إيجاد الكلمات

صفوان داحول
- «حلم» (زيت واوراق ذهبية على القماش
120 × 100 سنتم ــ 1992)

كشاهدةٍ على المساءات التي فيها
يدفع الزمن أبديّته
إلى أسمائهم
كأنّما عليها بأيّة وسيلة عبر كلّ
العصور
أن تحتفي بمن يسوقها
بالتّاريخ
أو الأسلحة
وها هي بلا انتصارات
تخلعُ كلّ الجراح
صخوراً
جبالاً
وهياكل

قليلاً من إيمانك لمن هُجّروا مرّتين
والمنازل نائمة
في غفلةٍ عن هلال
لم يصبح قمراً

أرضٌ لا مهرب عنها
أرضٌ أخذت تثقل بعد عدوها الطّويل
وعلى جدرانها المتصدّعة
معلّقة جميع المفاتيح
التي خرج أصحابها بحثاً عن
أرواحهم
بين العجلات المهرولة

4. عزلة

اللّيالي التي لا نبكي فيها
ليست أقلّ حزناً
من طليعة المعزّين المُجهدين
إلى أصغر إدانةٍ على موتٍ يجلس
مثقّلاً برائحة الدّم بعد نهاية الحرب
وأنا بين الهتافات قاتمة الألحان
التي حدّدتها المراثي

هذه الأحزان
مهارتنا التي تحاصرنا
في القرية المعزولة
إنّها في الأعماق تستعذب الظّلام
وتستيقظ على تنهّدات القلب
مختفين عن الأنظار
وعن الشّمس
الكلّ
يتبع نفس الوهم
لا جيران بالقرب
ولا نجوم تتعقّب خطواتنا
في اللّيالي المظلمة
وحدنا
تدور أعمارنا على
أيّام لم نستطع
أن نغادرها،

قصة قصيرة

القرص الحجريّ ٩

حجز الشّمس: روزنامة من عصر الأزتيك (المكسيك ــ 1479)

أنيس الرافعي *

«يُنبت هويّة الشعوب البدائيّة على نشوة شامانيّة، على هذه العلاقة الافتتانيّة مع العالم الآخر، حيثُ يستطيعُ كلّ رجل، بفضل هبة الأحلام، أن يختلط بالدنيا الثانية» (جان ماري غوستاف لوكليزيو: «الحلم المكسيكيّ أو الفكر المبتور» ص 164)

في زاويتك المفضّلة في مقهى «العالَم» بساحة السراغنة، حيث تجلسُ يوميًا لشرب قهوتك المركّزة، استعرت الجريدة من أحد الزبائن، ثمّ قرأت خبراً طريفاً عن عثور علماء مكسيكيين، بين أنقاض وأحافير موقع أثريّ معروف، على قرص حجريّ يعود إلى حضارة المايا عمرهُ ما يقرب من ألف عام.

القرص ذاته، الذي يبلغ قطرهُ قامة إنسان تقريباً ووزنه تسعين كيلوغراماً، كان منحوتاً بكتابة هيروغليفيّة مستعصية، تعجّ حوافها الدائريّة برؤوس سهام صخريّة مسنّنة، وعظام بشر مضحّى بهم على المذابح، وهو يصوّر على نحو مبهر معركة حربيّة غامضة، مقلوبة الأدوار بين محارب صيّاد صلب عتيد وامرأة ضئيلة قصيرة القامة؛ إذ إنّ المحارب الصيّاد، المسلّح بقوس، والمعتمر لغطاء رأس مزيّن بالرّيش، على هيئة عمامة أفعى ملكيّة مميّزة لراقصي الطقوس الشمسيّة في الأزمنة الغابرة، انبطح مثل طريدة صاغرة على ظهره متلوّياً منقبضاً من الألم، جرّاء إصابته بنصل حربة معدنيّ مدبّب في عضلة ساقه اليمنى، وعلى ما يبدو أنّ المرأة الملفوفة بوشاح من نمط زهرة الزّنبق هي من سدّدت إليه هذا الرمح البليغ، كونها تمسك بيدها الساق الخشبيّة المكسورة للرمح الغدّار. أعدتُ الجريدة إلى صاحبها، مخفورة بكلمة شكر وابتسامة، ثمّ نسيتُ أمر ذاك القرص الحجريّ العجيب، غير أنّه سرعان ما عاد في نفس اليوم إلى مهبّ حياتك على شكل حلم هجميّ، ثمّ تكرّر في غضون الأيام التالية من دون هوادة، إلى درجة كنت تصغي فيها إلى أصداء الصرخة المُعذَّبة للمحارب الصيّاد، وإلى الصيحات الرهيبة لضحايا الولائم الشعائريّة لآكلي لحوم البشر.

استعنتَ من الصيدليّة القريبة من بيتك بحبوب منوّمة قويّة، لعلّ كوابيسك المهلوسة تضمحلّ إلى غير رجعة، إلا أنّكَ لما كنت تفيق من نومك عصر كلّ يوم تُقبّل الحركة كقطعة صوّان، تكتشفُ أنّ جسدك شرعت تغزوه من جميع الأنحاء نقوش ورُقوش هيروغليفيّة أبدة من الحيوان والنبات.

بل الأدهى من هذا، أخذتْ تعثرُ وسط فراشك على بقايا وفيرة ممزّقة لريش وأوراق زنبق. تنظّفها بصعوبة بالغة مستعيناً بمكنسة، بالنظر إلى ما صرت تُلاقيه من عنتٍ في المشي، كما لو أنّ ذاك القرص الحجريّ انتقلت عدواه ونقمته إليك عبر معراج الحقب، وتقمّص بالكامل حجمك ووزنك، لتستحيلا معاً مثابة الصنوين اللّدودين.

وفي الأسابيع التالية، ليلة بعد ليلة، برزت ندوبٌ صغيرة على ظهرك كأنّها جروح سنان السهام، وطفقت عظمة ساقك اليمنى ترسل لك صداعاً ووجعاً لا يحتملان. فشلتْ في السير تماماً، وظللت ملازماً سريرك، مقتنعاً تمام الاقتناع أنّ نصل حربة معدنيّة مكسيكيّة (1) صدئة، تعود إلى ألف عام، نفذَ عبر عظمة ساقك الجريحة جرح لا يبين ولا يتجلّى، نفذ بطريقة ما إلى شغاف فؤادك، كي يغدو هاتفاً غيبيّاً؛ و تحذيراً إلهيّاً تلقيتهُ من الماضي البدائي السحيق.

طوال شهرين كاملين، كان هاتفك الخلويّ يئنّ مريضاً، ما بعدَ منتصف الليل، على وقع المكالمات الهستيريّة للمرأة المزعجة سيّئة الطباع، تلك التي تسلّلت إلى تربة حياتك كعشبة سامّة ذات جذر شيطانيّ... نذرتَ على نفسك أن لا ترد عليها. لم ولن ترد على الإطلاق برأ بقسمك الجازم... وحين توقّف الرنين العدوانيّ لهاتفك، تخفّفَ وزنك، وغاضت أوشامك في جلدك، واندملت جراحاتك، ثمّ انفرطَ إلى الأبد ألمُ عظمة ساقك!

المغرب

(1) إحالة: إنّها المكسيك الشامانيّة، تلك التي يحدث أن نسافر إليها أثناء النوم، أو الحلم، أو الغيبوبة، أو المرض، أو الكتابة، أو نشوة التخدير.. الجغرافيا الوهميّة المحاطة بسياج مصنوع من الأرواح. المكان البعيد تماماً، الذي «يمكن أن نتكلّم عنه، وإن لم نكن قد زرناه من قبل»، إذا ما رغبنا استعارة هذا القانون الأدبيّ الطريف من الناقد النفسيّ الفرنسي بيار بَنَاژ، الذي ألمح، تحديداً، إلى عدد من علماء الأعراق، الذين وصفوا أمكنة وشعوباً وعادات وتقاليد معقّدة، من دون أن يبارحوا بيوتهم، فمنحوا للكثير من الأماكن الخياليّة أو غير الموجودة أبعاداً واقعيّة جداً، على طريقة البرتو مانغويل في «معجم الأماكن المتخيّلة»، أو إيتالو كالفينو في «مدن لا مرئيّة»، وجيديون ديفوي في «أطلس البلدان المنقرضة». انظر مقالة الناقد حسن المودن المعنونة بـ«في الأدب، ما معنى أن تسافر إلى مكان بعيد؟» ضمن كتاب «الأدب والتحليل النفسيّ» (ص.ص. 117-126).

عندما يتذكّرنا النّاس
وشيئاً فشيئاً ينحسرُ زيف
الطّمأنينة
نكون مبتعدين كثيراً عن أنفسنا
هناك أشياء عديدة في الحزن
بلا فهم أو مغزى
لكن
لا أتعجّب من سوء الحظّ
الذي يحجب العالم
عن قرية صغيرة
وبعيدة جدّاً

5. مواجهة

صيف 2002، ريف دمشق
محاضرة على مقربةٍ من أحد القبور
الفخمة
تحدّث خطيبٌ عن قصّة بابٍ منذ أكثر
من ألف عام
ولم يُغلَقْ

في اليوم التالي
كان لقائي الأخير مع محمّد حسين
فضل الله
في ضوء عينه السّحريّ
بلطف تستطيع أن تخرج المشهد
المتقلّب
من الظّلام
رأيته
يتأمّل ما يمكن أن تمنحهُ الكلمة من
سلامٍ سماويّ
قايضَ كلّ شيءٍ بالحبّ
رغم السنة اللّهب
وقبل أن أودّعه
أخبرته عن خطيب تحدّى من حضر
بالوقوف ومواجهته
أنّ بعضاً من الحديث الذي دار بيننا
قبل قليل لا أصل له
نظر إلى عينيّ،
كان يعرف أنّ ذئاباً مُنْتَحِبة
ترغب في حرق الباب
وتسوّي بيت مَنْ تبكيه بالأرض
الكلمات التي خرجت من فمه الصّغير
لا أدري هل كانت عتباً أم سؤالاً:
لماذا
لماذا لم تقف يا ولدي؟

6. دمع حر

كلُّ شيءٍ خفيّ متّقد
جمر الخوف والتّقليد
لغز في كلّ بريقٍ غامض

الحرائق المشتعلة
لا علاقة لها بمن يرقد غير باحثٍ عن
جائزة
مَن نسبوه رغم موته الاعتياديّ
إلى مرتبة التّضحية
حتّى لا تزول القداسة
من أيّ عضوٍ في المجلس
ملؤوا روحه الهائمة بحروبٍ غير
معلنة
وفي لحظة التجلّي المبهمة
تنسكبُ دموعٌ على الفور
من عيون تدنّس الحكمة
بعيداً عن النّور
ليظلّ من لم يفكر
على هذا النّحو الأسود في القمّة

دمعي حرّ
لن أمنحَ للآخرين فرصة
ملء جرّة الرماد من أجسادنا
لا العين وظيفتها البكاء
أكثر من أن ترى
ولا الضّباب المظلم
على تخوم الرّثاء
يبلّل الجراح النّافذة
بالمغفرة

دمعي حرٌّ في أمسيات المعذّبين
بامنياتٍ
تتأرجح على جنازة خالية
والنّجم العابر على الموت والصّلوات
ينظرُ إلى الأفق
الدّاكن في السّماء

7. موج في القلب

الموجة
تصعد تهبط
بلا سترة نجاة
كأنّ في داخلها
حياة أبديّة

تنتقل طويلاً ثمّ تعود إلى بدايتها
لا عمقٌ فيها
شلّالٌ صغير أفلت من المكان
موجة مجهولة
لا يد يمكنُ
أن تلتقطها
ولا غيمة يمكن أن تنصب شبكتها
عليها
لكنّها
نادراً ما تتذكّر أنّها
تطفو كقطرةٍ في الكون

أشعرُ الآن
بشراع السّفينة في البعيد
كنت معهم
لا يمكن النّسيان
الموجة المقذوفة في الصّمت
عرفتها سريعاً
كما أعرف في الضّوء المجاور
دوائر الماء
التي لم تلحق أن تصير موجاً
ذكرى إثر ذكرى
تمرّ حياتنا غريبة
في العتمة،
على امتداد الرّحلة القديمة
هذه الأمواج الضائعة
ما أعدّها البحر لي
كأنّي انثر على قلبي
ملح أيّامنا

8. امهات

الأمّهات باقيات بعد نهاية الحرب
مع سحب المساء
تعكس ظلّاً من الضباب على
وجه مغطّى
بالدّمع والتّراب

أحضرن بيوتهنّ كاملة
للذي تأخّر في الإياب
وأنكرن سطوة الموت
في تسمية الغياب
حيث المختفون في الجهة الأخرى
استفاقوا
بعد فوات الوقت أحراراً من الطبيعة
المُضلّلة

الأمهات اللواتي ينتظرن في ثوب
المنزل
النائب الآتي من خلف مكتبه بالزّيّ
العسكريّ
أمهات بطلهنّ الوحيد
يسيل دماً في رسالة
إنّه أصغر من جرح لامس حتّى الموت
دمه
واقلّ شهرة من كلمة وداع عند نهاية
الحياة

استلقى على ألمه الشخصيّ
وفي هلوسته أعاد الذاكرة
كيف أطلق النّار على السماء
وعاد مع أوّل الرّصاص
محمولاً في الهواء
سيّدات اللّحاف الأسود
تحت ظلام غير مألوف
يسردن قصّة طويلة عن الدّموع
المخزّنة
لمن صار وجهه قمراً مسحوقاً
في كلّ ليلة
مسْقِط

(*) مقتطفات من ديوان بالعنوان نفسه صدر أخيراً عن «الدار الأهلية للنشر» في عمّان

أنا الفلسطينيّ ٩

محمد نورالدين *

أنا فلسطينيّ أنا
ولدت طفلاً/ رجلاً
حيّاً/ ميتاً
وعلى رأسي كوفيّته
أنا الفلسطينيّ

ليس يشبهني أحد
ولا يعرفني
سوى التراب والنار
والبندقية
حملتني أمي
على كتفيها
جثّة
عبر الصحارى والبراري
وأودعتني سرّها
من سماء لسماء
ثم غسّلتني بالدماء
كي لا تموت القضيّة.

أنا الفلسطينيّ
أنا الإنسان
إذ يعطش أو يشقى
أنا الإنسان حين يجوعُ
أو يعرى
لا أبحث عن شقيق
أو صديق
أو رفيق
ولا أدعو وليّاً
أو نبيّاً
أو إلهاً
كي يلقنني الشهادة

أو يهيل الرمل عليّ
في حفرتي الأخيرة
أنا الفلسطينيّ
يكفيني
ظلّي ونبضي
وأنّي
زيتونة بأرضي
كي أشعر بالسكينة
دعوني
حيث لا ماء
أشرب الغيم والسراب
وأحسب الأيام طيناً

ولا يحزنني غيابٌ
وسأبقى
يا أحبائي
أنا الفلسطينيّ
بقيّة الله الباقية
ألمٌ موتاي
بحسبي الله ونعم الوكيل
ولا أغادر يقينيَ
أنادي بأعلى صوتي
وبما ملكت يميني:
أنا فلسطينيّ
فلسطينيّ
فلسطيني

* لبنان

(بلال خالد ــ «غيتي»)

دراسات نسوية

هاجر منصوري تفكّك «نون النسوة» في الخطاب الديني

تُعدّ من الجيل الجديد من الباحثات التونسيات اللواتي انكببن على قراءة النص الديني وتفكيكه، ما جعلهنّ ظاهرةً في العالم العربي. في كتابها الجديد «نون النسوة في الخطابات الدينية: حفريات ورهانات حضارية» (الدار التونسية للكتاب)، يتناول قضايا النسوية الإسلامية من باب العلوم الإنسانية «بما تفرضه من صلات بين الواقع الاجتماعي والثقافي الذي أطّرها»

نورالدين بالطيب

بعد كتابها الأوّل «رواية الحديث بتاء التأنيث» (تونس 2022)، صدر أخيراً كتاب جديد للباحثة في الدراسات النسوية والدينية هاجر منصوري تحت عنوان «نون النسوة في الخطابات الدينية: حفريات ورهانات حضارية» (الدار التونسية للكتاب). كما هو واضح من العنوان، تواصل منصوري «حفرياتها» في الحقل المعرفي نفسه وهو قضايا النسوية الإسلامية التي تعدّ منصوري من المتخصّصات فيها في تونس. إذ تُعدّ من الجيل الجديد الذي تخرّج في الجامعة التونسية بعد جيل زهية جويرو، وآمال قرامي، وسلوى بالحاج صالح، وهالة الوردي، وناجية الوريمي، وآمنة الجبلاوي وغيرهن. جمعت منصوري في هذا العمل خمس مقالات ـ كما سمّتها ـ يلتقي جميعها في مناقشة حضور المرأة في الفقه الإسلامي. منذ بداية الكتاب، تحدّد منصوري مجال بحثها وحدوده وخصوصيته، واصفةً إياه بأنّه «خيار بحثي استدعته حفرياتنا منذ انطلاقتنا البحثية في تقصّي حدود حضور النساء في المعرفة الدينية في المجتمعات العربيّة الإسلامية قديماً وحديثاً». تنبّه منذ البداية إلى أنّه «لا يتيسّر لنا فهم هذه النوعية من الخطابات بمعزل عن تمثّلنا للخطاب الديني في كليّته بنيةً وسياقاً تاريخياً». تعتمد منصوري في تناول قضايا النسوية الإسلامية مقاربات العلوم الإنسانية «بما تفرضه من صلات بين الواقع الاجتماعي والثقافي الذي أطّرها».

عبر الدراسات الخمس («الحداثة والخطاب الديني بين الجذب والنّبذ»، و«المرأة والإمامة الصغرى في فقه ابن عربي: الانفتاح الفقهي في وجه الإجماع»، و«تفسير القرآن في الإبستيمية المعاصرة: مقاربة تفكيكية نقدية للخطاب حول المرأة في تفسير ابن عاشور» و«خطاب القبيسيات ورهان التغيير الاجتماعي» و«الداعيات والخطاب الديني في الفضائيات العربية الدينية المتخصصة»)، ترى منصوري أنّ «نون النسوة» ظلّت دائماً رهينة التفوّق الذكوري «لأنّ المجتمعات العربية تتحكّم فيها أنساق ومسارات فكرية» صاغها الرجال على مقاسهم وخدمة لمصالحهم في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. أمر جعل هذه «النون» مرتهنةً آلياً للتمييز بين الجنسين وتكريس التفوّق الذكوري. حتى خطاب «الداعيات في القنوات الفضائية الدينية»، لم يفلت «من نظم التمييز بين الجنسين لمصلحة الرّجال سواء على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني أو على مستوى العادات والأعراف».

إضاءة على «الداعيات» وتعاطي مفسّري القرآن والمتصوّفة مع قضايا المرأة

وتضيف متحدّثة عن الداعيات: «خضعت الصورة النمطية للنساء المكبّلة بترسانة المحظورات والمحرّمات في سياق إدانة لمكتسبات الحداثة الفكرية». وتشير منصوري إلى مفارقة بين مضامين خطاب الداعيات الماضوي و«استثمار أرقى التقنيات التكنولوجية واللوجستية».

تتوقّف الباحثة عند تفسير «التحرير والتنوير» لإمام الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) الذي يُعد من التفاسير الأساسية للقرآن. ترى أنّ خطابه حول المرأة خضع «للإطار المعرفي العام الذي يقرّ بالهيمنة الذكورية من جهة ويوحّد بين هذا الفكر والدين من جهة أخرى». كما أقرّ بـ «التمييز الاجتماعي بين الجنسين» رغم أنّ تفسيره الصادر في ثلاثين جزءاً (تونس 1956 والقاهرة 1966) صدر في زمن أصبحت فيه الأصوات التي تطالب بحرية المرأة والمساواة عالية مثل «مجلة الأحوال الشخصية» (قانون الأحوال الشخصية التونسي الذي أقرّ في آب/ أغسطس 1956) التي مثّلت ثورة في التشريعات الإسلامية. في مقابل ذلك نجد رؤية ابن عربي مختلفة. إذ إنّه في الفتوحات المكية «يشيّد للمرأة في موضوع إمامتها الصغرى، طرحاً فكرياً يخرج عن الصيغ السائدة ويؤسس لصيغ جديدة متفاعلة مع ديناميكيّة الواقع الذي يعيش فيه». وقد راهن على «أن تنفتح دراسة المرأة على تصوّرات جديدة لكل من العلاقة بينها وبين الرجل، ولمفهوم الذكورة والأنوثة عوضاً عن التمييز بين الجنسين الذي ترتّب عن ثنائية الخلق والوجود».

تدعو هاجر منصوري في هذا الكتاب إلى مراجعات شاملة للخطاب الديني المتعلّق بالمرأة على ضوء مكتسبات الحداثة وحقوق الإنسان، وما قدّمته المناهج العلمية من «تمثّل للإنسان يحرّره مهما كان جنسه من أشكال التمييز والأوهام المصنوعة تاريخياً واجتماعياً التي تُغلّف بالبُعد القدسي والمفارق حتى تتأبّى على كل تغيير». وترى أنّ العنف الذي تعاني منه النساء في العالمين العربي والإسلامي ذو جذور موجود في الخطاب الديني الذي «يعمّق التصوّرات القديمة والمتوارثة التي تبقى تنتظر الفرصة السانحة للتعبير».

هذا الكتاب الذي تضيفه هاجر منصوري إلى رصيدها من الكتب والبحوث والدراسات، إضافةً جديدةً في مدوّنة الباحثات التونسيات في مجال قراءة النص الديني وتفكيكه، هي التي جعلت منهن ظاهرةً في العالم العربي من طالبات هشام جعيط ومحمد الطالبي وعبد المجيد الشرفي.

كان منطلق منصوري في دراسات هذا الكتاب الخمس اعتبار أن الشأن النسائي في الخطاب الديني «مثّل محرّكاً لكلّ قراءة تحديثية فيه». فقد تمسّك المحافظون بتأبيد وضعية النساء على مستوى الأحكام والأحوال الشخصية، فكل شيء قابل للتغيير إلا ما يتعلّق بـ «نون النسوة من تصريف لأجساد صاحباتها وأدوارهن في الفضاءات العامة». يمكن اعتبار أنّ هذا الكتاب قد فتح نافذة أخرى في تفكيك مدوّنة الخطاب الديني المتعلّق بالمرأة من زوايا أخرى بما فيها المتّصل بحضور «الداعيات» في وسائل الإعلام وتعاطي مفسّري القرآن مع قضايا المرأة وكذلك المتصوفة.

لمحات

علاء اللامي

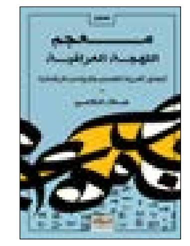

يتفرغ الباحث العراقي علاء اللامي في «معجم اللهجة العراقية ـ الجذور العربية الفصحى والرواسب الرافدانية» (مؤسسة «أبجد العراقية للنشر والترجمة والتوزيع») لدراسة وتحليل اللهجة العراقية. يضمُّ المعجم أكثر من 900 فقرة مرتبة ألفبائياً، تحتوي على مئات المفردات من اللهجة العراقية مع شرح معانيها وجذورها بالرجوع إلى معاجم عربية قديمة، مع الإشارة إلى بعض الكلمات المشابهة لها في لهجات بلاد الشام والجزيرة العربية ومصر والمغرب العربي. يشكّل هذا المعجم بما يحتويه من معلومات لغوية وتاريخية شائقة مستمدة من المعاجم القديمة وكتب التراث، مناسبةً ممتعةً للتعرف إلى جذور مفردات اللهجة العراقية الغنية بالجواهر المترسّبة من اللغات الرافدانية المنقرضة وخصوصاً الأكدية. ينتهي بثلاثة ملاحق: الأول عن حياة وإنجازات الخليل الفراهيدي البصري، واضع أول معجم عربي في التاريخ، والثاني قويمس يضم عشرات الكلمات العربية الفصحى المنقرضة، والثالث كلمات سومرية وأكدية ما زالت حية في العربية واللهجة العراقية.

سها مصطفى

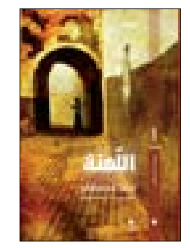

تستعرض الكاتبة السورية سها مصطفى في روايتها الجديدة «اللعنة» (دار هاشيت/نوفل) محطات سياسية ودينية مهمة في تاريخ الإسلام، وتُركّز على الفترة العثمانية، وتعود أيضاً إلى فترات رئيسية في تاريخ الخلافة والدولة الإسلامية مثل الأموية والعباسية والمملوكية. تُفكّك الكاتبة ببراعة هالة التاريخ المقدّسة التي تحيط ببعض الأحداث عبر سرد قصة حياة شخصيتين رئيسيتين: «حمامة» التي وُلدت في الريف السوري وحملت ندوباً من حياة سابقة، إذ شهدت مجازر العثمانيين ضد العلويين في حلب إلى أن قُتِلت في مجزرة التلال عام 1514. أما الشخصية الثانية فهي «رميا»، الجارية في قصر السلطان العثماني سليم الأوّل «القاطع»، الذي قاد تلك المجازر الدموية. تتقاطع حياة هاتين الامرأتين في رحلة زمنية مُدهشة، إذ تواجهان القيود والمصائر المفروضة على العباد، وخاصة النساء، وتُضحّيان بحياتيهما من أجل الحرية والتمرّد ضد السلطة والقمع، وتدفعان ثمناً باهظاً مقابل قناعاتهما الشخصية.

ألكسندر تشايانوف

تُبرز «رحلة أخي أليكسي في يوتوبيا الفلاحين» (1920) للكاتب الروسي وعالم الاقتصاد ألكسندر فاسيليفيتش تشايانوف (1888-1937) الصادرة بترجمتها العربية عن «محترف أوكسجين» (ترجمة أحمد م. الرحبي) مشاهد مدهشة للمناظر الطبيعية المحيطة بموسكو. يصف تشايانوف مجتمعاً لم تعد فيه المدن أماكن للحياة، وأصبح الناس يسكنون الريف الروسي، يزرعون الأرض، معتمدين على الطاقات الإبداعية الخلاقة التي تجمع بين تقاليد الماضي والتقنية الحديثة، من وسائل راحة وتنقّل سريع. تنسف الرواية المدنَ الكبيرة في شكلها الصناعي الحالي، وتراهن على المبادرات الإبداعية الشخصية، ونشر الثقافة والفن في كل مكان. يحلم الكاتب في تشييد مدينته الفاضلة موسكو، على غرار اليوتوبيا الكبرى التي تخلّلت بعض الأعمال الأدبية في بدايات القرن العشرين. تبحث الرواية عن بدائل للاستبداد الذي يعتري الديمومة البشرية، وترسم مستقبلاً مغايراً للاتحاد السوفياتي آنذاك بعد الإطاحة بنظامه «أدبياً». وقد كانت، على نحوٍ ما، سبباً في إعدام صاحبها.

روبرتو خطلب

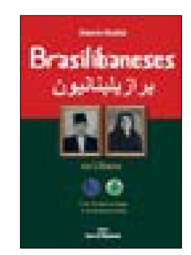

يُقدّم الباحث اللبناني البرازيلي روبرتو خطلب في «برازيليون لبنانيون في لبنان» (دار سائر المشرق) نبذة محدثة عن العلاقات الإنسانية والتاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية بين البرازيل ولبنان. يرتكز على أبحاث حصرية، معتمداً على اتصالات ومقابلات ووثائق ومذكرات شخصية عن البرازيليين المندمجين في المجتمع اللبناني. كما يتضمن الكتاب مسحاً موثقاً حول مراحل معاودة هجرة البرازيليين والبرازيليين- اللبنانيين من أصحاب الجنسيتين، التي تستمر منذ أكثر من 123 عاماً وأقدمها حتى هذه اللحظة، هجرة يعقوب ووديعة منسى، من غوسطا إلى البرازيل عام 1885 قبل أن يهاجرا مرة أخرى عام 1901 عائدين إلى لبنان. يشرح الكتاب كيف بدأت أواصر علاقة البرازيليين تتعمّق مع بلاد الأرز، ولا سيما بعد زيارة إمبراطور البرازيل بيدرو الثاني جبل لبنان في عام 1876. يُعدُّ الكتاب مناسبة للتعرُّف بشكل أفضل إلى البرازيل حيث يتواجد البرازيليون اللبنانيون في كل القطاعات الثقافية والتربوية والتجارية والسياسية.

مجدي دعيبس

في «الحورانيّة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) يختتم الكاتب الأردني مجدي دعيبس مشروعه الروائي الذي بدأه بـ «الوزر المالح» واستمرّ به في «حكايات الدرج» و«قلعة الدروز». يضيء دعيبس على مرحلة حاسمة من تاريخ الأردن منذ أواخر الستينيّات إلى منتصف الثمانينيّات، جاعلاً من قرية خيالية في إربد الحورانيّة مكاناً للأحداث. ترصد الرواية تغيّرات وتجاذبات المجتمع الأردني على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، عبر قصص مجموعة من الشخصيات التي تبحث عن الذهب. تتأثر هذه الشخصيات بالأحداث الداخلية (مثل ملاحقة الشيوعيين) والخارجية (مثل أحداث حماة والخليج ولبنان) التي شكّلت المنطقة. تعكس الرواية التبعات الاقتصادية للطفرة النفطية والأزمات والفساد على حياة المواطنين، والتحوّلات الاجتماعية التي شهدتها البلاد في ظل تزايد الشعور الديني والتشدّد وتكاثر الأولياء الصالحين. تبدأ الرواية بجريمة قتل تهزّ القرية وتصدم الأهالي، وتكشف خلال التحقيق عن أسرار وأحداث متناقضة نسيها الزمن.

كارلوس ماريا دومينغيث

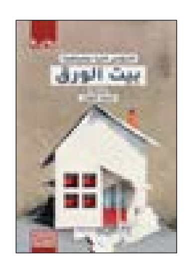

يروي كارلوس ماريا دومينغيث في «بيت الورق» (2002) الصادرة بترجمتها العربية عن «دار الخان للنشر والتوزيع» (ترجمة محمد الفولي) قصة بلوما لينون، أستاذة أدب اللغة الإسبانية في «جامعة كامبريدج» التي قُتلت بواسطة سيارة في شارع في لندن أثناء قراءتها قصيدة لإميلي ديكنسون. يتلقى زميلها الأرجنتيني الذي عُيِّن بديلاً منها، مظروفاً من الأوروغواي باسم المتوفاة يحتوي على كتاب لجوزيف كونراد بعنوان «خط الظل». يلاحظ أنّ الكتاب مُتضرر من الرطوبة ومغطّى بالإسمنت والطين، كما أنّه مُزيّن بإهداء غامض من بلوما لشخص يُدعى كارلوس. يستغل الأستاذ الجديد، وهو مدمن على الكتب وعاشق للقراءة، فرصة زيارته لبوينس آيرس لرؤية والدته، ليتتبع أثر الشخص المثير كارلوس. «بيت الورق» قصّة رائعة حول حب الكتب، أو بالأحرى جنون الكتب، تجعل القارئ يفكر في مغامرة المطالعة والمخاطر الجسيمة التي يمكن أن تنتج عن الرغبة في امتلاك الكتب والشغف المجنون بالقراءة. يقدّم الكتاب فكرة حول كل هذه المشاعر بروح فكاهية نوعاً ما.

قصّة

روعة سنبل تُحصي الخسارات السورية

فاطما خضر

«دُو، يَك» هي رمية النرد التي غالباً ما تودي في لعبة الزّهر إلى الخسارة، وغالباً ما تُشير إلى قِلّة الحظ؛ وبهذا التكثيف العالي تشير القاصة السورية روعة سنبل إلى ثنائيّة «الخسارة/ قِلّة الحظ» التي طالت كلّ سوري بعد عشر سنوات من الحرب. من خلال العنوان الذي حملته مجموعتها القصصية «دُو، يَك» الصادرة عن «دار ممدوح عدوان». عبر 15 قصّةً، تَقصُّ سنبل الحكايات، بما يتوافق مع عدد أحجار النرد التي تكون في يدِ اللاعب، إذ توزّعُها ضمن ثلاثة فضاءات: «ذاكرة»، و«دروب»، و«ليل»؛ ليتميّز كلّ فضاء منها بمفرداته، وسرديّته، وشخوصه التي يجمعُها الخذلان والتعب.

يرمز عنوان القسم الأول «ذاكرة» إلى ذاكرة الحرب المشوّهة، وما تركته من نُدوب نفسيّة وأمراض جسديّة. يتضمّن القسم خمس قصص، تتخذ القاصّة من أفراد العائلة أبطالاً لها، ومن المنزل ساحةً لمجريات أحداثها، وتحديداً المطبخ الذي يظهر بمفرداته بشكلٍ جَليّ. ليس ذلك بالأمر الغريب على القاصّة ما دامت ابنة الشام التي تشتهر بمطبخها. ومن رغيف الخبز برمزيته العالية، تنطلق في قصّة «أحدهم يحاول أن يُخبرنا شيئاً»، لتحكي لنا عن امرأةٍ تركت آثار الحرب في نفسِها ما تركته من صدماتٍ نفسيّةٍ، أوصلتها إلى اكتئابٍ مُزمن، أوصلها بدوره إلى الإصابة بالبارانويا. تبدأ بتخيّل رموز وصورٍ على رغيف الخبز. تنجح القاصّةُ في تصوير رموز الحرب وآثارها القاتلة، من دون أن تتطرّق إلى الحرب بشكلٍ مباشر: «تعاقبت الأيّام والأرغفة، وبنظّرةٍ واحدةٍ، صُرت حين أحمل أيّ رغيف، أستطيع قراءة الإشارات والرموز كما تقرأ عرّافة خطوط الكفّ، ثمّ أنسخ الرسائل المشفّرة على دفترٍ صغيرٍ، وأكتفي بالصمت. رؤوسٌ مقطوعةٌ لها عيونٌ متّسعةٌ بذعرٍ، تلالٌ من الرماد، ومقصّات وسكاكين، ووجوهُ جلّادين، وشاهدات قبور، وفزّاعاتُ عصافير، وشموسٌ مُطفأة، وعناكبُ سوداءُ بسيقانٍ مُشعرة، وفراشاتٌ بأجنحةٍ مقصوصةٍ، ملأت هذه الرموز وغيرها أرغفتي ودفتري، بدَت كنداءات استغاثة، أراها في كلّ شيء حولي، تسكن صرخاتها رأسي، وحين أنام تحتلّ كوابيسي. أهملتُ نفسي وزوجي، وأطفالي، عافت نفسي الطعام والحياة، اضطربت ذاكرتي، واختبأتُ خلف صمتي. – ليست هلاوس، أحدهم يحاولُ أن يُخبرنا شيئاً. قُلت». تتتبّع الصوت القادم عبر الرموز التي تراها بمفردها. صوت تعتقد أنّه يريد أن يُخبرنا شيئاً، تتّبعه إلى مصدره القادم من الفرن، لترمي نفسها في بيت النار؛ وهي بذلك تخبرنا بسورياليّةٍ كم أصبحت لقمة العيش مُغمّسة بالدّم والقهر. ومن رغيف الخبز، إلى جرزة البقدونس في «الرأس على الرأس»، والجدّة التي تُعلّم حفيدتها قوانين أعمال المنزل المتوارثة، وأصول الطبخ، والفرق بين أصول ترتيب الكزبرة والبقدونس، تقول الجدّة: «أمّا البقدونس، هيك... الراس ع الراس، شايفة كيف؟ الرااااس ع الراس». تكبر الفتاة، تتزوّج، تُفرّق الحرب الأبناء والأحفاد، لينتهي المشهد بجنازة الجدّة، واقتراب الحفيدة من جثمان جدتها، واضعةً الرأس على الرأس، الجبهة إلى الجبهة، والخدّ ملاصقاً للخدّ، هامسةً وهي تبكي: «الراس ع الراس يا ستّي، شايفة كيف؟ الرااااس ع الراس». تتابع في القصص الثلاث الباقية، سرد حكايات عائلات وجدّات مُستخدمة مفردات البيت الحميمية، التي تخدشها الحرب، وتُلحِق بها التشوه.

في القسم الثاني «دروب»، تأخذنا القاصّة إلى فضاءٍ مُغاير، فنخرج معها من البيت إلى الشارع ووسائل النقل العامة حيث تدور أحداث الحكايات. بين الفقر ووِحدة أب ماتت زوجته وهاجر أبناؤه، وزوجة صبيّة هاجر زوجها سَعياً إلى وضع معيشي أفضل، وأمّ استشهد ابنها وترَكَ لها طفلته لتُربّيها، لا تنسى القاصّة أن تروي بعض التفاصيل الأنثوية لعالم المرأة وما يدور فيه من عناية واهتمام رغماً عن أنف الفقر. هذا ما صوّرته في قصّة «عيّوش» المرأة العشرينية التي تعمل في تنظيف منزل الحاجّة أمّ موفق مرتين أسبوعياً، لتحصل على المال الذي يُمكّنها من إعالة عائلتها. تدس تِفل القهوة المُتبقي في كيس أسودَ صغير، لتستخدمه لغايات تجميليّة: «وقفت عيّوش عند حوض الجلي المُمتلئ بالأواني المُتّسخة، فتحت الصنبور، وقبل أن تغسل تِفل القهوة الملتصق بأسفل الفناجين والركوات، التفتت حولها، وحين لم تجد أحداً، جمعَت التّفل بالملعقة، وضعته في كيسٍ صغير، وخبّأته بسرعةٍ في صدرها بيدٍ مرتجفة. والليلة، وبعد أن تحلق شَعرَ جسدها، ستضع التّفل في الإبريق، ستُضيف الماء الدافئ، وتحرّك قليلاً، ثمّ ستغسل بالسائل البنّي الفاتح أطراف شعرها، أمّا العجينة الداكنة الرّاسية في الأسفل، فستدهن بها جسدها، ستنتظر ربع ساعة، ثمّ ستشطف الشّعر والجسد، وستحصل على «نعووووومة الحريييير»، هكذا قالتها المذيعة في الراديو صباحاً حين كانت عيّوش في الباص».

في القسم الثالث «ليل»، يتّسع فضاء الحكايات، ويتنوّع ما بين البيت وحمامات الحديقة العامّة، الشارع، باص النقل العام، كأنّها بذلك تقوم برصد شامل لحياة دمشق التي حوّلتها مخلفات الحرب إلى حياةٍ بائسةٍ بكلّ مساحاتها وعلى اختلاف شخصياتها. في «أميرة التي تعرّف»، سنقرأ عن المرأة التي تعمل في تنظيف حمامات حديقة عامّة، وقد صارت في لحظة الحرب ملجأً أكثر أماناً على قذارتها. هنا تسمع المرأة وترى حكايات الناس، فتصبح مع تراكم السنين تعرف كلّ شيء عن هذه المدينة، حتّى الأقبية المُظلمة التي زارتها للسّؤال عن ابنها المعتَقل، التي لا تعرف عنه شيئاً. وفي «صبيّ المشنقة»، تسرد قصة صبي مشرّد يستلقي منبطحاً فوق سقف موقف الباص، وكلّما اقترب شخص، يرمي حبل مشنقة لإخافته كنوع من المزاح الثقيل، إلى أن يُمسك به أحد الرجال ويبرحه ضرباً، لتتحوّل مشاعر المارّة إلى تعاطفٍ كلّيٍّ مع هذا الصبي، بعد أن يصرخ وهو مُلطّخ بالدم والدمع: «شنقوا أمي، شنقوها.... مَن هم؟ كيف شنقوها؟ ولماذا؟ لا يجرؤ أحدٌ على السؤال، نتبادل فقط نظراتٍ خائفة، ويزحف البرد إلى الأجساد، بردٌ أعرفه جيداً، قاس، يجعل العظام تتألّم والقلب يرتجف. يقّف الصبي متّكئاً على ذراع الشاب، تناوله امرأةٌ قنينة ماءٍ بلاستيكيّة صغيرة، يدلق الماء في حلقه دفعةً واحدة، ثمّ يتحرّر من ذراع الشاب، ويقذف القنّينة بعيداً، يمسحُ بباطن كفّه المخاط والدم عن أنفه وهو يتلفّت حوله، يجرجر قدمَيه بصعوبةٍ نحو الحبل الملقى على الأرض، يضعه على كتفه، يدير ظهرَه ويهمُ بالانصراف، ثمّ يلتفت نحونا فجأة، يبصق علينا، ويغرق في الضحك، يتسلّق «كابينة» موقف الباص، وينبطح هناك مع حبله».

وبذلك، تنقل لنا القاصة عبر مجموعتها، ملامحَ مدينة نهشتها الحرب، مُعتمدةً أسلوب التورية وإزاحة المعنى، تاركةً للقارئ فَكّ كثير من الشيفرات والإحالات المُكثّفة.

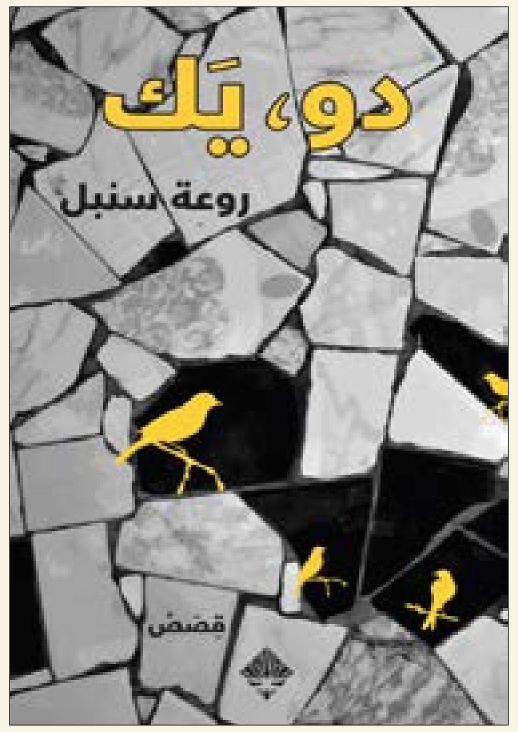

تعتمد أسلوب التورية وإزاحة المعنى والإحالات المكثّفة

رواية

محمد طرزي... بحثاً عن الإلهام

مهدي زلزلي

ليس سهلاً أن تكتب، بعد الأربعين، عن رواية مخصّصة للفتيان. ينطوي الأمر على شعورٍ بمصادرتك رأي شريحةٍ كاملةٍ من القُرّاء أهملها السرد العربي طويلاً، وممارستك نوعاً من الوصاية عليها. وأصل الكتابة للفتيان مسؤولية عظيمة لا تخلو بدورها من صعوبة، وحين يدقّ بابها كاتب أصاب نجاحاً واضحاً في ميدان آخر، تتساءل في ذاتك عمّا قد يدفعه إلى خوض مغامرة مماثلة، قبل أن تتذكر أن الكتابة مغامرة في جميع الأحوال.

الكلام هنا عن الروائي اللبناني محمد طرزي (1983) الذي صنع لنفسه بصمة مختلفة بين أقرانه بفرادة أسلوبه واختياره لموضوعاته. كرّس مشروعه الروائي الأساس «ثلاثية الحلم الأفريقي» لتناول المدة التي حكم فيها العرب شرق أفريقيا في سلسلة من رواياتٍ ثلاث. روايته الجديدة مخصَّصة للفتيان تحمل عنوان «سرّ الطائر الذي فَقدَ صوته» (الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت) تدور أحداثها حول «كنان»، الفتى الذي يخوض باكراً تجربة الكتابة الأدبية، متأثراً بكاتبه المفضل فؤاد نجّار الذي انتقل للإقامة في حيّهم. يحصل كنان على مؤلفات نجّار من مكتبة «البؤساء» العائدة لأبي عامر صديق والده، ويزداد انبهاره بالكاتب بعد قراءة روايته الأخيرة «القلم السحري» التي تحكي عن كاتب يعثر مصادفةً على قلم ذهبي، حبره مصنوع من دم طائر فَقدَ صوته!

وإذا كان للكتّاب أن يختلفوا على جواز اقتصار وظائف النص الأدبي الموجّه إلى الكبار على الإمتاع، من عدمه، فإنّ تحميل النصوص المخصَّصة للناشئة بالرسائل يبدو أمراً بديهيّاً ومقبولاً بل مطلوباً بالنسبة إلى الجميع. رسائل ليست بالضرورة تربوية أو أخلاقية، فإن كانت الرواية تمرّ بشكل لطيف على موضوع مثل التنمّر من وجهة نظر تربوية وأخلاقية، فإنّ رسائلها الأبرز التي تفصح عن نفسها سريعاً وإن احتواها السرد بشكل متقن ومدروس، تدور حول النظرة إلى القراءة والكتابة، حتى يصحّ عدّها «نصائح إلى قارئ وكاتب على أبواب الشباب».

تقديم هذه الجزئية على الجوانب الفنية في الحديث عن الرواية، يعود إلى الأهمية البالغة لهذه الرسائل ومجيئها في أوانها. بعد عقود من الحديث عن أزمة قراءة في الوطن العربي، بات الحديث ممكناً اليوم عن «طفرة قرائية» لافتة لدى جيل الشباب، ولدت وتزامنت مع إقبال محموم على الكتابة، في علاقة طردية أوحت بأنّ الأولى ممرّ إلزامي للثانية والثانية نتيجة طبيعية للأولى.

يلاحظ المراقب للمشهد من كثب أن القراءة تحولت تدريجاً من وسيلة لتحصيل المتعة وتنمية المعارف، إلى طقس استعراضي يمنح صاحبه أفضلية معنوية على أقرانه، وجاءت مبادرات كثيرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي لتكرّس هذا الاتجاه، وخصوصاً في ظل أزمة كورونا والحجر المنزلي الذي صبّ «نظريّاً» في مصلحة الكتاب، وتحوّلت مشاركة الفرد سنوياً عناوين الكتب التي قرأها، في الحيّز المخصَّص له في الفضاء الافتراضي، بهدف تحريض سواه على القراءة وتقديم اقتراحات جديدة لهم، إلى تعدادٍ نصف سنويّ ثمَّ شهريّ ثمَّ أسبوعيّ ثمَّ يوميّ!

أما الكتابة التي طغى عليها الاستسهال، فقد تحوّلت إلى وسيلة ارتقاء اجتماعي لكل من يملك كلفة طباعة بضع مئات من النسخ من خواطره المبعثرة، متعللاً بأنه قرأ من الكتب ما يكفي لتحويله إلى كاتب.

لعل محمد طرزي يحاول في روايته استدراك ما يمكن استدراكه، عبر قطع طريق هذه الظاهرة الفوضويّة أمام الجيل القادم من الشباب، إذ صار من الصعوبة إقناع أبناء الجيل الحالي بالتروّي بعدما ذاقوا حلاوة ألقابهم الجديدة.

«أراد أن يسأله كيف عرف أنها رائعة وهو لم يقرأها»، «القارئ النهم يا بني ليس مَن يقرأ كأنه يعدو في سباق، بل مَن يقرأ برويّة متنزّه في حديقة. لا تبالغ في القراءة، ولا تبتلع الكتب من دون فاصل للتفكير وإلا فلن يتسنّى لك هضمها»، «على الكاتب أن يعرف إلى أين يتجه نصّه، لذلك عليه وضع تصميم ما، لكن الكتابة الحقيقية تبدأ لحظة الانحراف عن التصميم»، «يكتب باليد، وينقل لاحقاً ما يكتبه إلى اللابتوب، هناك خيط خفيّ يربط الخيال بالذهن، باليد، بورقة الكتابة»، «على الكاتب أن يبتعد عن نصّه مسافةً زمنية كي تتسنّى له قراءته بعين الناقد، حينها فقط يمكنه تحديد مدى موهبته»، «إن أردت احتراف الكتابة يا صديقي تذكر عبارة أرنست همنغواي: إن الكتابة تبدو سهلة غير أنها في الواقع أشقّ الأعمال في هذا العالم»... هذه النصائح والخلاصات، وغيرها، ضمَّنها محمد طرزي روايته على لسان فؤاد نجّار، وعامر ابن بائع الكتب، وكنان والراوي، في سياق سردي محكم وآسر وبالغ التشويق، مطبّقاً ما أورده في الرواية على لسان أبي عامر حول الكتابة للفتيان: «أن تكتب للفتيان يعني أن تكون الحبكة مخصَّصة لهذه الفئة العمرية، أما اللغة، فيجب أن تكون دائماً بمستوى جيد، إذ على الكاتب أن يتحدّى قراءه الفتيان لتطوير مداركهم والارتقاء بذائقتهم الأدبية».

وإذا كان العنوان يبدو في البداية مقحماً خلافاً للواقع، لارتباطه حصراً بواحدة من روايات فؤاد نجّار، الشخصية الرديفة لبطل الرواية كنان، فإنّ الغوص في صفحات الرواية سيقود القارئ إلى تقاطعات سردية مفاجئة، تشترك فيها الشخصيات المذكورة مع لاعب كرة القدم ماجد، وناديا ابنة الكاتب، والرسام نبيل «بيكاسو»، بما يجعل العنوان في صلب أحداث الرواية وفي صلب رسالتها الأهم، وهي أن الإبداع لم يكن يوماً وليد خرافة خارقة للعادة، بل كان على الدوام وليد إرادة فذّة خارقة للعادة، وأن الإلهام لا تولّده إلا القراءة والتجارب.

أزمة كورونا صبّت «نظريّاً» في مصلحة الكتاب

أوراق

عزرا باوند
الربا طاعون يدمّر الحضارة

محمّد مظلوم *

شكّل «الربا» بوصفه رمزاً لانهيار الحضارة الغربية، موضوعاً أساسياً في تجربة الشاعر الأميركي عزرا باوند (1885-1972) جسَّدَ عبره موقفه الجذري المناهض لسلطة المال، وحكم المرابين، وسماسرة الحروب. موضوعات مركزية في نثره وشعره، ولا سيما في الأناشيد 12، و14، و15، و45، و48. تظهر كلمة الربا للمرة الأولى في قصيدته الغنائية الدرامية الطويلة «هيو سيلوين موبرلي» (1920) وهي بمثابة وداع للندن وهجاء مزدوج للمدينة بعدما أصبحت حياته فيها عقيمة بلا معنى. فهو يدين الأولويات التافهة لمجتمع يقدّر المال والحروب أكثر من الفن والحياة:

«بِعُيونٍ غائرةٍ مَضَوا إلى الجَحِيمِ
مُصَدِّقِينَ أكاذيبَ الشُيوخ
وعادُوا إلى وطَنِهِمْ كافِرين،
عادُوا لِكِذْبة، عَادُوا لِكَثْرةِ الخِدَاع،
عادُوا لأكاذيبَ قَدِيمةٍ وَعَارٍ جَديد،
إلى الرِّبا العَرِيقِ المتأَصِّل
وَإلى الكَذَبَةِ في أماكنَ عامة».

ثم بلغ ذروته في النشيد «الخامس والأربعين» بلازمته المكررة: «بالربا»

بالرِّبا
ليسَ للإنسانِ بيتٌ من حجرٍ حصين
بالرِّبا، وهو الخَطيئةُ بحقِّ الطَّبيعة،
خُبزُكُمْ، دَائماً، فتاتٌ متعفِّنٌ
بالرِّبا ما مِنْ تخومٍ واضحةٍ
ولا يُمكنُ لأحدٍ أنْ يَجِدَ موضعاً يؤويه.
الحجَّارُ محرومٌ من حَجَرِه
وَالحائكُ ممنوعٌ من نَسِيجِهِ
بالرِّبا
لا صوفَ يصلُ السُوقَ
ولا شياهَ تدرّ عائِداً بالرِّبا
الرِّبا طاعونُ ماشيةٍ، الرِّبا
يثلِمُ الإبرةَ بيدِ الفتاةِ
ويعيقُ دورانَ مِغزلِ الحائكةِ المَاهرة.
عن الربا
لم تَنْشَأ كنيسة وقطعة من حَجَرِها موقَّعَة: ادم صَنَعني».

ومن اللافت أن جميع الكنائس التي امتدحها باوند في هذا النشيد شُيِّدت قبل زمن القديس بطرس (1505-1526) الذي موَّلَ بناءها عن طريق بيع صكوك الغفران، إذ رأى باوند في أسلوبها الباهظ والمتكلّف وأبعادها العملاقة تعبيراً مرئياً عن انحطاط الإيمان الكاثوليكي وتسويغ الربا في المسيحية. يوضح في إحدى رسائله أنّ الربا ليس فقط «الفائدة الفاحشة المفروضة على القروض» بل يفهمه على أنه يحكم اقتصاد السوق بأسره، ما يؤثر على المهن والعلاقات الاجتماعية والأنشطة الفكرية وحتى على جودة الفن.

ورغم أن الربا يبدو مجرد شرّ اقتصادي، فقد توصّل باوند إلى أنّ الاقتصاد مفتاح التاريخ، وأن الإنجازات الثقافية تعتمد على الاستخدام السليم للمال. بناءً على ذلك، وجد دليلاً على الربا في المجتمع والثقافة الغربيين. وكان خلق البنوك للأموال من العدم، هو الداء الذي حاربه بجهوده في الإصلاح الاقتصادي. ورأى أنه إذا أحكمت الدولة السيطرة على الأموال عبر الائتمان، فإنّ الفوائد بدل أن تذهب إلى تلك البنوك، وتخلق ثروات فاحشة، يمكن أن تتراكم بوصفها رأس مال مشتركاً متاحاً للأشغال والخدمات العامة. بالاعتماد على الإنفاق الحكومي، فقد لا تكون هناك حاجة لفرض الضرائب، بل ربما تدفع الحكومة أرباحاً لمواطنيها. وأصبحت البنوك الخاصة هي المتهم الرئيس بالنسبة إليه، بسبب استغلالها موارد الناس، وسيطرتها على الائتمان. ولأنّ البنوك مملوكة في غالبيتها لعوائل يهودية تفرض فوائد فاحشة، رأى أنّ ارتباط «اليهودي الكبير» بالقروض الرأسمالية «أشبه بخلطة عجّة بيض» لا أحد بإمكانه حلّ رموزها.

«المُرابيّ الكَبير الشَّيطان جيريون،
النموذج البَدئيّ
لأَسْيادِ تشرْشل
من اللقطاءِ اليهودِ».

يقدّم باوند صورة أخرى لـ «جيريون» دانتي الذي يضع المرابين في الدرك السفلي من دائرة الجحيم السابعة. في النشيد الخامس عشر، يجعل باوند الربا «الذي يعني به الرأسمالية الحديثة» الوحش اللدود القائم على جحيمه:

«الرِّبا، الوحشُ ذو المائةِ رِجْل»

منذ حلول فترة الكساد الاقتصادي، أصبح باوند مقتنعاً بأن القوى المالية التي تسبّبت في الحرب العالمية الأولى تتعجل لإشعال فتيل حرب ثانية. ومن هنا جاءت هجماته على اليهود المرابين كونهم ممولين للحروب ومحرضين عليها:

«أنا الذي لم يؤمنْ
بأنَّ العالَمَ خلقَهُ يَهوديٌّ»

من هنا أيضاً جرى تأصيل جذور «معاداته للسامية» رغم أنه دحض هذه التهمة: «لست معادياً للسامية، فإنا أميز بين اليهودي المرابي، واليهودي الذي يعمل عملاً شريفاً من أجل لقمة العيش»، لكنه من غير المجدي الانشغال بتفادي تهمة «معاداة السامية» وترك النظام النقدي العبراني سليماً، وهو أداة الربا الهائلة.

وفي موقفه من الدور الذي لعبته البنوك في تمويل الحرب العالمية الأولى والأرباح التي كانت تجنيها من المذبحة، اتفق بالكامل مع آراء كليفورد هيو دوغلاس الذي أكّد في سلسلة مقالات نشرها عام 1920 في «العصر الجديد» تحت عنوان «الديمقراطية الاقتصادية»: «مقابل كل قذيفة تُصنع وكل قنبلة تُطلق وتدمّر، ومقابل كل طائرة تُبنى وتتحطم، ومقابل المتاجر الخاسرة أو المسروقة أو الفاسدة، يصبح للمستثمر عوائد في حساباته المصرفية يسمّيها ثروة، ويفرض جني فائدة عليها بمقدار 5 في المئة، في حين أن هذا الدخل يمثل خسارة لا ربحاً، ودَيناً لا ائتماناً للمجتمع، وبالتالي، لا يمكن تحقيقه إلا عبر اعتبار مصلحة المستثمر موجهة بالمباشر ضد مصلحة المجتمع».

الربا حسب باوند «مناقضٌ للطبيعة»: وهذه الفكرة موجودة لدى أرسطو، الذي رأى أنّ المال هو . وهكذا يجب أن يكون لا غير . وسيلة تبادل تحلّ محلّ المقايضة. بعبارة أخرى، المال شيء عقيم لا «يجب» أن يتكاثر بشكل طبيعي مثل الكائنات الحية. وكذلك الذهب لا ينمو، فإن زرعت ذهباً، فلن تجني حصاداً أكبر من الذهب الذي زرعته، وهو لا يفرّخ أيضاً، حتى لو جمعت بين قطعتين منه، إحداهما على شكل الديك، والأخرى على شكل دجاجة، حسب باوند الذي يستشهد بجملة لشكسبير: «أذهبُكَم نعاجٌ وكِبَاش؟» وأخرى من حوار يرد في كتاب كاتو «الثقافة الزراعية»:

س: «ما رأيك بالربا؟»
ج: «ما رأيك بالقتل؟»

كان القتل هو الوجه الآخر للربا الذي تطور لما سمّاه «حكم الربا» أو حكم كبار المرابين الذين تحالفوا مجتمعين في المؤامرة. بنظر باوند، ليس تجّار الأسلحة من أشعلوا الحرب العالمية الثانية، بل تجّار الأموال أنفسهم الذين أشعلوا حروباً متتالية، لقرون عدة، بإرادتهم، لخلق ديون حتى يتمكنوا من التمتع بفوائدها: «خلق ديون عندما يكون المال رخيصاً للمطالبة بسداده عندما يكون ثميناً»... (كان آل روتشيلد يريدون شراء الذهب بسعر رخيص، من أجل دفع سعره إلى ارتفاع صاروخي في وقت لاحق. وبالطريقة نفسها، استفاد آل ساسون وأعوانهم من انخفاض أسعار الفضة).

في كتابته الاقتصادية وخطاباته الإذاعية من إذاعة روما في الحرب العالمية الثانية (تصدر مختارات منها قريباً عن «منشورات الجمل» ضمن كتاب ضخم عن باوند) نبَّه صاحب «ألف باء الاقتصاد» إلى أنّ العدو في الحرب هو الجهل بخطر القروض الرأسمالية. وطالما بقي هذا الجهل ولم يرد تعريف واضح لكلمة «المال»، وظلّ تعريفه مجهولاً لدى جميع شعوب العالم، سيذهبون إلى الحروب في ما بينهم من دون أن يعرفوا السبب.

وكتب جملته الشعارية «أُمَّةٌ لا تُغْرِقُ نفسَها بالدّيُون تُثيرُ غضب المُرابينَ» معتبراً أنّ إيطاليا، برفضها إغراق نفسها في الديون، دفعت كبار المرابين إلى الغضب عليها. لذلك، لم تكن الحرب العالمية الثانية نزوة لموسوليني ولا لهتلر، بل فصل من مأساة طويلة (بدأت مع تأسيس بنك إنكلترا، ومع النية الصريحة المعلنة في نشرة مؤسسه باترسون الشهيرة: يستفيد البنك من الفوائد على جميع الأموال التي ينفّيها من لا شيء)، مؤكداً على إمكانية تحقق نظام اقتصادي سليم عندما لا يكون للمال إمكانات فاحشة أو زهيدة. فقد ضاع التمييز بين التجارة والربا. وفُقِدَ الفرق بين الدَّين والفائدة. فليس المال أصل الشر بذاته، بل هو الجشع، وشهوة الاحتكار، فالقدرة على الظلم ديدن أرباب الذهب منذ فجر التاريخ. وهو ما دعا القديس أمبروسيوس لأن يهدر بصوته: «محتكرو الحصاد، ملعونون بين الناس!»

وإذ يتساءل: ألا يمكن إعادة تنظيم المجتمع على أساس مختلف؟

يرى الحل في البوذية التي تصنّف الرغبة في التملك كإحدى أسوأ المشاعر التي يميل البشر إلى الهوس بها، وترى أنّ ما يسبّب البؤس في العالم هو الدافع العالمي للإثراء. وبما أن الثروة مرغوبة، فإن الأغنياء والفقراء سيشتبكون بالأسلحة في عداوة مريرة ودائمة. هكذا سيتواصل احتدام الحروب الدولية، وتتزايد الاضطرابات الاجتماعية، ما لم يُستأصل هذا الدافع تماماً.

إنّ «نموذج الزن المتمثل في طمر ممتلكات الراهب البوذي في صندوق صغير هو احتجاجه الصامت ضد النظام السائد للمجتمع».

* شاعر ومترجم عراقي

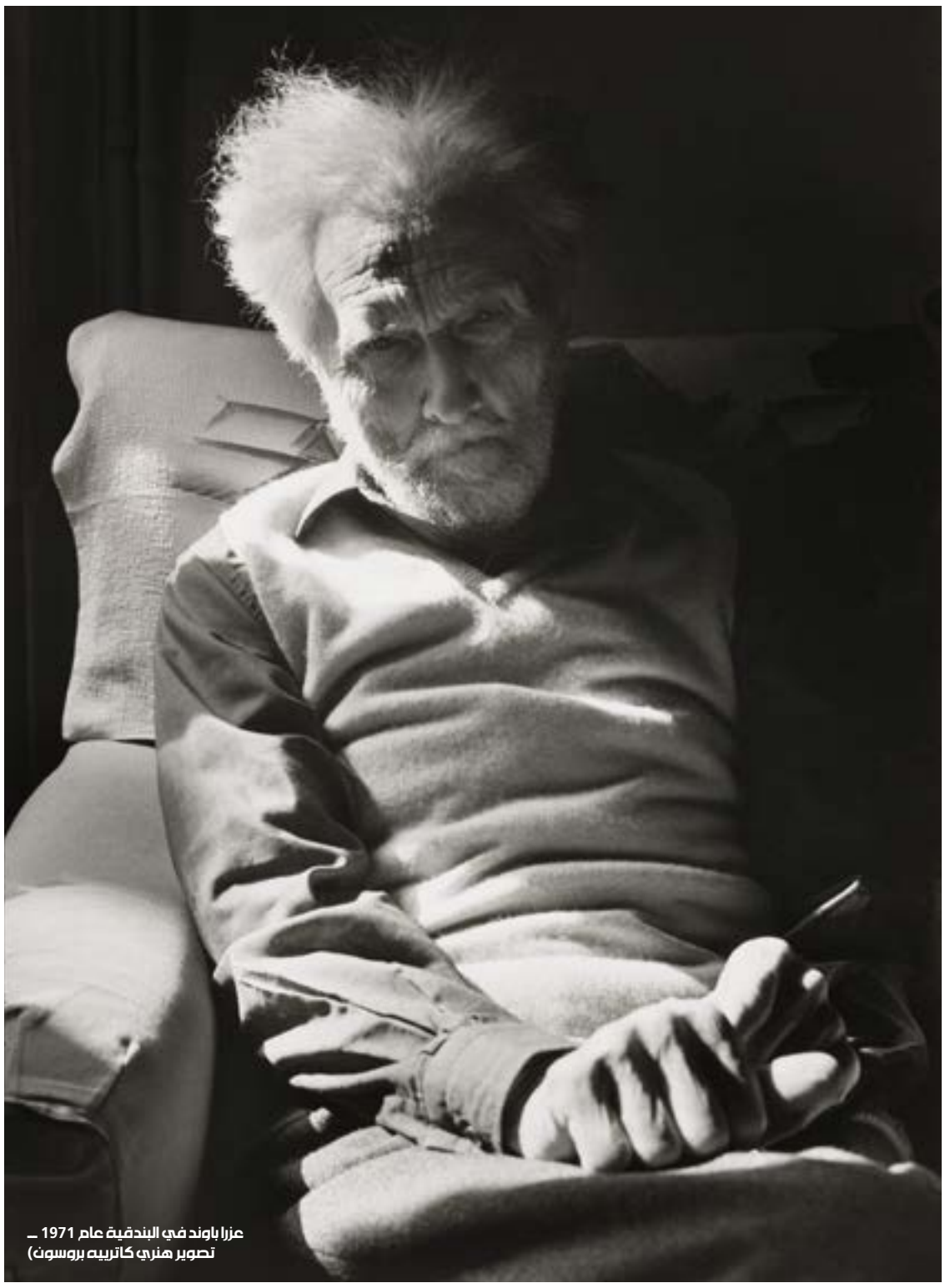

عزرا باوند في البندقية عام 1971 ــ (تصوير هنري كارتييه بروسون)

العدو في الحرب هو الجهل بخطر القروض الرأسمالية

Samedi 2 Mars 2024 no102
السبت 2 آذار 2024 العدد 102

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

أداة الابادة الجماعية

فلسطين

ردّ العدو على محكمة العدل الدولية

تقرير سرّي لجرائم علنية

لونا فرحات

أصدرت محكمة العدل الدولية، في 26 كانون الثاني 2024، أوامرها بشأن فرض التدابير المؤقّتة في الدعوى التي تقدّمت بها جنوب أفريقيا ضد إسرائيل، بتهمة انتهاك اتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها. وتتضمّن هذه التدابير أن على إسرائيل أن تتخذ كل ما في وسعها، أولاً لمنع ارتكاب كل الأعمال التي تدخل في نطاق المادة الثانية، وثانياً لمنع التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية في ما يتعلق بأعضاء الجماعة الفلسطينية في قطاع غزة والمعاقبة عليه، وثالثاً اتخاذ تدابير فورية وفعّالة لتوفير الخدمات الأساسية والمساعدة الإنسانية التي تمسّ الحاجة إليها لمعالجة ظروف الحياة التي يواجهها الفلسطينيون في قطاع غزة، ورابعاً يجب أن تتخذ تدابير فعّالة لمنع التدمير وضمان الحفاظ على الأدلة المتصلة بادّعاءات ارتكاب أعمال تدخل في نطاق المادتين الثانية والثالثة من اتفاقية الإبادة الجماعية ضد أعضاء الجماعة الفلسطينية في قطاع غزة، وخامساً أن تقدّم تقريراً إلى المحكمة عن كل التدابير المتّخذة لتنفيذ هذا الأمر في غضون شهر واحد اعتباراً من تاريخه، على أن يُرسل التقرير إلى جنوب أفريقيا التي ستتاح لها، خلال أسبوعين، الفرصة لتقديم تعليقاتها عليه إلى المحكمة.

في 26 شباط/فبراير، قدّمت إسرائيل تقريرها إلى المحكمة بشأن الإجراءات التي اتخذتها امتثالاً لأوامر المحكمة، وقد أُعلن أن التقرير سيبقى سرياً، ولا يمكن لأحد الاطّلاع على مضمونه سوى جنوب أفريقيا ومحكمة العدل الدولية. لذلك صدرت تكهّنات عدة حول فحوى التقرير منها ما رجّح «أن يكون قصيراً، ويتناول بشكل أساسي الأدلة التي تثبت أن إسرائيل تفي بالتزاماتها الإنسانية تجاه سكان غزة، وتلتزم بالإجراءات المؤقّتة التي أمرت بها المحكمة». وذكرت وسائل إعلام العدو أن التقرير سيركّز على الخطوات التي تم اتخاذها لتنفيذ الأوامر بما فيها نقل المساعدات الإنسانية إلى سكان غزة والحفاظ على الأدلة ذات الصلة بالقضية، وأن وزارتي العدل والخارجية (في الكيان الصهيوني) عمدتا إلى صياغة التقرير على نحو يؤكد أن المسائل التي صدرت بشأنها التدابير المؤقتة ستُنفذ في كل الأحوال حتى من دون أن تصدرها المحكمة، وأن قوات الاحتلال تسمح للمدنيين بمغادرة المناطق التي يدور فيها قتال في غزة، وفقاً للقانون الدولي»، وتحقّق في «جرائم حرب مشتبه بها، وحالات تحريض تدعو إلى إيذاء المدنيين في غزة».

إسرائيل لم تنفذ أوامر المحكمة

استبقت منظمة «هيومن رايتس ووتش» التقرير الإسرائيلي، وأصدرت في 26 شباط/ فبراير بياناً أكّد أن إسرائيل لم تنفذ أياً من أوامر محكمة العدل الدولية، خصوصاً بالنسبة إلى توفير المساعدات الإنسانية. وفي ما يأتي أبرز النقاط التي وردت في البيان:

ـ لم تمتثل إسرائيل لأمر المحكمة باتخاذ إجراءات فورية وفعّالة للسماح بتوفير الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية اللازمة لحياة المدنيين اليومية. واستمرت في عرقلة دخول المساعدات والوقود وغيرها من الضروريات الحياتية للسكان، ممارسة في ذلك عقاباً جماعياً يرقى إلى جرائم حرب. وهي سمحت بدخول بعثات إغاثة إلى شمال غزة، ولكن بعدد أقل مما كان يُسمح به قبل صدور أمر المحكمة بالتدابير المؤقتة.

■ استخدام التجويع كسلاح حرب: يعاني مليونا شخص في غزة من الجوع نتيجة الحصار ومنع إدخال المساعدات الغذائية وتدمير المناطق الزراعية. ولفت البيان إلى أن إسرائيل تستخدم التجويع كسلاح حرب، وهو ما يحظره القانون الدولي الإنساني. كما ينص نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية على أن تجويع المدنيين عمداً بحرمانهم من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم هو جريمة حرب، لا يتطلب القصد الجرمي فيها اعتراف المرتكب، ولكن يمكن استنتاجه من مجمل ملابسات الحملة العسكرية. كما أن الحصار الإسرائيلي المستمر لقطاع غزة فضلاً عن الحصار المستمر منذ 16 سنة يرقيان إلى مصاف العقاب الجماعي للسكان المدنيين، وهو أيضاً يشكل جريمة حرب. وباعتبارها القوة المحتلة في غزة، بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، من واجب إسرائيل أن تضمن حصول السكان المدنيين على الغذاء والدواء. ويلحظ البيان أن الأوضاع تفاقمت على نحو أكثر مما كانت عليه قبل صدور أوامر المحكمة، ما يعني أن إسرائيل تجاهلت الأوامر المتعلقة بتوفير المساعدات الإنسانية فوراً. ولفت إلى أن على الدول الأخرى استخدام كل أشكال النفوذ بما فيها يكون قصيراً، ويتناول بشكل أساسي الأدلة التي تثبت أن إسرائيل تفي بالتزاماتها الإنسانية تجاه سكان غزة، وتلتزم بالإجراءات المؤقّتة التي أمرت بها المحكمة». وذكرت وسائل إعلام العدو أن التقرير سيركّز على الخطوات التي تم اتخاذها لتنفيذ الأوامر بما فيها نقل المساعدات الإنسانية إلى سكان غزة والحفاظ على الأدلة ذات الصلة بالقضية، وأن وزارتي العدل والخارجية (في الكيان الصهيوني) عمدتا إلى صياغة التقرير على نحو يؤكد أن المسائل التي صدرت بشأنها التدابير المؤقتة ستُنفذ في كل الأحوال حتى من دون أن تصدرها المحكمة، وأن قوات الاحتلال تسمح للمدنيين بمغادرة المناطق التي يدور فيها قتال في غزة، وفقاً للقانون الدولي»، وتحقّق في «جرائم حرب مشتبه بها، وحالات تحريض تدعو إلى إيذاء المدنيين في غزة».

إسرائيل لم تنفذ أوامر المحكمة

استبقت منظمة «هيومن رايتس ووتش» التقرير الإسرائيلي، وأصدرت في 26 شباط/ فبراير بياناً أكّد أن إسرائيل لم تنفذ أياً من أوامر محكمة العدل الدولية، خصوصاً بالنسبة إلى توفير المساعدات الإنسانية. وفي ما يأتي أبرز النقاط التي وردت في البيان:

ـ لم تمتثل إسرائيل لأمر المحكمة باتخاذ إجراءات فورية وفعّالة للسماح بتوفير الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية اللازمة لحياة المدنيين اليومية. واستمرت في عرقلة دخول المساعدات والوقود وغيرها من الضروريات الحياتية للسكان، ممارسة في ذلك عقاباً جماعياً يرقى إلى جرائم حرب. وهي سمحت بدخول بعثات إغاثة إلى شمال غزة، ولكن بعدد أقل مما كان يُسمح به قبل صدور أمر المحكمة بالتدابير المؤقتة.

■ استخدام التجويع كسلاح حرب: يعاني مليونا شخص في غزة من الجوع نتيجة الحصار ومنع إدخال المساعدات الغذائية وتدمير المناطق الزراعية. ولفت البيان إلى أن إسرائيل تستخدم التجويع كسلاح حرب، وهو ما يحظره القانون الدولي الإنساني. كما ينص نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية على أن تجويع المدنيين عمداً بحرمانهم من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم هو جريمة حرب، لا يتطلب القصد الجرمي فيها اعتراف المرتكب، ولكن يمكن استنتاجه من مجمل ملابسات الحملة العسكرية. كما أن الحصار الإسرائيلي المستمر لقطاع غزة فضلاً عن الحصار المستمر منذ 16 سنة يرقيان إلى مصاف العقاب الجماعي للسكان المدنيين، وهو أيضاً يشكل جريمة حرب. وباعتبارها القوة المحتلة في غزة، بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، من واجب إسرائيل أن تضمن حصول السكان المدنيين على الغذاء والدواء. ويلحظ البيان أن الأوضاع تفاقمت على نحو أكثر مما كانت عليه قبل صدور أوامر المحكمة، ما يعني أن إسرائيل تجاهلت الأوامر المتعلقة بتوفير المساعدات الإنسانية فوراً. ولفت إلى أن على الدول الأخرى استخدام كل أشكال النفوذ بما فيها العقوبات والحظر (مثل حظر توريد الأسلحة وغيرها) للضغط على الحكومة الإسرائيلية للامتثال لأوامر المحكمة وتنفيذ التدابير المؤقتة الملزمة.

ـ استمرار إسرائيل في قطع إمدادات الكهرباء والمياه عن قطاع غزة منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر. كما تسببت العمليات العسكرية الجوية والبرية في تدمير واسع للبنية التحتية للقطاع. وأعاقت إسرائيل أي عملية إصلاح للبنية التحتية للمياه. ووفقاً لبيانات الأنروا، تراجع عدد شاحنات الغذاء والمساعدات والأدوية التي تدخل إلى غزة بأكثر من الثلث في الأسابيع التي تلت قرار المحكمة. فبين 27 كانون الثاني/ يناير و21 شباط/ فبراير، دخلت 93 شاحنة إلى القطاع، مقارنة بـ 147 شاحنة بين 1 كانون الثاني/ يناير و26 منه. وقبل 7 تشرين الأول/ أكتوبر، كان مليون شخص يواجهون انعداماً حاداً من الأمن الغذائي بسبب الإغلاق، وكان 80% من السكان يعتمدون على المساعدات الإنسانية، في وقت كانت تدخل غزة يومياً 500 شاحنة محمّلة بالبضائع.

ـ منذ صدور أوامر المحكمة في 26 كانون الثاني/يناير، دمّرت إسرائيل مكاتب منظمتين إنسانيتين واتخذت خطوات لتقويض عمل الأونروا. وبحسب وصف مفوّضها العام في رسالة له إلى الجمعية العامة، فإن الوكالة وصلت إلى نقطة الانهيار بسبب تعليق حكومات متعددة تمويلها والحملة الإسرائيلية لإغلاقها.

ـ في 19 شباط/ فبراير أكّدت اليونيسف أن 90% من الأطفال دون سن الثانية و95% من النساء الحوامل والمرضعات يواجهون فقراً غذائياً حاداً. وفي 22 من الشهر نفسه، ذكرت منظمة «إنقاذ الأطفال» أن العائلات في غزة تضطر للبحث عن بقايا الطعام في مخلّفات الفئران ولأكل أوراق الشجر للبقاء على قيد الحياة، وحذّرت من أن حوالي مليون طفل يواجهون خطر التجويع.

■ خطة التهجير القسري: كانت رفح، قبل 7 تشرين الأول/ أكتوبر، تؤوي حوالي 280 ألف شخص، ارتفع عددهم بعد اندلاع الحرب وإرغام السكان على النزوح جنوباً إلى 1,7 مليون

> **عدم نشر التقارير سيستبعد الدول الأطراف ويحبط قدرتها على تحديد ما إذا كانت ستتدخّل في الدعوى**

شخص. إعلان الحكومة الإسرائيلية عن خطة محتملة لإخلاء رفح من أجل القيام بعملية عسكرية للقضاء على حركة حماس، دفع بجنوب أفريقيا للطلب إلى محكمة العدل الدولية اتخاذ تدابير إضافية. لكنّ المحكمة رأت أن التدابير التي أصدرتها كافية لمواجهة الوضع الخطير في غزة، وعلى إسرائيل واجب التنفيذ. ويحظر القانون الدولي الإنساني تهجير المدنيين عمداً إلا في حالة أن يكون مؤقتاً وضرورياً لحمايتهم أو لأسباب عسكرية قهرية. وقد حذّرت منظمات دولية من تزايد خطورة التهجير القسري أثناء الأعمال القتالية مؤكدة أن أي تهجير سيقع هو جريمة حرب. ويستمر القانون الدولي الإنساني بحماية المدنيين الذين لن يتمكنوا من الإخلاء بعد تلقي التحذيرات للقيام بذلك بسبب أوضاعهم الصحية أو الخوف أو عدم وجود مكان يلجأون إليه. لذا، فإن إجبار أكثر من مليون نازح فلسطيني في رفح على الإخلاء مجدداً من دون توفر مكان آمن لهم، غير قانوني وستكون له عواقب كارثية، وعلى المجتمع الدولي اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع حدوثه.

سرية تقرير الامتثال لأوامر المحكمة في مرافعتها الشفهية أمام محكمة العدل الدولية في 11 كانون الثاني/ يناير، طلبت جنوب أفريقيا من المحكمة أن «تقدّم إسرائيل تقريراً إلى المحكمة بشأن جميع التدابير المتخذة لتنفيذ الأمر ، ..... ويجب نشر هذه التقارير من قبل المحكمة». لكن التقرير الذي سلّمته إسرائيل للمحكمة سيبقى سرياً. بالعودة إلى السوابق المماثلة، يتبين أنه في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، تقدّمت غامبيا بطلب إلى محكمة العدل الدولية لإقامة دعوى ضد ميانمار لانتهاكها اتفاقية منع الإبادة والمعاقبة عليها. وفي 23 كانون الثاني/ يناير 2020، أصدرت المحكمة أمراً يطلب إلى ميانمار اتخاذ تدابير مؤقتة ملزمة لمنع خطر أو احتمال وقوع أعمال الإبادة الجماعية ضد أقلية الروهينغا، والحفاظ على أدلة ما وقع من هجمات عدائية عام 2017، ويتعين على ميانمار أن تقدّم تقريراً خلال أربعة أشهر من تاريخ صدور الأمر، على أن تلتزم بتقديم تقارير دورية كل ستة أشهر. والهدف من التقارير تمكين المحكمة من تقييم مدى ملاءمة التدابير المتخذة وكفايتها، والنظر في ما إذا كان من الجائز اتخاذ تدابير إضافية. وقد تم تصنيف التقريرين الصادرين عن ميانمار على أنهما سريّان.

من الناحية القانونية، لا يوجد في النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية أو في قواعد عمل المحكمة الداخلية ما يفرض أن تكون التقارير حول تنفيذ التدابير المؤقتة علنية، كما أن السرية قد تكون أكثر فائدة، إما لتشجيع الطرف المعني على تقديم بياناته على نحو صريح ودقيق، أو لأن ما ورد فيها قد يشكل انزعاجاً أو بسبب ردة فعل سلبية أو إحباطاً إذا لم يكن بالمستوى المطلوب وعلى قدر من الجدية التي تتطلبها الأوضاع الخطرة. وفي كل الأحوال، فليس هناك ما يمنع نشرها في مرحلة لاحقة، خصوصاً بعد صدور حكم نهائي، ونشر المحكمة تفاصيل الدعوى والوثائق المتعلقة بها. ولكن، ثمة من يرى ضرورة نشر تقارير الامتثال فور تقديمها للمحكمة. وبالعودة إلى تقارير ميانمار «السرية»، أوضح عدد من القانونيين أن ضرورة نشر التقارير تبررها الحجج الآتية:

أولاً، أن القضية تتعلق باتفاقية منع الإبادة والمعاقبة عليها، وهي اتفاقية ملزمة لكل الدول الموقّعة، وعلى كل طرف التزامات وحقوق تتعلق بالقضية نفسها، والطابع السري لتقارير الامتثال لن يسمح للدول بتقييم التزاماتها وتحديد ماهية الإجراءات الواجب عليها اتخاذها لناحية منع الإبادة والمعاقبة عليها. فالدول الأطراف ملزمة كلها بمنع الإبادة متى علمت بوجود خطر أو احتمال حقيقي بارتكاب أعمال إبادة لتقرر كيفية التعامل مع الدولة المرتكبة.

ثانياً، سرية تقارير الامتثال لن تسمح أيضاً لمجلس الأمن بأن يمارس وظيفته في حفظ الأمن والسلم الدوليين. فمحكمة العدل الدولية يفترض أن تنشر تقارير الامتثال ليتمكن مجلس الأمن من اتخاذ الخطوات اللازمة في حال تبيّن أن الدولة «المرتكبة» لم تلتزم بالتدابير المؤقتة.

ثالثاً، سرية تقارير الامتثال للتدابير المؤقتة لن تمنح الفرصة للضحايا للمشاركة الفعّالة في الضغط على الدولة المعنية لتنفيذ التدابير أو التأكد ما إذا كانت التقارير الصادرة عنها دقيقة وصحيحة أو مجافية للحقيقة.

رابعاً، نشر تقارير الامتثال يتسق مع نص وروح اتفاقية منع الإبادة والمعاقبة عليها ومع ميثاق الأمم المتحدة، وعدم نشرها بداية يضعف للوهلة الأولى فعالية التدابير المؤقتة ويمنع الأطراف الثالثة (دول ومنظمات دولية حكومية وغير حكومية) من مراقبة الدولة الملزمة بالتدابير ومتابعة إجراءاتها العملية للتنفيذ الفعلي.

بناءً على ما سبق، يُعتبر نشر تقارير الامتثال للتدابير المؤقتة تحقيقاً للمصلحة العامة المشتركة المتمثّلة بمنع جريمة الإبادة. فالمنع هو التزام تجاه كلّ الدول، وليس فقط التزاماً على من تقدّم بالدعوى. فالنزاع هنا ليس ثنائياً، بل يتعلق بالتزامات منبثقة عن الاتفاقية ذات حجية مطلقة على الدول كافة. وعدم نشر التقارير سيؤدي إلى استبعاد الدول الأطراف وبحبط من قدرتها على تحديد ما إذا كانت ستتدخل في الدعوى أو حتى في التدابير المؤقتة. فالاطّلاع على تقرير الامتثال للتدابير المؤقتة سيساعد الدول الأخرى على تحديد موقفها، سواء باتخاذ إجراءات محددة تجاه الدولة المرتكبة إذا تبيّن أنها لم تمتثل لأوامر المحكمة، أو أن تساعدها على تنفيذ أوامر المحكمة، أو أن توقف نفوذها في الأمم المتحدة للضغط عليها أو تقديم المساعدة للضحايا. لذلك، فإن عدم تقديم المحكمة أسباباً مقنعة حول الوضع السري لتقارير الامتثال للتدابير المؤقتة، سواء بالنسبة إلى دعوى غامبيا ضد ميانمار أو دعوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل، من شأنه أن يقوّض ثقة العامة والضحايا بالمحكمة، ويشكّك في القيمة الحقيقية للتدابير المؤقتة.

أوقفوا الإبادة وأنهوا الفصل العنصري الإسرائيلي

حملة دولية لتفعيل المقاطعة ومقاومة التطبيع

يأتي أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي الذي تنظمه حركة المقاطعة العالمية في شهر آذار من كل عام، بعد أسابيع على صدور أوامر محكمة العدل الدولية لإسرائيل باتخاذ تدابير مؤقتة، وبعد أيام قليلة من استماع المحكمة لبيانات الدول الشفهية حول الممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة الفلسطينية وعواقبها القانونية. شعار الفعالية هذا العام ليس كسابقه. فغزة لا تزال تحت الحصار والقتل المتعمّد والتجويع المنهج، وتحت تهديد التهجير القسري. والجرائم التي ارتكبها الكيان الصهيوني خلال خمسة أشهر وثّقتها المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية وعدسات المصوّرين المستهدفين بمسيّرات قاتلة تلاحقهم لتقتل شهود العيان على مذبحة القرن الواحد والعشرين. لهذه الأسباب، أعلنت حركة المقاطعة أن هذا العام سيكون «أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي» على امتداد شهر آذار، تحت شعار «أوقفوا الإبادة، وأنهوا الأبارتيد».

من هي حركة المقاطعة؟

حركة المقاطعة العالمية من أجل الحرية والعدالة والمساواة للشعب الفلسطيني هي حركة شاملة وسلمية لحقوق الإنسان، ترفض جميع أشكال العنصرية والتمييز العنصري. وتقود الحركة اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة، وهي أكبر ائتلاف للأحزاب السياسية الفلسطينية والنقابات العمالية والمهنية وشبكات اللاجئين واللجان والمنظمات الشعبية. وقد أطلقت العديد من حملات التضامن العالمية لدعم القضية الفلسطينية، وتضمّ: حملة المقاطعة الأكاديمية والثقافية والاقتصادية، حملة التضامن العالمي النقابي والثقافي والطلابي، حملة الحظر العسكري، حملة «أوقفوا مساعدة أكسا للفصل العنصري الإسرائيلي» (وهي الحملة ضد شركة التأمين الفرنسية المتعددة الجنسيات بسبب استثماراتها في البنوك الإسرائيلية المتواطئة في مشروع الاستيطان الإسرائيلي غير القانوني)، حملة مقاطعة شركة «إتش بي» الإلكترونية، حملة منع إسرائيل من المشاركات الرياضية الدولية، وحملة أسبوع الأبارتيد الإسرائيلي في شهر مارس.

بدأت أنشطة أسبوع الأبارتيد في تورنتو في كندا في آذار/ مارس عام 2005، والذي نظّمه تجمّع الطلاب العرب في جامعة تورنتو. وامتدّت الفعاليات إلى مدن أخرى عام 2006. وبحلول عام 2013، أقيمت الفعاليات في أكثر من 200 مدينة حول العالم، وشملت إلقاء محاضرات وندوات وإطلاق حملات تضامنية تهدف إلى تحقيق أمرين: الأول رفع مستوى الوعي حول نظام الفصل العنصري الإسرائيلي المستمر والاستعمار الاستيطاني في فلسطين المحتلة، والثاني بناء الدعم اللازم لحركة المقاطعة التي يقودها الفلسطينيون في الخارج على نطاق واسع وتشكيل قوة ضغط عالمية لإنهاء التعامل مع الكيان الصهيوني وكشف التواطؤ معه.

لماذا شهر آذار؟

يعود اختيار آذار لمناهضة الأبارتيد الإسرائيلي إلى حركة المقاطعة التي انطلقت في ستينيات القرن الماضي ضد نظام بريتوريا العنصري في جنوب إفريقيا آنذاك. فقد تمكّنت حركة مناهضة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، التي بدأت في حزيران/ يونيو 1959، من تنظيم حملة لمقاطعة بضائع جنوب إفريقيا في بريطانيا. وبلغت هذه الحملة ذروتها في آذار/ مارس عام 1960 عندما رفض مئات الآلاف شراء بضائع جنوب إفريقيا. ونجحت حركة مقاطعة جنوب إفريقيا العنصرية في حشد تحالفات عالمية للضغط على الحكومات الغربية، وتحديداً بريطانيا والولايات المتحدة، لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تحظر التعامل مع نظام بريتوريا العنصري، وشكّلت أداة فاعلة في عزل هذا النظام عن العالم بمقاطعته عسكرياً وثقافياً وعلمياً واقتصادياً .(راجع «القوس»، جرائم الأبارتيد الصهيوني، 8 كانون الأول 2023).

حملات التضامن العالمية

سجلت حركة المقاطعة العالمية «الفلسطينية» نجاحاً في حملاتها ضد الكيان الصهيوني. فعلى سبيل المثال، بعد نداء أطلقه 400 أكاديمي من كل جامعات جنوب إفريقيا، صوّت مجلس جامعة جوهانسبورغ لمصلحة إنهاء علاقاتها مع جامعة بن غوريون العبرية عام 2011. كما

> **يعود اختيار آذار لمناهضة الأبارتيد الإسرائيلي إلى حركة المقاطعة التي انطلقت في الستينيات ضد النظام العنصري في جنوب إفريقيا**

انضمّ إلى حملة المقاطعة الأكاديمية عدد من الجمعيات الثقافية الأوروبية والأميركية، مثل اتحاد المعلمين في إيرلندا وجمعية الأدب الإفريقي وجمعية الدراسات الأميركية واتحاد الطلاب الناطقين باللغة الفرنسية في بلجيكا واتحاد الطلاب في الدراسات العليا في جامعتي نيويورك وماساتشوستيس الأميركيتين وغيرها. وفي 16 شباط/ فبراير 2024، أعلنت أربع جامعات نرويجية تعليق علاقاتها مع الجامعات الإسرائيلية المتواطئة بشأن الإبادة الجماعية في غزة. وأنهت شركة OsloMet علاقاتها مع جامعة حيفا، وتعهدت بعدم الدخول في أي اتفاقيات جديدة مع الجامعات الإسرائيلية المتواطئة، وستعمل على إنهاء عقود الشراء مع الموردين المرتبطين بالجيش الإسرائيلي أو المستوطنات غير القانونية. وأنهت جامعة جنوب شرق النرويج علاقاتها مع جامعة حيفا وكلية هداسا الأكاديمية. كما أنهت جامعة بيرغن اتفاقيات تعاونها مع أكاديمية بتسلئيل للفنون والتصميم بعدما أنشأت الأخيرة ورشة عمل في الحرم الجامعي لتصميم وخياطة الزيّ الرسمي والعتاد للجيش الإسرائيلي. كما أنهت مدرسة بيرغن للهندسة المعمارية اتفاقيات تعاون مع أكاديمية بتسلئيل للفنون والتصميم بسبب عملها مع الجيش الإسرائيلي. حملة المقاطعة النرويجية لقطع العلاقات مع الجامعات الإسرائيلية المتواطئة كانت بجهود الطلاب والأكاديميين في النرويج، وشارك فيها أكثر من 1200 طالب وطالبة من الجامعات النرويجية عملوا على رفع مستوى الوعي وإجبار جامعاتهم على التصرف وفقاً لالتزاماتها الأخلاقية. (نقلاً عن موقع حركة المقاطعة)

حملة ضد التطبيع

نظّمت الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل، في السنوات الأخيرة، لقاءات مجتمعية وحوارات وورشات عمل حول معايير مناهضة التطبيع، ونتجت من هذه النقاشات التي استمرّت ثلاث سنوات وثيقة جديدة لتفسير تعريف التطبيع في قطاعات مختلفة، مثل المستوى الرسمي والثقافي والسياحي والرياضي وغيره، إضافة إلى صياغة معايير تطبيع جديدة تشمل معيار محاسبة التطبيع والمعايير الإعلامية. وأقرّت الهيئة العامة للجنة الوطنية للمقاطعة الوثيقة الجديدة في 12 تشرين الأول/ أكتوبر 2020. وقد عرّفت الوثيقة المعتمدة التطبيع على أنه «المشاركة في أيّ مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، يجمع (على نفس «المنصّة») بين فلسطينيين (و/ أو عرب) وإسرائيليين (أفراداً كانوا أو مؤسسات) ولا يستوفي الشرطين التاليين:

1. أن يعترف الطرف الإسرائيلي بالحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني بموجب القانون الدولي،
2. وأن يشكّل النشاط شكلاً من أشكال النضال المشترك (co-resistance) ضد نظام الاحتلال والاستعمار الاستيطاني والأبارتيد الإسرائيلي».

لونا...

للاطلاع على مزيد من التفاصيل

جرائم العدو

أسلحة متطوّرة من الولايات المتحدة الى الجيش الإسرائيلي

أدوات أميركية لجريمة إبادة جماعية

العميد منير شحادة *

يعود تاريخ الدعم الأميركي لإسرائيل بالأسلحة والعتاد العسكري والذخائر الى عام 1958. ومنذ عام 1967، زادت نسبة المساهمات الأميركية في تطوير

> **هل ستُحاسب الولايات المتحدة الأميركية على دعمها للكيان الإسرائيلي المجرم؟**

قدرات الجيش الإسرائيلي، وبلغت ذروتها بعد توقيع اتفاقية كامب دايفد بين مصر وإسرائيل عام 1979. وتشكل المساعدات العسكرية الأميركية لإسرائيل اليوم 55% من مجموع المساعدات العسكرية الأميركية لدول العالم. وبلغت قيمة هذه المساعدات منذ عام 1948 نحو 130 مليار دولار، فيما تفيد بعض التقديرات بأنها وصلت إلى 270 مليار دولار. وكانت الولايات المتحدة قد أعلنت عن حزمة مساعدات عسكرية ضخمة لـ«إسرائيل» بين عامي 2019 و2028 بقيمة 38 مليار دولار. وتشمل «المساعدات» تمويل مشاريع عسكرية مشتركة للحماية من الصواريخ.

سنتناول في هذا المقال الأسلحة التي زودتها بها أميركا وبعض الدول الأخرى، وتستعملها اسرائيل منذ تشرين الأول 2023 في حربها على غزة ولبنان، رغم علم هذه الدول أن اسرائيل تستعملها لإبادة الشعب الفلسطيني في غزة وارتكاب المجازر بحق المدنيين في جنوب لبنان.

ما هي الذخائر والأسلحة المدمرة والفتاكة التي استعملتها «إسرائيل» في ارتكاب جرائم أكّدت محكمة العدل الدولية، في 26 كانون الثاني 2024، بشكل أوّلي (prima facie)، توصيفها بـ«الابادة الجماعية»؟ وما هي الأسلحة والذخائر الحربية التي يستخدمها جيش العدو لقصف قرى جنوب لبنان؟

سنتناول في الآتي أبرز هذه الذخائر والأسلحة التي استعملتها «اسرائيل»بشكل مفرط وتسببت بمجازر بحق المدنيين. علماً ان واشنطن لا تزال تشكك في مصداقية التقارير الأممية التي تؤكد استهداف مدنيين، بمن فيهم نساء وأطفال ومسعفون وصحافيون، في غزة وفي جنوب لبنان. ولا بد ان نشير بداية الى الجسر الجوي بين مطارات عسكرية في الولايات المتحدة ومطارات عسكرية إسرائيلية، والذي يشهد حركة متواصلة حتى اعداد هذه الدراسة. لدى «إسرائيل» فائض من الذخيرة على اختلاف انواعها، كما ان هناك معاهدة بينها وبين الولايات المتحدة لمدها بالذخيرة بصورة طارئة بواسطة جسور جوية فورية ومن الدول القريبة التي تضم قواعد عسكرية أميركية حين تدعو الحاجة، ريثما تكون اميركا امّنت شحنات ذخائر من معاملها لتعويضها، كما حصل ويحصل الآن في حرب غزة. ولا شك في ان الكمية الضخمة من الأسلحة التي تصل الى الإسرائيليين تصعب على أي دولة تحمل نفقاتها. بعد عرض انواع الذخائر المدمّرة والفتاكة الي استعملتها اسرائيل في حربها على غزة، لا بد ان نطرح سؤالاً بديهيا وهو: ما هي مسؤولية اميركا في الابادة الجماعية في غزة وفي المجازر بحق المدنيين في جنوب لبنان، خصوصاً عندما تستعمل اميركا حق النقض عدة مرات في مجلس الامن الدولي عند التصويت على قرار وقف اطلاق النار في غزة، وتصرح بأنها لم يثبت لديها حتى الآن ان اسرائيل تستهدف المدنيين، وعندما تقوم اسرائيل بتفخيخ احياء بكاملها وتجعلها ركاماً، وعندما تواصل الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بكل هذه الذخائر حتى اليوم.

وأخيراً، اعلنت الادارة الاميركية انها منحت اسرائيل مهلة حتى منتصف آذار المقبل للتوقيع على رسالة تتضمن ضمانات بالتزام القانون الدولي لدى استخدامها الاسلحة الاميركية، بعد سقوط ثلاثين الف شهيد جلهم اطفال ونساء ناهيك عن الاف الجرحى والمعوقين والاف المفقودين تحت الانقاض وبعد دمار غزة.

ألا يجعل كل ذلك اميركا شريك إسرائيل الفعلي في ارتكاب جرائم الابادة الجماعية في غزة والمجازر بحق المدنيين في لبنان؟ وهل تُحاسب الولايات المتحدة على دعمها للكيان الإسرائيلي المجرم؟ وقبل ذلك: هل ستحاسب «إسرائيل» على جرائمها أمام محكمة العدل الدولية أو امام المحكمة الجنائية الدولية، ام أن على الشعوب ان تحصّل حقوقها بنفسها؟ هل سنصل الى يوم يكون فيه الجيش اللبناني قادرا على التصدي للعدو الاسرائيلي بتسليحه باسلحة نوعية مقارنة مع ما تملكه اسرائيل من ترسانة مدمرة؟ هل ستبقى اسرائيل دولة لا تنفذ قرارات دولية وهل سيبقى تنفيذ القرارات الدولية حكرا على الدول الضعيفة فقط؟ وهل سيبقى العالم تحت رحمة «فيتو» تستخدمه اي دولة تمتلك حق النقض بمواجهة رأي غالبية الدول الاخرى؟ الا يجب تغيير نظام مجلس الامن الدولي وتطويره ليكون اكثر عدالة وفعالية لأن شريعة الغاب باتت تحكم العالم؟

* منسّق الحكومة اللبنانية السابق لدى قوات الطوارئ الدولية والرئيس السابق للحكمة العسكرية

ترسانة جيش العدو الاسرائيلي

تملك «إسرائيل» ترسانة أسلحة معظمها أميركي، وبعضها صناعة محلية بتمويل أميركي وغربي. يبلغ عديد الجيش الإسرائيلي 170 ألف جندي موزعين على القوات البرية والبحرية والجوية؛ و450 ألف جندي احتياط يستدعون عند الحاجة كما حصل منذ بداية العدوان الإسرائيلي على غزة. كما تمتلك 2200 دبابة ميركافا (من الجيل الاول والثاني والثالث والرابع) التي تعتبر فخر الصناعات العسكرية الإسرائيلية حيث أجريت العديد من الدراسات التقنية العسكرية لتطوير قوتها. وبناءً على الخلاصات العلمية لتلك الدراسات، أدخلت تحديثات عديدة وطوّرت منظومة الحماية، لكن لم تثبت التحديثات التكنولوجية فعاليتها في مواجهة صاروخ الياسين 105 المضادة للدروع الذي طوّرته حركة «حماس».

الجيش الإسرائيلي مجهّز بـ530 مدفعاً من مختلف الأنواع والعيارات وسلاح جو يُعد الاقوى في الشرق الأوسط: 339 طائرة حربية بينها 309 طائرات مقاتلة هجومية تتوزع بين اف15 و اف 16 واف 35. كما تمتلك مروحيات هجومية من نوع اباتشي و5 غواصات و49 سفينة للقتال وللدوريات البحرية. وفي ما يتعلق الحماية من الهجمات الصاروخية، جهّزت الولايات المتحدة الجيش الاسرائيلي بنظام القبة الحديدية (صواريخ باتريوت الأميركية) وما يُعرف بـ«مقلاع داوود». ورغم عدم اعترافهم بامتلاك أسلحة نووية، لدى الإسرائيليين نحو 400 رأس نووي ومفاعل نووي في ديمونا. كما لدى الجيش الإسرائيلي صواريخ أريحا وطائرات قادرة على حمل رؤوس نووية.

أما بالنسبة للجيش اللبناني ...

منذ زمن ليس ببعيد اصبح الجيش اللبناني يعتمد على المساعدات الاميركية للقيام بما يوكل اليه من مهمات سواء في التصدي للارهاب او في حفظ الامن في الداخل. زودت الولايات المتحدة الجيش اللبناني بأسلحة فردية واسلحة متوسطة وذخائرها وعدد من ناقلات الجند المتنوعة وعدد من الاليات المدولبة والطوافات وطائرات «سوبر توكانو» المزودة بتقنيات مراقبة حديثة ويمكنها ان تزود بقنابل موجهة، إضافة إلى عدد من القطع البحرية لمساعدته على تنفيذ مهماته البحرية لناحية مراقبة الشواطئ للتصدي لمراكب الموت التي يستعملها النازحون السوريون للهجرة الى اوروبا ولعمليات التهريب. كما تقوم اميركا بتقديم مساعدات لوجستية وعينية. غير ان كل هذه الأسلحة لا تساهم بشكل جدي في تطوير الجيش اللبناني وتجهيزه بشكل يمكنه من صد أي هجوم عسكري إسرائيلي على لبنان.

JDAM

الآلاف من قنابل JDAM وتعرف بـ«ذخائر الهجوم المباشر المشترك» (Joint Direct Attack Munition)، وهي حزمة توجيه وتحكم تثبت على القنابل غير الموجهة التي توصف بـ «الغبية»، وتحوّلها إلى أسلحة ذكية متقدمة. وقد بدأ الجيش الأميركي استخدام هذه القنابل عام 1997. وتتراوح زنة القنبلة المجهزة بجدام (JDAM) بين 500 رطل (227 كلغ) إلى 2,000 رطل (907 كلغ). والمكونات الرئيسية لنظام جدام تتألف من ذيل مع أسطح تحكم هوائية، ومجموعة الجسم (strake)، ووحدة تحكم مدمجة تجمع بين نظام التوجيه بالقصور الذاتي ووحدة التحكم بالتوجيه لتحديد المواقع.

Switchblade

نحو 200 طائرة بدون طيار انتحارية من طراز "سويتش بليد – Switchblade" يمكن استخدامها للاستطلاع والمراقبة وتوجيه المدفعية والغارات الجوية والهجوم الانتحاري على الخصم في أرض المعركة

Mk82

آلاف القنابل من طراز Mk82 غير موجهة وزنها 500 رطل (227 كلغ)، تستخدم لأغراض مختلفة، مثل مهاجمة مواقع الخصم وتقديم الدعم لقوات الخطوط الأمامية، استخدمتها «إسرائيل» لقصف الأبنية المدنية في القطاع

قذائف مدفعية «155 ملم»

عشرات الآلاف من القذائف المدفعية عيار 155 ملم: تستخدم هذه القذائف لأغراض مختلفة، مثل مهاجمة المواقع البعيدة المدى وتقديم الدعم لقوات المشاة على الخطوط الأمامية. وتشير التقديرات إلى أن واشنطن قدمت نحو 57 ألفاً من هذه القذائف لـ«إسرائيل» خلال الأسابيع الماضية

GBU-39

آلاف القنابل ذات قطر صغير من طراز GBU-39، «جي بي يو 39 بي»، وهي قنبلة ذكية موجّهة ذات جيل متقدّم مخصّصة لاختراق التحصينات والثكنات العسكرية ونسفها من الداخل مثل المستودعات والملاجئ الخرسانية. ويُسمّى القنبلة «الآمنة»، كونها تُدمّر فقط الهدف من الداخل، من دون إلحاق أضرار بالجوار. وسبق أن استخدمها جيش الاحتلال في اغتيال قيادات للمقاومة الفلسطينية.

Mk84

قنبلة ذات رؤوس حربية من طراز Mk84، وتعرف أيضاً بـ«مارك 84»، سميت بـ«المطرقة» للضرر الشديد الذي تلحقه إثر انفجارها. تزن ألفي رطل (900 كيلوغرام تقريباً)، وهي قنبلة موجهة لها رأس حربي متفجر، استخدمت في حربي الخليج وفيتنام.

ويرجح أن Mk84 هي القنبلة التي ألقتها «إسرائيل» على المدنيين في مجزرتي مستشفى المعمداني ومخيم جباليا في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، إذ أكّد خبراء عسكريون أن تأثير الغارات الإسرائيلية وضررها في المكانين المذكورين يتطابق مع الآثار التي تحدثها قنبلة «المطرقة».

M141

حصلت "إسرائيل" أيضاً على 3000 صاروخ من طراز M141 يُطلق من الكتف، من صنع شركة Nammo Talley Defense، وقادرة على اختراق ما يصل إلى 20 سم من الخرسانة

ذخيرة الدبابات

ما يقرب من 20000 ألف طلقة من ذخيرة الدبابات في صفقة تبلغ قيمتها أكثر من 115 ملايين دولار، وتشمل طلقات 120 ملم M830A1 الشديدة الانفجار والمتعددة الأغراض وأخرى مضادة للدبابات مع نظام تتبع (MPAT) تستخدمها الدبابات والمركبات المدرعة الأخرى للعمليات المضادة للدبابات

M4A1

طلبت «إسرائيل» من الإدارة الأمريكية 20 ألف بندقية من طراز M4A1 نسخة 15-AR، ولا يعلم ما إذا حصلت على كامل هذه الشحنة، لأن الولايات المتحدة هددت بوقف الإمدادات عندما علمت أن وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير وزع هذه الأسلحة على فرق ميليشياوية شكلها من المستوطنين في الضفة الغربية، وتم استخدامها في هجمات على قرى فلسطينية مثل حوارة وغيرها

المقذوف «آر 9 إكس» R9X

يقذف بهالة من 6 شفرات كبيرة مخزنة بداخله لتمزيق الهدف. هذا الصاروخ يسمح للقادة العسكريين بتحديد الهدف وتقليل احتمال وقوع إصابات بين المدنيين، وهو موجّه بالليزر ويحتوي على 6 سكاكين أو شفرات تخترق الهدف وتقتل كل من يتواجد على مقربة مباشرة من الشخص المستهدف.

وقد استعملته اسرائيل في قصف مستشفى الشفاء في غزة ما ادى الى تقطيع اجساد الاجنّين في محيطه.

بي إل يو-109

الآلاف من الذخائر الخارقة للتحصينات التي تُعرف باسم «بي إل يو-109»، وهي مصممة لاختراق الخرسانة قبل أن تنفجر، وتقول «إسرائيل» إنها تستخدمها لاختراق شبكة الأنفاق والمخابئ تحت الأرض وتدمير البنية التحتية للمقاومة

بطاريات «قبة حديدية»

بطاريتا «قبة حديدية» كانت «إسرائيل» قد باعتهما للجيش الأميركي الذي اختار في النهاية نظاماً مختلفا، إضافة إلى 2000 صاروخ اعتراضي من طراز «تامير». وتم شحن البطاريتين إلى «إسرائيل» عن طريق البحر في تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، إضافة الى البطاريات التي سلمت الى «اسرائيل» خلال حرب 2006 مع لبنان

هيلفاير Hellfire

من ضمن قائمة الأسلحة التي طلبها الجيش الإسرائيلي من واشنطن وحصل عليها بحسب تقارير أميركية، 2000 صاروخ هيلفاير Hellfire الموجه بالليزر لمروحيات «أباتشي» الحربية، و36,000 طلقة من عيار 30 ملم لمدفعها.

وتعمل مروحيات «أباتشي» بشكل مستمر منذ الساعات الأولى من 7 تشرين الأول/ أكتوبر حيث تقديم المساعدة عن كثب للقوات البرية في قطاع غزة وعلى الحدود اللبنانية.

تحت القوس

الا يفترض استدعاء السفيرة الأميركية؟

عمر نشابة

لا يقتصر العقاب على مرتكبي الإبادة الجماعية بحسب الاتفاقية الدولية لمنع الإبادة الجماعية، بل يفترض ان يعاقب كذلك المشتركون بارتكابها والمتآمرون والمحرضون عليها (المادة الثالثة). وبالتالي يمكن لأي دولة ان تتقدم بشكوى ضدّ الولايات المتحدة أمام محكمة العدل الدولية بسبب مشاركتها الفعلية المباشرة في إبادة البشر في غزّة المحاصرة. فالولايات المتحدة مدّدت الإبادة الجماعية من خلال منعها صدور قرار ملزم لوقف اطلاق النار عن مجلس الامن الدولي. كما زوّدت الإسرائيليين بأدوات الجريمة، إذ ان الجيش الإسرائيلي استخدم الأسلحة والذخائر التي قدمتها واشنطن الى تل ابيب لقتل المدنيين وموظفي الأمم المتحدة وقصف المستشفيات والمدارس والأحياء السكنية عشوائياً واستهداف الإسعافات والصحافيين وقوافل الإغاثة. وشارك بعض المسؤولين في إدارة الرئيس جو بايدن (الذي بات يعرف باسم «جينوسايد جو») في التحريض على إبادة الفلسطينيين في غزة بحجة «حق إسرائيل في الدفاع عن النفس».

وبالرغم من توفّر القرائن والاثباتات التي يمكن الاستناد اليها أمام المحكمة لإدانة الولايات المتحدة بالمشاركة بارتكاب جريمة إبادة جماعية في غزة، لم تتجرّأ دولة عربية او إسلامية على ملاحقتها قضائياً او قطع العلاقات معها بسبب ضلوعها في المجازر والتجويع والتعذيب بحق مئات آلاف البشر المحاصرين في غزة. علماً أن الدول العربية والإسلامية التي تقيم علاقات مع الكيان الإسرائيلي امتنعت عن استدعاء السفير الصهيوني لمجرد التعبير بلطف عن الانزعاج من خرق القانون الدولي... ولا شك في ان سلوك تلك الدول يشجّع الإسرائيلي على ارتكاب المزيد من المجازر في غزة ولبنان وسوريا حيث ان افلات الجاني من العقاب على ارتكابه جريمة يشجعه على ارتكاب جرائم إضافية، خصوصاً اذا بقي ذوو ضحايا الجريمة الأولى ساكتين. وتأتي تهديدات قادة العدو الإسرائيلي بتحويل بيروت الى غزة في هذا السياق.

لكن مهلاً، يمكن ان يقوم لبنان برفع الراية الحمراء امام الإسرائيليين وحلفائهم الأميركيين قبل شروعهم بتنفيذ تهديداتهم (رغم ان تجرؤهم على ذلك مُستبعد). فقتل المدنيين الآمنين في بيوتهم واستهداف المنشآت المدنية وسيارات الإسعاف والصحافيين في لبنان يشكل جرائم حرب يعاقب عليها القانون الدولي. وبما ان تلك الجرائم ترتكب بواسطة أسلحة أميركية يمكن استدعاء السفيرة الأميركية الى وزارة الخارجية اللبنانية لمجرّد تذكيرها بموجبات القانون الدولي.

ولا يفترض بأي لبناني حريص فعلاً على سيادة بلده ان يسكت عن من زوّد السلاح الى قاتل أطفال لبنانيين ارتقوا ملائكة شهداء في الجنوب: أمل ومحمود وأمير وحسن وريماس وتالين وليان ...

في القانون

هل الطاقة المتجدّدة النظيفة... نظيفة فعلاً؟

التزمت الدولة اللبنانية بمقررات مؤتمرات المناخ العالمية بتحقيق هدف «30٪ طاقة متجددة بحلول عام 2030». إلا ان كلفة هذا الالتزام كانت باهظة مع إنفاق مبالغ طائلة لدعم القطاع الخاص في مشاريع لتوفير الطاقة والطاقة المتجددة قبل ان نكتشف بعد سنوات ان الطاقة النظيفة قد لا تكون دائماً نظيفة

(أ ف ب)

صادق علوية

لم يلجأ اللبنانيون إلى أنظمة الطاقة الشمسية إلا بعد أن أعيتهم الكهرباء، وخصوصاً بعد الأزمة المالية، فصحّ فيهم قول: «مجبرٌ أخاك لا بطل»! لكن ما لا يعلمه معظمهم أن الطاقة المتجددة كانت، منذ وقت طويل، موضوع قروض ونفقات لم يلحظوا أثراً لها سوى في المراسيم. فما هي حكاية الطاقة المتجدّدة في لبنان؟

أنفقت الدولة اللبنانية مبالغ طائلة للالتزام بمقررات مؤتمرات المناخ العالمية بتطوير سوق الطاقات المتجددة، وصولاً إلى تحقيق هدف «30% طاقة متجددة بحلول عام 2030». عام 2012، وقّعت الحكومة اللبنانية، ممثّلة بمجلس الإنماء والإعمار، عقد تمويل بقيمة 50 مليون يورو مع البنك الأوروبي للتثمير، لتمويل ما يصل إلى 50% من كلفة مشاريع ينفّذها القطاع الخاص، لتجنّب أو الحدّ من انبعاثات الغازات الدفيئة وغيرها من الانبعاثات الملوثة، والامتثال لمعايير كفاءة استخدام الطاقة أو الطاقة المتجددة.

في العام نفسه، صدر المرسوم رقم 585، تاريخ 2014/9/11، بقبول هبة مقدمة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في لبنان ومرفق البيئة العالمي لتمويل تأسيس مشروع «وحدات إنتاج صغيرة لا مركزية من الطاقة المتجددة بالشراكة مع وزارة الطاقة والمياه - مشروع سيدرو والمركز اللبناني لحفظ الطاقة»، بقيمة مليون و575 ألف دولار، مقابل مساهمة سدّدتها وزارة الطّاقة من الخزينة العامة بقيمة 500 ألف دولار كنفقات إدارية للمشروع.

وفي عام 2015، وقّعت الحكومة، ممثّلة بمجلس الإنماء والإعمار أيضاً، اتفاقية قرض بقيمة 34 مليون دولار للمساهمة في تمويل استثمارات القطاع الخاص في مجال توفير الطاقة والطاقة المتجددة. وهدف المشروع إلى زيادة القدرة التنافسية الاقتصادية والبيئية للاقتصاد اللبناني عبر دعم تنفيذ الاستثمارات في مجالي الطاقة والبيئة، إضافة إلى تحسين كفاءة الطاقة وتعزيز الطاقة المتجدّدة في الشركات عبر تمويل ملائم من حيث النسب والمدة، والتوصل إلى حل ناجع لتمويل الطاقة المستدامة عبر تأمين المساعدة الفنية ونقل المهارات اللازمة إلى الجهات الفاعلة المحلية في القطاع.

ما هو جديد الطاقة المتجددة؟

قبل صدور قانون إنتاج الطاقة المتجدّدة الموزعة (رقم 2023/318) في 2023/12/22، بستة أشهر، وتحديداً في أيار 2023، وقّع وزير الطاقة والمياه في حكومة تصريف الأعمال وليد فياض عقوداً مع ممثلي 11 شركة من القطاع الخاص لبناء محطات إنتاج كهرباء من الطاقة الشمسية. ووافق مجلس الوزراء في 10 شباط 2024 على الاقتراحات التالية لوزير الطاقة:

1- نقل الرخصة المعطاة لتحالف JOUN PV ضمن محافظة جبل لبنان حصراً بحسب العرض المقدم من التحالف، وذلك لمدة تشغيلية مدتها 25 عاماً، إلى شركة Merit Invest S.A.L على أن تقوم الأخيرة بتأسيس شركة ذات غرض خاص (Special Purpose Vehicle SPV) باسمائها وبالشكل القانوني الذي يتلاءم مع شروط التمويل الدولية، والالتزام بكل المعايير والإجراءات التي أقرها مجلس الوزراء.

2- نقل الرخصة المعطاة لتحالف KFIFANE-PHOENIX POWER PLANT ضمن محافظة الشمال حصراً، بحسب العرض المقدم من التحالف لمدة تشغيلية تبلغ 25 عاماً، لمصلحة شركة Merit Invest S.A.L على أن تقوم أيضاً شركة ذات غرض خاص.

3- دفع السعر الثابت للكيلووات ساعة الواحد كاملاً بالعملة الأجنبية لكل المشاريع تماشياً مع شروط التمويل الدولية.

4- تضمين عقد شراء الطاقة الموقع مع الشركات الـ 11 بنداً تحكيمياً (arbitration)، تكون مرجعيته محاكم لندن في المملكة المتحدة كما هو سائد في المناقصات ذات الصلة عالمياً، على أن تطبق فيها أحكام القوانين اللبنانية.

5- إصدار مرسوم يجيز للدولة اللبنانية اللجوء إلى التحكيم لحل الخلافات التي قد تنشأ جرّاء تنفيذ العقود مع الشركات الـ 11.

6- تضمين عقد شراء الطاقة بنداً تفصيلياً واضحاً حول القوة القاهرة (force majeure) يتضمن تعريف أحداث القوة القاهرة التي قد تصيب الدولة اللبنانية مباشرة (Government force majeure) كالحروب وأعمال العنف والشغب وغيرها، وأحداث القوة القاهرة الأخرى (Other force majeure) الناتجة من فعل الطبيعة كالزلازل والصواعق وغيرهما، والأحداث التي لا يمكن اعتبارها قوة قاهرة، كما يتضمن موجبات أطراف العقد في كل من حالات القوة القاهرة، وتأثيرها على الأداء العام للمشروع.

> **أنفقت الدولة مبالغ طائلة للالتزام بمقررات مؤتمرات المناخ العالمية بتطوير سوق الطاقات المتجددة**

7- إصدار مؤسسة كهرباء لبنان الاعتماد المستندي (Letter of Credit) عبر مصرف لبنان بالعملة الأجنبية (الدولار الأميركي) لمدة تسعة أشهر وفي كامل مدة العقد، على أن تقوم مؤسسة كهرباء لبنان بتأمين تغذية فتح الاعتماد المستندي من دون أن يرتب ذلك أية أعباء على مصرف لبنان.

في الخلاصة، هل سنشهد طاقة متجددة نظيفة أم أن تقاسم الحصص بين المحظيين سيقضي على ما تبقى من إيرادات حكومية؟ إذ طالما أننا لم نلحظ أثراً للهيئة الناظمة للقطاع، فعلى الأغلب لن نلحظ إيجابيات في هذا الملف.

تعليق مواد من قانون موازنة 2024

علّق المجلس الدستوري بموجب القرار رقم 2024/1 مفعول المواد 36/45/72/93/94/ من قانون الموازنة العامة للعام 2024 (القانون 2024/324) وذلك إلى حين البت بالمراجعة، بعد أن تقدم عدد من النواب بالطعن بقانون الموازنة على أن يصدر المجلس قراره النهائي في مدة أقصاها شهر من تاريخ تقديم الطعن.

وقد تم نشر قرار التعليق في الجريدة الرسمية في العدد 9 تاريخ 2024/2/29.

علما أنه إذا ما قرر المجلس الدستوري تعليق مفعول القانون ، يجب نشر هذا القرار في الجريدة الرسمية وإبلاغ نسخة عنه مصدقة الى كل من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء.

اما عن المواد المعلّقة فهي تتعلق بما يلي :

- الغرامات على مخالفة مبدأ الولوج الى الشاطئ.
- الغرامة بالدولار للشركات الملزمة بالتصريح بالدولار .
- الضريبة على عمليات صيرفة
- الضريبة على الربح الناتج عن الدعم.
- تعديل القيمة التأجيرية للرسوم البلدية.

الجريدة الرسمية – العدد ٩ – ٢٠٢٤/٢/٢٩

المجلس الدستوري

القرار رقم 2024/1
تاريخ 2024/2/19

في تمام الساعة الخامسة والنصف من نهار الاثنين الواقع فيه 2024/2/19 عقد المجلس الدستوري جلسة برئاسة نائبه القاضي طنوس مشلب وبحضور جميع الأعضاء وقرر بالأكثرية:

أولاً: تعليق مفعول المواد المطعون فيها التالية: 36-45-72-93-94 من القانون المطعون فيه رقم 2024/324 (قانون الموازنة العامة لسنة 2024) الصادر بتاريخ 2024/2/12 والمنشور في الجريدة الرسمية – ملحق العدد /٧/ تاريخ 2024/2/15، وذلك لحين البت بالمراجعة.

العدد في 2024/2/19

رئيس المجلس الدستوري
القاضي طنوس مشلب

في العمق

إدغام العقوبات حلّ لاكتظاظ السجون أم تشجيع على الجريمة؟

نائلة تحلة

في ظل الأزمات التي يعيشها المحتجزون في السجون ومراكز الاحتجاز المؤقت من اكتظاظ خانق، يعدّ تطبيق مبدأ إدغام العقوبات من أهم الإجراءات التي قد تساعد في التخفيف من عدد الموقوفين. إذ تنص المادة 205 من قانون العقوبات اللبناني، على أنه إذا ثبتت عدة جنايات أو جنح، قضي بعقوبة لكل جريمة، ونفذت العقوبة الأشد دون سواها، على أنه يمكن الجمع بين العقوبات المحكوم بها بحيث لا يزيد مجموع العقوبات المؤقتة على أقصى العقوبة المعينة للجريمة الأشد إلا بمقدار نصفه. وإذا لم يكن قد قضي بإدغام أو بجمع العقوبات المحكوم بها، أحيل الأمر على القاضي ليفصله.

يعدّ مبدأ العقوبة الأشد من المبادئ التي تنتهج على صعيد واسع في السياسات الجنائية بقصد التخفيف من العقوبات السالبة للحرية. إذ تامر الجهات القضائية المختصة بالحكم بها، مهما كان عدد الجرائم وخطورتها، جزاء عن جرائم مرتكبة في حالة التعدد. وقد يكون تعدد الجرائم صورياً، حين يرتكب الجاني فعلاً إجرامياً واحداً، ولكن ينطبق عليه أكثر من نص عقابي. لذا تكون أمام أكثر من تكييف قانوني للفعل الجرمي ذاته، كأن يؤدي حادث سير الى وفاة شخص وإصابة آخر، أو إخفاء المتهم أدوات الجريمة أو مسروقات ناتجة من فعل السرقة، يكون المتهم مرتكباً بفعله الجرمي الواحد جريمتين. وقد يكون التعدد حقيقياً بتعدد الجرائم، كأن يرتكب الشخص أو تنسب إليه أكثر من جريمة، سواء كان ذلك بسبب فعل واحد أو أفعال متعددة، كأن يرتكب فعلين منفصلين مثل ترويج المخدرات والسرقة.

في هذا المجال، يقتضي التوضيح أن ارتكاب المجرم جريمتين منفصلتين بحيث يختلف اجتماع الجرائم عن التكرار الجرمي، يقتضي وضع حدود واضحة بين التكرار وإدغام العقوبات بحيث لا يستفيد المجرم من حالة عدم صدور حكم بالإدانة بحقه فينجو من عقوبتين عبر الإدغام للحد من اعتياد الإجرام.

ويعني تنفيذ العقوبة الأشد أن هذه الأخيرة تمتص العقوبة الأخف، بشكل يجعل تنفيذها صورياً من دون أن يمحو الأحكام الصادرة بشأنها. إذ يقتصر تأثيرها على قوة التنفيذ، فتعدّ العقوبات الأقل شدةً وكأنها قد نفذت.

عندي رصيد...

ربّ ضارة نافعة أمام تجميد أرصدة اللبنانيين وخسارتهم جزءاً كبيراً منها نتيجة الأزمات المتتالية وتقاعس القضاء، فوحدها أرصدة المحتجزين في السجون والنظارات تتغذى. وأصبحت عبارة «عندي رصيد» من العبارات التي تتكرر على السنة المعتادين على ارتكاب الجرائم بفخر وكأنها إنجاز، فلا تجد في وجوههم أي انزعاج من بطء الإجراءات القانونية أو تأخر البت في ملفاتهم وإصدار الأحكام، لأنهم يجمعون أياماً تضاف الى رصيدهم في حال ارتكابهم جرائم أخرى.

يقول سامي ممازحاً، وهو محتجز في إحدى النظارات بشبهة سرقة يدّعي أنه لم يرتكبها: «ما بقى فارقة معي بكرا بطلع بإخلاء سبيل. وهيك بكون جمّعت رصيد فيني إعمل جريمة تانية». فالقانون اللبناني يسمح بالتقدم بطلب إدغام ملحق للعقوبات التي لم يشملها حكم الإدغام، شرط أن تكون الأفعال المعاقب عليها قد ارتُكبت قبل تاريخ صدور الحكم الأخير، وهذا ما يستغلّه البعض لارتكاب أفعال جرمية في الفترة الممتدة بين إخلاء السبيل وصدور الحكم النهائي بحق، فيأخذ القاضي في هذه الحالة في الاعتبار ظروف الشخص ومدى تكراره للجرم أو وجود أحكام سابقة بحقه في الجرم نفسه.

تجدر الإشارة الى أن بعض العقوبات لا تدغم. فالمادة 207 من قانون العقوبات أكدت على حتمية جمع العقوبات التكديرية، ونصّت المادة 208 على جمع العقوبات الإضافية والتدابير الاحترازية، وإن أدغمت العقوبات الأصلية ما لم يقضِ القاضي بخلاف ذلك، وأكدت أنه في حال جمع العقوبات الأصلية، تجمع حكماً العقوبات الفرعية التابعة لها. فالمخالفات التي يصدر فيها حكم من الاكتظاظ، إلا أن هذا الإجراء، يعيشها لبنان، يساعد على زيادة الجريمة ويجعل من المحتجزين أهدافاً دسمة للمجرمين الكبار والعصابات وتجار المخدرات، إذ يعدون الى اصطيادهم وإقناعهم بالعمل معهم بحجة أنهم يملكون أرصدة سابقة، وفي حال توقيفهم لن يعاقبوا لمدة طويلة.

> **قد يساهم الإدغام بزيادة الجريمة في غياب الرقابة والظروف التي يمرّ بها لبنان**

بالغرامة لا يمكن إدغامها، لا وحدها ولا مع أحكام جنح أو جنايات، وكذلك الأحكام الصادرة بالحبس الإكراهي أو الحبس لقاء حكم النفقة، لتعلّقها بالحق الشخصي.

يؤكد أحد المسؤولين السابقين في إحدى النظارات أنه رغم أهمية تطبيق الإدغام في بعض الحالات وتخفيفه بصورة غير مباشرة شخص قد صدر بحقه حكم غيابي بجرم الاتجار أو السرقة أو التزوير، لا يردعه ذلك عن ارتكاب جرم آخر، بل يكون محفزاً لتكثيف عمله الجرمي والاستفادة من سنوات سجن قليلة.

العسكرية تجمع العقوبات

تعتمد المحكمة العسكرية في أحكامها على جمع العقوبات لا على إدغامها. لذلك نجد أن أغلب الموقوفين الذين تتعدّد ملفاتهم الجرمية وتتوزع على عدة محاكم، منها العسكرية، يحاولون الحصول على حكم مبكر من المحكمة العسكرية خوفاً من الجمع، أو التحايل في استحداث أيّ دعوى بحقهم في أيّ محكمة جزائية، لأن المحكمة المسؤولة عن الدغم في حال تعدّد الملفات هي المحكمة التي تصدر آخر حكم بحق المتهم.

أمام هذ الواقع، لا بد من إعادة النظر في طريقة تطبيق المادة 205 من قانون العقوبات اللبناني، والحدّ من التوسع في تطبيقها. فحل مشكلة السجون لا يكون من خلال التوسع في منح الإدغام وسجن أخطر المجرمين سنوات قليلة، بل من خلال سياسة عقابية إصلاحية متكاملة تؤهّل المرتكب وتحميه وتحدّ من تأثيره على المجتمع، وتحدّد أطر السلطة الاستنسابية التي يتمتع بها القاضي بالنسبة إلى قرار إدغام العقوبات من خلال معايير واضحة.

(هيثم الموسوي)

في القانون

«منتدى العدالة» لتشخيص أمراض الجسم القضائي

فاطمة خشاب درويش

على نية إجراء إصلاح وتطوير شاملين لمرفق العدالة في لبنان، أطلق «منتدى العدالة»، بدعم من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والإتحاد الأوروبي وسويسرا وشركاء دوليّين آخرين.

ورغم التحديات غير المسبوقة التي يواجهها لبنان، شعباً ومؤسّسات قضائية، يعول القيمون على المنتدى كخطوة في إطار الإصلاح والتعافي وإعادة الإعمار (RF3) في المرفق القضائي.

ما هو «منتدى العدالة»؟

منتدى العدالة «يشكل إطاراً جامعاً لأصحاب المصلحة على الصعيد الوطني». هكذا عرّفه القيمون عليه، فهو يجمع أهل القضاء والقانون والمحامين والمعنيين من أجل النهوض بالواقع القضائي في لبنان. تميّز حفل إطلاق المنتدى بواقعية الأفكار التي طرحت، وتحول الى أشبه بجلسة تشخيص لأمراض الجسم القضائي في لبنان، من غياب قانون إستقلالية القضاء، وأوضاع قصور العدل مروراً بأوضاع القضاة والمساعدين القضائيين، وصولاً إلى التحقيقات المجمدة والمتوقفة ما يعيق تحقيق مسار العدالة في لبنان.

«أثبتتِ التَجربةُ حتى الآن، أنَّ السلطاتِ والمرجعياتِ والقوى والفاعليات السياسية لا ترغبُ على العموم بوجودِ سلطةٍ قضائيةٍ مستقلةٍ، وأن كلاً منها يريدُ قضاءً على قياسِهِ وقياسِ مصالحِهِ، وأنها نجحتْ في إيصالِ القضاءِ، إن باتفاقٍ صريحٍ أو بتوافقٍ ضُمنيّ، إلى وضعِهِ الحاليّ، الذي يُسألُ ونُسألُ عنه أيضاً». بهذه الكلمات اختصر الرئيس الأول لمحكمة التمييز ورئيس مجلس القضاء الأعلى القاضي سهيل عبود مشكلة القضاء في لبنان مع السياسيين، معتبراً أنَّ «النهوضَ القضائيَّ، واستعادةَ القضاءِ لدورِهِ، لن يتحقَّقا إلّا عبرَ إرادةٍ وتعاونٍ حقيقيَين، بين مختلفِ السلطاتِ، وفقَ ما يفترضُه الدستورُ، بمشاركةٍ من المجتمعِ المدنيّ، وبتعاونٍ مع الجهاتِ الدوليةِ الحاضرةِ والقادرةِ والراغبةِ في تأمينِ المساعدةِ والدعمِ، علماً أن تجربتَنا سابقاً في طلبِ المساعدةِ الدولية، لم تلقَ التجاوبَ المطلوب». بدوره، شدد رئيس مجلس شورى الدولة القاضي فادي إلياس على «ضرورة تأمين إستقلالية القاضي على مختلف الصعد، لا سيما إستقلاله عن السلطات السياسية، وإبعاده عن المؤثرات، إلى جانب خلق شعور عند القاضي حول عظيم دوره في مسار العدالة والمجتمع».

مشيراً إلى أن «مجلس شورى الدولة بدأ قبل ثلاث سنوات بعملية المكننة في قلم المجلس، كنا نتأمل مع صدور قانون المعاملات الغيارية لكافة المراحل، وصولاً إلى تقديم الدعوى عبر الايميل ودفع الرسوم عبر البطاقات الإئتمانية إلا أن إنقطاع الكهرباء، أدى إلى توقف الخوادم بشكل كامل».

وفيما انتقد رئيس لجنة الإدارة والعدل النيابية النائب جورج عدوان عدم إقرار قانون إستقلالية القضاء الذي أنهت دراسته اللجنة خلال ثلاثة أشهر بتاريخ 18-11-2021، أكد أن «تنظيف الجسم القضائي لا يحتاج إلى قوانين إنما إلى إرادة حقيقية من قبل السياسيين». من جهتها، الممثل المقيم بالنيابة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي محمد صالح وسفيرة الاتحاد الأوروبي في لبنان سأندرا دوال، شددا على أهمية إطلاق المنتدى من أجل تحسين واقع وخدمات مؤسسات العدالة في لبنان بهدف تعزيز ثقافة التمسك بالقانون خاصة في الظروف الصعبة التي يمر بها لبنان.

واختتم وزير العدل في حكومة تصريف الأعمال القاضي هنري الخوري الحفل بكلمته داعياً المعنيين إلى المباشرة في أقرب وقت بورشات المنتدى حتى تنطلق وتيرة العمل سريعاً، وتبدأ مسيرة الإصلاحات في المؤسسات القضائية في لبنان.

مكونات «منتدى العدالة»

يتألف منتدى العدالة من جهتين أساسيتين، هما:

1- الجمعية العامة للمنتدى: تتمثل بالسلطة القضائية بكافة أجنحتها، من شأنها أن تكمل التوجه الاستراتيجي العام للمنتدى، وهي مدعومة من قبل رؤساء مجموعة العمل الخاصة بقطاع العدالة ضمن إطار الإصلاح والتعافي وإعادة الإعمار (RF3) الممثلين ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، والإتحاد الأوروبي.

2- مجموعات العمل المواضيعية: ستعقد فيها مناقشات تقنية حول المحاور الرئيسية لخارطة الطريق وتوصياتها، وستتألف مجموعات العمل

> **لضرورة تأمين إستقلالية القاضي على مختلف الصعد، لا سيما إستقلاله عن السلطات السياسية**

بالإستعراض الوظيفي للقطاع، وبخطط العمل المنبثقة عنه، وغير ذلك من الوثائق ذات الصلة. وستعمد المجموعات إلى تغطية مسائل محدّدة، على سبيل المثال:

- استقلالية السلطة القضائية، تكوينها، إختصاصها، صلاحيتها، وتفعيل مبدأ المساءلة.
- كفاءة نظام العدالة وشفافيته، ورقمنته وتسهيل حق التقاضي أمام الكافة.
- العدالة الجنائية وحقوق الإنسان.
- قضاء الأحداث، وحماية الطفل.
- القضاء الإداري.

سيتألف كل فريق عمل مواضيعيّ من أصحاب المصلحة المعنيين في القطاعات ذات الصلة، بما في ذلك ممثلو السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، ومنظمات المجتمع المدني، ومن نقابتي المحامين وكليات الحقوق والمعهدين الرقابية المستقلة.

بالإضافة إلى ذلك، ستُتاح الخبرة الدوليّة لمجموعات العمل المواضيعيّة، لدعم المناقشات التقنية، وتسليط الضوء على أفضل الممارسات، والمعايير المقارنة

3- أمانة عامة (سكرتارية): تتألف من خبراء وطنيين، توفر التقنيات السليمة لفرق العمل المواضيعية وتدعم الجمعية العامة في صناعة خارطة الطريق.

تتلخص أهداف «منتدى العدالة» بالأمور التالية:

- إجراء تقييم شامل للتحديات العديدة التي تواجه المؤسسات القضائية.
- تقديم الخدمات المتصلة بالعدالة.
- تحديد سُبل المضي قدماً في التصدي لهذه التحديات.

في نهاية المطاف، سيؤدي ذلك إلى وضع خارطة طريق شاملة لإصلاح وتطوير مرفق العدالة، ولن تقتصر هذه الخارطة على أولويات قصيرة المدى، بل سيتم تحديد أولويات متوسطة وطويلة الأجل تتماشى مع المعايير الدولية، ومع أفضل الممارسات التي تعزز الموامة، وأوجه التآزر والتنسيق بين أصحاب المصلحة الوطنيين وبين أصحاب المصلحة الوطنيين والدوليين، وستسعى أيضاً إلى تعزيز استقلالية المؤسسات القضائية، وفعاليتها، إضافة إلى تفعيل مبدأ المساءلة، وتسهيل حق التقاضي أمام كافة الجهات القضائية المعنية.

سيسعى «منتدى العدالة» إلى رسم خارطة طريق أيضاً تساهم في تعزيز استقلالية المؤسسات القضائية، وفعاليتها، إضافة إلى تفعيل مبدأ المساءلة، وتسهيل حق التقاضي أمام كافة الجهات القضائية المعنية.

القوس

السبت 2 آذار 2024 العدد 102

آلاف الشهداء والجرحى

فاتورة الدمّ

75 عاماً من الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان

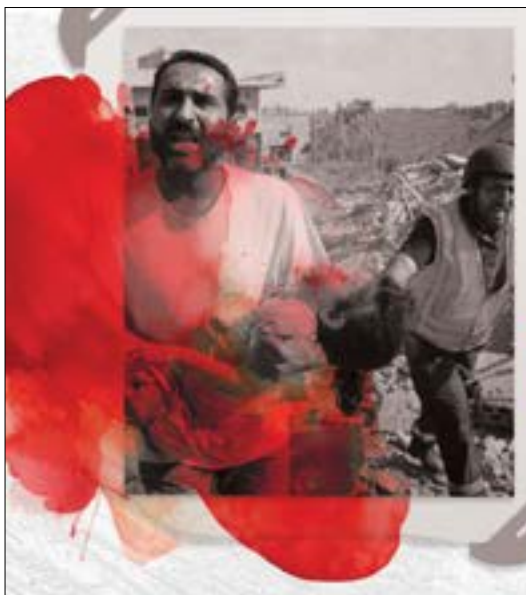

1965-1948

- احتلال 14 قرية لبنانية حدودية ضمن «خطة حيرام»
- مجزرة صلحا الجنوبية: 10 شهداء
- مجزرة حولا: 70 شهيداً
- اعتداءات متكررة على الحدود الجنوبية

1968-1967

- اجتياح قسم من **مزارع شبعا** واحتلالها وطرد أهلها وتفجير منازلهم
- حزيران 1968: قصف مدفعي اسرائيلي على ميس الجبل: 56 جريحا
- 1968: تدمير اكثر من نصف الاسطول الجوي المدني اللبناني ضمن عملية «دار»

1971-1969

- 1970: (قصف) 21 شهيداً و40 جريحا غارات على ياطر: 12 شهيداً
- 1971: حاصبيا: 48 شهيداً و45 جريحا دير العشائر: 19 شهيداً و10 جرحى

1973

- شباط: (كوماندوس اسرائيلي) 30 شهيداً 65 جريحا
- نيسان: (4 غارات جوية على صيداوتل الزعتر) 44 شهيداً لبنانيا وفلسطينيا
- تشرين الاول: (قصف رادار الباروك) استشهاد 9 عسكريين من الجيش اللبناني

1974

- 12 نيسان: (قصف الطيرة ومحيبيب وبليدا وبارين وعيترون) شهيدان
- 18 ايار: (غارات على القرى الحدودية) 9 شهداء وجرح 5 اطفال
- 10 كانون الاول: (غارة على مخيم صيدا) 11 شهيداً و20 جريحا
- اب: تنفيذ عربات بومبة على القرى الحدودية

1976-1975

- 1975: (مجزرة عيترون) 9 شهداء، اطفال
  افتحام بلدة عيتا الشعب والاشتباك مع الجيش اللبناني: 7 شهداء عسكريين
- 1976: (مجزرة بنت جبيل) اكثر من 20 شهيداً (هجوم على حانين وطرد الاهالي وتدمير القرية) اكثر من 3 شهداء

1978 اجتياح جنوب لبنان (عملية الليطاني)

- قصف 358 بلدة في الجنوب واحتلال 1100 كيلومتر مربع
- استشهاد 560 لبنانيا وجرح 653
- مجزرة الوزاعي: 30 شهيدا وعشرات الجرحى
- قصف مسجد في العباسية: استشهد وجرح 112 شخصا
- مجزرة كونين: نحو 30 شهيدا - مجزرة كنيسة راشيا الفخار: 15 شهيدا
- مجزرة عدلون: 17 شهيدا
- مجزرة الخيام: اكثر من 100 شهيد

1981-1979

- هجمات إسرائيلية: اكثر من 50 شهيدا وجريحا
- احتلال أراضي تابعة لـ 7 قرى جنوبية حدودية
- اقتحام بلدة بويب
- هجوم اسرائيلي على البنية التحتية وتدمير 8 جسور في الجنوب

1982

- الاجتياح الاسرائيلي للبنان واحتلال العاصمة بيروت وارتكاب مجازر: 19000 شهيد و30457 جريحا

1988-1984

- 1984: غارة على بعلبك 100 شهيد ومئات الجرحى
- 1985: قصف إقليم التفاح اكثر من 30 شهيدا وعشرات الجرحى
- 1987: غارة على مخيم عين الحلوة 41 شهيدا وعشرات الجرحى
- 1988: سلسلة غارات على الجنوب 100 شهيد وعشرات الجرحى

1994-1993

- 1993: عملية «تصفية الحساب» الاسرائيلية: 132 شهيدا و500 جريح
  مجزرة دير الزهراني: 13 شهيدا وعشرات الجرحى
- 1994: مجزرة باص النبطية (تنفه الاطفال): 4 شهداء واكثر من 20 جريحا

1997-1996

- 1996: عملية «عناقيد الغضب» ومجازر قانا والمنصوري والنبطية وسحمر ومجدل زون: استشهاد 171 ونزوح نحو 300 شخص
- 1997: اعتداء على مركز للجيش في عربصاليم: تغيب 5 عسكريين شهداء / جرحى

2003-1999

- 1999: قصف جوار العاصمة بيروت: 10 شهداء
- غارات واعتداءات استهدفت محطات الكهرباء والجسور ومسلفات حيوية
- 2003: قصف إسرائيلي على الجنوب: 15 شهيدا وجريحا

2006

- عدوان تموز: اعتداءات إسرائيلية من البحر والارض والجو على الجنوب والضاحية والبقاع وجبل لبنان: 1109 شهداء واكثر من 4400 جريح

2011-2010

- اعتداءات على الجنوب: شهداء للجيش اللبناني ومدنيين من بينهم صحافيون
- شهداء وجرحى لتفجير قنابل عنقودية
- 2011: 10 شهداء و112 جريحا في هاون الرأس بنيران العدو الاسرائيلي

2021-2012

- 506 شهيد بين قتيل وجريح بالقنابل العنقودية منذ العام 2006
- قصف مدفعي وبالطيران المسير وغارات على مناطق مختلفة من الجنوب
- خروقات برية وبحرية وجوية إسرائيلية للخط الازرق
- خطاف رعاة موالين في الجنوب ومحاولات لإرهاب سكان البلدات المحاذية للخط الازرق
- استشهاد شاب وجرح آخرين برصاص قوات الاحتلال اثناء تظاهرة شعبية قرب السياج الفاصل

2024-2023

- عدوان إسرائيلي على بلدات في الجنوب والنبطية وضاحية بيروت: 290 شهيدا ومئات الجرحى والعدوان مستمر

إعداد هلال سلوم

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**

■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54

info@alqaous.com www.alqaous.com